المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السادس والتسعين

١ نوفمبر سنة ١٩٤٠ — ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٥٩

انتقال الافكار

او الاتصال الذهني عن بُعد

تجدَّدت العناية في السنوات الاخيرة بموضوع الاتصال الذهني عن بُعد (Telepathy) او انتقال الافكار ودار البحث أخيراً في تائج تجارب أجريت في معاهد اميركية غرضها بحث هذا الموضوع على أساس من التحقيق العلمي . فيجدر بنا ان ننظر نظرة عامة شاملة [1] في نواحي هذا الموضوع بما يشتمل عليه من الخدع البارعة وأساليب التحقيق العلمي وما يؤخذ عليها . وقد عالج كاتب هذا الفصل هذا الموضوع معالجة عملية ، ولذلك فهو يستطيع ان يؤيد أقواله بما شاهده في غير اجتماع واحد من اجتماعات الوسطاء وغيرهم

عنيت جامعة ديوك الاميركية من سنوات باجراء تجارب في « الاتصال الذهني عن بعد » فكانت تائجها موضوع مقالات في شتى المجلات ومنها مقالتان في مجلة هاربرز استرعتا انتباه القرَّاء وجددتا العناية بهذا الموضوع . ولو ان مقالتي هاربرز اكتفتا بوصف التجارب لما اشتدَّ الاهتمام بموضوعها . ولكن كاتبا (الاستاذ ربط وهو استاذ الادب الانكليزي في جامعة كولومبيا) قال فيها ان تجارب جامعة ديوك أثبتت اثباتاً قاطعاً لكل ريب وجود « انتقال الافكار » او « الاتصال الذهني عن بعد » (التلبثي)

وليس ثمة ريب في ان الناس يثوقون الى استكشاف المجهول فعنايتهم بالظاهرات الروحية أمرٌ طبيعي . فلما قرأوا في مجلة ذات مكانة وبقلم استاذ في جامعة أقوالاً يفهم منها وجود

---

(١) الاستاذ سنكلير بوبر — ابل أحد أساتذة معهد كارنيجي التكنولوجي في الطبة الشهرية الاميركية

هذه الظاهرات حقيقةٌ وتعزز هذه الاقوال بتجارب (على قول الكاتب) أجرتها جامعة أخرى مشهورة، تجددت العناية بالموضوع على وجهٍ لم يسبق لهُ مثيل. وهذا مفهوم. فكلٌّ منا يستطيع أن يروي نوادر يتعذر تعليلها فنجد في الاتصال الذهني عن بُعد تعليلاً وافياً لها. ولعلَّ مانعنا من بقية احترام لاعتقاد اسلافنا الاقدمين في السحر يحملنا على ذلك. ولكن اذا تعدَّى القول مجرَّد رأي بطلقهُ القائل اطلاقاً الى بحث دقيق يقوم به اساتذة جامعة، وجاءت نتائج هذا البحث مؤيدة للقول بالتلبثي فان الموضوع يخرج من دائرة رأي فرد الى دائرة حقيقة علمية مثبتة. وقد يدهش القراء اذا علموا ان المشتغلين بهذا الموضوع بحثوا بحثاً دقيقاً وافياً فيها في خلال الثلاثين او الاربعين السنة الاخيرة وان تجارب جامعة ديوك ليست جديدة ولا مبتكرة، وانما هي ترديد لبحث قام به آخرون من قبل، وفي طليعتهم الاستاذ كوفر Coover بجامعة ليلاندستانفورد الاميركية. ومما لاريب فيهِ انهُ في سبيل الوصول الى رأي مستقيم في هذا الموضوع لا بدَّ لنا من الاهتمام — او على الاقل يجب علينا الاَّ نهمل — نتائج المباحث السابقة

ليس تعريف «التلبثي» بواضح وضوحاً عليًّا. ولعلَّ لفظي «انتقال الافكار» thought transference أفضل. ومع ذلك فانهما لا يكفيان ولا يرضيان. لأنهما لا يحددان المقصود بطريقة انتقال الافكار، فيباح لمن يريد ان يحسب المندل، والاحلام من ضرب معين، والشعور بتوقع شيء، والكتابة الآلية، انواعاً من انتقال الافكار. ويضاف الى هذا ان انتقال الافكار كثيراً ما يخلط بالتكهن او علم الغيب clarivoyance. ففي احدى تجارب ديوك (وسنقتصر بعد الآن على ذكر ديوك قاصدين جامعة ديوك) وضع عدد من (ورق اللعب) على مائدة وكانت وجوهها التي عليها الارقام والصور الى المائدة وظهورها الى فوق. وطلب الى احدهم ان يحزر الارقام او الصور المطبوعة على كل من هذه الاوراق. فهذه تجربة لا تمت الى «انتقال الافكار» بصلة وانما هي من قبيل التكهن اذ ليس في هذه التجربة انتقال فكر من ذهن الى آخر. ولكن اذا كان احد المجرَّبين يعرف رقم كل بطاقة او صورتها وطلب الى الوسيط او المجرَّب به ان يعرف ما يعرفهُ المجرِّب فعندئذٍ تصبح التجربة تجربة في انتقال الافكار

والتكهن او علم الغيب يشمل ظاهرة من وراء الظاهرات الطبيعية التي نعرفها. ولذلك يتعذر علينا ان نأتي بتعليل طبيعي وافٍ لها. ولذلك قامت التفسيرات الروحية فأصبحت عند بعضهم معتقدات راسخة وانست عن آخرين بساطة الدين. أما «انتقال الافكار» فلا يتحتم ان تتعدى في فهمها ودراستها النواميس الطبيعية. ففي شهر يناير ١٩٣٩ نشرت مجلة معهد كارنيجي التكنولوجي مقالاً عنوانه «أساس علمي للتلبثي العقلية» ذهب فيهِ الكاتب الى ان العلم الحديث أثبت ان عملية التفكير بصحبها تولد نبضات كهربية في الدماغ. ولذلك يجوز ان يحسب الدماغ

جهازاً مولداً مذبذباً لنبضات كهربية قد يتلقاها دماغ آخر منهي لتلقيها وعندئذٍ فقد يولد في الدماغ المستقبل ، الفكر الذي وجد في الدماغ الاول »

ومع ان المشتغلين بهذه الموضوعات اعترضوا اعتراضات شتى على هذه النظرية فاننا لا نجد في « التلبثي » ما يجعلها امراً مستحيلاً لذاته او بحكم المنطق العلمي . ولذلك يهتم العلماء بالبحث في هذه الظاهرة املهم يهتدون الى تأييدها او إنكارها ، اكثر من اهتمامهم بتأييد المذاهب الروحانية او نفيها . ومن هنا عني كاتب هذا المقال بدراسة الأدلة المتجمعة حول موضوع « التلبثي » دون غيره

بعد البحث الدقيق في هذه المباحث يخرج الباحث بحقائق هامة ذات شأن . فقد ثبت ان جميع حوادث قراءة الافكار التي عرضت على منبر عام تم بحثت بحثاً دقيقاً كانت قائمة على خداع بارع ، وان جميع حوادثها التي تمت في اجتماعات خاصة ثم بحثت بحثاً دقيقاً كانت إما خداعاً وإما مما يمكن تفسيره تفسيراً معقولاً بحالة شاذة أو تأثير غير مألوف . والجماهير ترغب في كل ما هو مستغرب او ما يبدو من وراء الفهم البشري . ولهذا يفسر كثرة الذين احترفوا (في اميركا والكاتب طالما اميركي) قراءة الافكار وأساليب مختلفة من قراءة الافكار فلنضرب بعض الامثلة عليها

يزعم بعض هؤلاء في الاجتماعات الخاصة التي تعقد لمثل هذا الغرض انهُ يستطيع فعلاً قراءة الأفكار وأن يقيم الدليل على صحة زعمه . خذ مثلاً على ذلك الحادثة التالية :

كان في مدينة شيكاغو من سنوات وسيط كان يسمح لمن يريد ان يكتب امامهُ وعلى مسافة منهُ اسماء ستة رجال يرقمهم الكاتب ويجهلهم الوسيط ، على ان يكون احدهم اسم رجل متوفى والخمسة الباقية اسماء احياء ، وللكاتب ان يرتب هذه الاسماء حين كتابتها كيف شاء . وكان الوسيط يستخرج من الاسماء اسم الرجل المتوفى من الكشف المكتوب

في معظم التجارب التي من هذا القبيل يفرض الوسيط توافر احوال معينة يحيط بها التكتم والسر . ولكن هذه التجربة كانت مطلقة من كل قيد . فاذا كان الوسيط يحيدها كان لهذا الاطلاق من القيود وقع عظيم في النفوس

إلا ان الدكتور « دايفد ابوت » فضح سرها في كتابه « وراء المشاهد مع الوسطاء » اذ اثبت ان الوسيط يعتمد على طريقة ترتد الى حقيقة نفسية من حقائق الذاكرة في تبين اسم الرجل المتوفى . آية ذلك ان الوسيط يطلب الى الرجل المتقدم الى التجربة ان يتذكر اسم رجل متوفى يعرفهُ هو ويجهله الوسيط . ثم يدفعهُ الى كتابة كشف الاسماء بغير ان يتيح له وقتاً كافياً لتذكر الاسماء التي يريد ان يكتبها في الكشف المطلوب فيقول له مثلاً اكتب اسم رجل حي

(١) Behind the Scenes with Mediums

تعرفهُ أنت وأجهلهُ أنا فيقترب قليلاً قبل ان يكتب هذا الاسم ثم يكرر المجرّب طلبهُ ثم يقول لهُ اكتب اسم رجل متوفى تعرفهُ أنت وأجهلهُ أنا فيحضره الاسم الذي كان الوسيط قد أتاح لهُ فرصة لتذكره ، ثم يعقب ذلك بطلب كتابة اسماء احياء آخرين

ويلاحظ ان فعل تذكر اسماء الأحياء يقتضي من الكاتب تريثاً وأما عمل كتابة اسم الرجل المتوفى فلا يقتضي منهُ ذلك لأن الاسم كان مستحضراً في ذهنهِ قبل بدء التجربة فيلاحظ الوسيط ذلك اذا كان بارعاً في عملهِ ويستخرج اسم المتوفى

وهذه التجارب لا تخدع الجمهور فحسب بل تحمل بعض الباحثين المدربين على الاعتقاد بأن هناك عنصراً من الحقيقة في ما يقال عن انتقال الافكار ، وقد كتبت مجلدات كثيرة في الماضي عن هذه المشاهدات ولكن لا قيمة علمية لها لانهُ يتدر بين الباحثين الذين عالجوها من أعمق من وقتهِ ونشاطهِ ما يكفي للتعمق في فهم شتى الاساليب المتشعبة في مثل هذه الاخاديع

ومن هذا القبيل ما يصنع في بعض الاجتماعات العامة او للسارح اذ يطلب الوسيط أوقارىء الافكار من فريق من الحاضرين كتابة سؤال على ورقة ووضع ذلك السؤال في الجيب ثم يقرأ الوسيط وهو واقف على خشبة المسرح مضمون السؤال . ولعلَّ اشهر من قام بتجارب من هذا القبيل سيدة تدعى « آنا ايفا ڤاي » . وكانت طريقتها ان يوزّع المستقبلون في المسرح دفاتر صغيرة على الحاضرين الذين يبدون رغبتهم في الاشتراك في هذه التجربة . ويكون تحت كل ورقة من هذه الدفاتر ورقة دهنت بطبقة خفيفة جداً من البراقين الذي لا يرى . فيأخذ الرجل الدفتر ويكتب السؤال على الورقة الاولى ويوقعهُ ثم ينزعها ويضعها في جيبه ويفعل غيره مثله . ثم تجمع الدفاتر وتؤخذ الى حجرة حيث تظهَّر الآثار المطبوعة على الورق المشبَّى بالبراقين فتقرأ الاسئلة واسماء اصحابها . وفي اثناء ذلك كله تكون « آنا » قد قضت وقتها على خشبة المسرح معصوبة العينين . ولكنها في الوقت نفسهِ كانت متصلة بمساعديها بسلك تلفوني مخفي تحت سجاد المسرح وممتد داخل ملابسها الفضفاضة الطويلة الى جهاز تلفوني صغير مخفي على مقربة من أذنها في شعرها المصفَّف . وكانت اذا ابلغت سؤالاً ما ، تستخرج من نص السؤال حقائق مطوية في كلامهِ فيدور مثلاً حديث كالحديث التالي بينها وبين احد الحاضرين من اصحاب الاسئلة :

الوسيطة : أنت تفكر في رحلة . أليس كذلك ؟
السائل : نعم افكر
الوسيطة : أتعرف احداً يبتدىء اسمه بحرف ف . ه .
السائل : نعم أعرف
الوسيطة : بلوح انك تفكر في رحلة الى شيكاغو : أأنا على صواب
السائل : انك على صواب
الوسيطة : والآن فكر في شخص تعرفه ويبتدىء اسمه بالحرفين ف . ه . هل اسمه « هاريس »
السائل : نعم

الوسيط : من نفسه الاول فرانك . ان لي . داكنت اصيت
لسائل : انك اصيت
الوسيط : اذن ، عندما ماتصل الى شيكاغو ستقابل فرانك هاربس فتجد كل شيء على ما يرام

ويبدو للحاضرين ان الوسيطة التقطت حقائقها من القضاء ولكنها في الواقع استخاصت الحقائق المختلفة من نص السؤال الذي املتها وهو « اينتظر ان اقابل فرانك هاربس عندما اصل الى شيكاغو ؟ ». والسائل نفسه يعلم ان جميع الحقائق التي تلوتها الوسيطة في اسئلتها تحتوي عليها كلمات السؤال نفسه ومع ذلك يدهش دهشة الجمهور لأنهُ لا يدري كيف عرفت الوسيطة السؤال ونصه مكتوب ومطويٌّ في جيبه . وقد ابتدع وسطاء او مجربون آخرون اساليب أخرى تمكنهم من حمل الجمهور على الدهش عندما يستنتجون حقائق يظن الجمهور حقيقة انها من قبيل قراءة الافكار . وليكنها بحثت بحثاً دقيقاً فأسفر البحث فيها عن فهمها وتفسيرها

ولنأخذ الطريقة التالية من أبسط الطرق على الدهشة وهي تستعمل عند ما يذهب احد الناس الى وسيط لاستشارته في أمور خاصة فينبئه الوسيط بأشياء يظن الرجل انها مكتومة في داخله ولا يعرف أحدٌ عنها شيئاً ما فيذهل عن نفسه عندما تنبئ بها شفتا الوسيط

ولا تفهم هذه الحقائق المستغربة إلاَّ على ضوء ما نعرفهُ عن « الانتباه » في علم النفس . فالانتباهُ كالبصر لا يتركز إلاَّ في شيء واحد في وقت ما . وكلُّ ما حواليه يكون على جانب متفاوت من الابهام والغموض . وكذلك لا نستطيع ان نحصر انتباهنا إلاَّ في شيء واحد في وقت ما . والأمثلة كثيرة على ذلك . ومن أشهرها ما روي عن جندي أصيب في اثناء المعركة برصاصة في ذراعه فلم يدر بذلك الاَّ بعد وقت ما . وتفسيرهُ ان انتباههُ كان محصوراً في المهمة التي عهد اليه بها فكان كلُّ ما عداها من ألوان الشعور وصور الذهن خارج نطاقها . ويضاف الى هذا ان حصر الانتباه في شيء تتوقعهُ لا يقتضي منا استعمال آذاننا وعيوننا فقط بل جميع حواسنا ومداركنا

فيسفر كلُّ هذا عن اننا نتصرف عن كل شيء أو كل حادث آخر حولنا فلا نستطيع ان ننتبه للحوادث المتوالية المفضية الى الشيء المتوقَّع الذي حصرنا انتباهنا فيه . ولذلك نعجز عن وصف اي حادث من تلك الحوادث التي أفضت اليهِ ، لانها تمرُّ بنا بين سمعنا وبصرنا وكأنها ليست داخلة في نطاق ادراكنا

وحيل المشعوذين قائمة على هذه الحقيقة النفسية . ومن المتعذر على مشاهد ان يصف حيلة مشعوذ الاَّ اذا كان قد سبق له معرفة سرِّها وأسلوبها . وذلك لأن المشاهد يصف ما حصر انتباههُ فيه . والحيلة نفسها تنظم قصداً بحيث توجه نظر المشاهد الى اشياء معيَّنة فينصرف عن اشياء اخرى . اي ان المشعوذ يسيطر على انتباهك مستنداً الى هذه الحقيقة النفسية فلا ترى الاَّ ما يريدك على ان تراه . وهذا يفسِّر ان هوديني المشعوذ استطاع ان يفضح مشعوذين آخرين حاولا ان فريقاً من أعلام العلماء عجزوا عن تفسير بعض حيلهم . ولذلك لا يجوز لنا ان نطلق شأناً علميًّا

كبير أشاهدت الفلاسفة والعلماء والكتاب المشهورين في مثل هذه الموضوعات

ولنعد الآن الى الوسيط والسائل . ولنفرض أنهما في حجرة معتمة أحدهما جالس قبالة الآخر وبينهما مناولة . الوسيط يتكلم بسرعة وبغير انقطاع ونبرة صوته آخذة دائماً في الارتفاع ولست تدري هل القول الذي يقوله سؤال او توكيد . فهو يقول مثلاً « اني أشعر أنك تفكر في ولد » يقولها بنبرة آخذة في الارتفاع ويفرغها في قالب لا تدري أسؤال هو ام توكيد، وقد يتفق ان يكون السائل ممن فقدوا ولداً فينفعل عند سماع القول ، فاذا انفعل فلا ريب في انهُ يعبّر عن انفعاله عن غير قصد وبدون وعي بحركة او تنهُّد او ما شابه ذلك

تذكر ان الحجرة معتمة . وقد يستعمل الوسيط أجساماً مفصفرة صغيرة متحركة وأصواتاً غامضة ، مبالغةً في التأثير في نفس السائل . ومن الطبيعي ان يرد المرء على اسئلة توجه اليه . ومعظم الناس لا يتمالك عن الرد عاجلاً او آجلاً . فاذا جاء الرد تمسك به الوسيط وأتبعهُ بسيل من الأسئلة المتوالية لأن الرد الاول هداه الى شيء فيعمد الى الاسئلة التالية لاستجلائه . ومن المحتمل ان يتأثر السائل بأحد هذه الاسئلة وينفعل فيستجيب انفعاله استجابة ما غير دار ما قاده الى ذلك ، لأن انتباههُ محصور في شيء استرعاه ، فاذا انتهت الجلسة في تسلسل الحديث لأنهُ لم ينتبه لهُ فيؤكد ان الوسيط قال لهُ اشياء هو قالها للوسيط

ولننظر الآن في نتائج التجارب التي أجريت في المختبرات النفسية . هناك جماعة من الباحثين لا يرتقي الشك اليهم فهم يبحثون عن الحقيقة ولذلك لا يعمدون الى الحيل ولكنهم قد يقعون في الخطأ

هذه التجارب تجري عادة بين شخصين احدهما المجرّب والآخر شخص يرضى باجراء التجربة عليه. وقد يخفي المجرّب شيئاً في يده ويطلب الى المجرَّب به أن يخمن ما هو . فاذا اجريت التجارب بورق اللعب أو ما جرى مجراه فالغالب ان يوضع الورق بحيث تقابل الارقام والصور سطح الطاولة امام المجرَّب به. أو قد يكون المجرّب بعيداً عن المجرب به والاتصال بينهما اتصال تلفوني

هذا النوع من التجارب معرّض لأخطاء معينة . والاحتراس من الوقوع فيها هو مشكلة المشكلات . فمن الناس من أرهف إحساسهم إرهافاً يتأثرون معهُ بتنوع الضوء ، او نغمة السؤال ، او همسة غير مقصودة ، أو توتر في عضل من عضلات الوجه او الذراع أو غيرها من الاعضاء . ولعلَّ أبلغ مثل يضرب على هذا النوع من التأثير التجربة القديمة المعروفة اذ تضمر في ذهنك جسماً معيناً في حجرة تكون فيها مع قوم بينهم رجل أرهف أحاسهُ بشد العضلات وارخائها وتعوَّد هذا النوع من التجربة . وتقول ما في ضميرك لصديق . ثم تضع يدك ويد صديقك على كتفي ذلك الرجل ، فيسير توًّا الى الشيء المضمر في حين انكما في الواقع تدفعانه اليه عن غير قصد

ثم هناك نوع آخر من الاخطاء . الانسان ابن العادة وعبدها ، وهذا يصدق على التفكير والشعور صدقهُ على المشي والطعام والرياضة وغيرها . فاذا طلب الى احدهم ان يختار ورقة من ورق اللعب ، فان اختياره يتوقف على ما يرغب وما يكره ، وعلى عادة تفكيره وشعوره ، أيفضل الاسود على الأحمر أو الاحمر على الاسود ، وهل يؤثر الارقام الكبيرة أو الصغيرة . فالاحتمال في اختيار ورقة معينة من ٥٢ ورقة (في ورق اللعب) ليس $\frac{1}{52}$ بل أقل من ذلك كثيراً لأنهُ اختيار محصور في ما تعود تفضيله على غيره

ومما يؤثر في هذا الصدد ان اختيار (ملكة البستون) أكثر احتمالاً من غيرها لأن فريقاً كبيراً من الناس تعوَّد تفضيلها . واذا طلبت الى عدد كبير من الناس ان يختاروا رقماً بين واحد و ١٠ فالاحتمال ان يختاروا الرقم ٧ . اما الاشكال الهندسية فالمفضل بينها هو الشكل المثلث . ويضاف الى هذا ان الذين يتقدمون لتجارب من هذا القبيل يتأثرون عادة بالمحتمل من نتيجة امتحانهم وهل تضعهم تلك النتيجة بين طبقة الاسوياء من الناس أو دونها ولذلك فانهم يعدّلون أجوبتهم عن غير قصد او وعي تعديلاً يظنونهُ باعثاً على وضعهم في الطبقة التي يريدونها

ان تطبيق الاسلوب العلمي على البحث في انتقال الافكار مستطاع نظريًّا متعذر عمليًّا وذلك لكثرة العوامل المختلفة الداخلة في التجربة التي لاتخضع لاساليب التجريب العلمي

ونحن نعلم ان القاعدة في العلم التجريبي هي السيطرة على جميع العوامل الداخلة في التجربة ثم تعديل احدها وملاحظة ما يفضي اليه من تغير في النتيجة . ولنفرض اننا نبغي تحسين خليط معين من أخلاط الحديد يحتوي على الحديد والنيكل والزنك والنحاس . فالقاعدة العلمية تقتضي منا أن نصنع خليطاً يشتمل على هذه العناصر وان نعرف مقدار كل منها . وأن نمتحن خواص هذا الخليط . ثم نحذف النحاس ونحل النحاس محلهُ . وبعد ذلك نمتحن الخليط الجديد . فاذا بدا أنهُ اشدُّ مقاومة للحرارة او أقل مقاومة لسير التيار الكهربي فيهِ أو غير ذلك عرفنا ان التغير في هذه الخاصة او تلك مردُّه الى وضع النحاس موضع النحاس . أما في التجارب النفسية التي يقصد بها امتحان القدرة على الاتصال الذهني عن بعد ، فاننا عاجزون عن السيطرة على جميع العوامل التي تدفع زيداً من الناس الى اختيار شيء معين أو قول معين . فقد يكون ذلك ناشئاً عن عادة ذهنية تعوَّدها أو عن تعرضه للتأثر بحالة طبيعية دون غيرها . واستخراج الاحكام العامة من تجارب لم تخضع جميع عواملها للسيطرة العلمية ، ليس عملاً علميًّا صحيحاً وكثيراً ما يقود الى الخطأ . ومن الاساليب المستعملة في التجارب الموصوفة بأنها تجارب علمية في دراسة انتقال الافكار اسلوب الاحتمال الرياضي . ففي أواخر القرن الماضي عمدت جمعية البحوث النفسية الى وضع سؤال وأذاعتهُ بغية معرفة الناس الذين حدَّثتهم نفسهم بوقوع شيء أو توقعهِ كالشعور

بوقاة صديق بين وفاته فرداً على السؤال ١٧ الفاً منها ١٣٠٠ أجابوا بالايجاب. فبحثت اجوبتهم بحثاً دقيقاً لمعرفة عدد الاشخاص الذين توفوا في خلال ١٢ ساعة من تمثل احد هؤلاء لصورهم. فوجد ان ٣٠ من الاشخاص الذين ظهرت صورهم للاعب والثلاثة توفوا في المدة المعيَّنة. أي إن نسبة الصحة بلغت ١ الى ٤٣. ولكن الاحتمال الرياضي في هذه التجربة المستخرج من جداول شركات التأمين هو نسبة ١ الى ١٩ الفاً. وهذا يعني انهُ اذا احسَّ كل من ١٩ الفاً بموت احد فالاحتمال وحده أو الاتفاق يقتضي صدق واحد من ١٩ الفاً وهذا احتمال قليلٌ جداً بالقياس الى نتيجة التجربة السابقة وهي ٤٣:١. فاتخذت هذه الحقيقة اساساً للقول بان هناك « انتقال أفكار » لأنهُ لو كان الاعتماد على الاتفاق فقط لكان احتمال الصدق واحد في ١٩ الفاً بينما واقع الصدق في التجربة ١ في ٤٣

إلاَّ ان هذا النوع من التفكير عرضة لمآخذ رياضية كثيرة. فجداول شركات التأمين تشمل جميع طبقات الناس. فاذا شئنا ان نأخذ الاحتمال المستخرج منها اساساً للمقابلة وجب ان لا نطبق هذه النسبة على طبقة بعينها من الناس دون غيرها. وكل ما يثبت من هذه الاحصاءات ان فريقاً من الناس ذا نزعة ذهنية خاص يجيب عن اسئلة من هذا القبيل. فاذا نقول في سائر الناس الذين لا يجيبون. وهل يجوز ان نأخذ معدَّل اصابة هؤلاء على انهُ معدَّل الشعب كله. بل هناك ما هو اهم من هذا. حتى هؤلاء الذين اجابوا وظهر ان نسبة صدق شعورهم بلغت ١ الى ٤٣، الا تحدثهم نفسهم مراراً كثيرة بما لم يقع بعد ذلك؟ ونحن عندما نحاول ان نستخرج الاحتمال الرياضي لدراسة ما، يجب ان ندخل في حسابنا جميع العوامل، والا كان الحساب خاطئاً. فنسبة الصدق في شعور هؤلاء لا يمكن ان تؤخذ على انها نسبة صحيحة الاَّ اذا ادخلنا في الحساب شعورهم في الحوادث التي صدقت والتي لم تصدق على السواء. فالنتيجة الرياضية — وهي التي تؤثر في نفس من لا يعرف اسرار حساب الاحتمال الرياضي — خاطئة

ثم أورد الكاتب في شيء من التفصيل تجارب الدكتور كوثر في جامعة ليلاند ستانفورد ووصف ما أحيطت به من الدقة والحيطة ثم أورد قول كوثر نفسهُ بان تجاربهُ لم تسفر عن اي أثر لانتقال فكر موضوعي من ذهن الى آخر. وبعد ذلك وصف الكاتب ما عرف عن تجارب ديوك وقال ان تفصيلاتها لم تنشر بعد ولكن ما نشر منها في مجلة علم النفس الشاذ والاجتماعي يدل على انها من قبيل تجارب كوثر ولكن نطاقها أضيق من نطاق تجاربه وعليها مآخذ علمية خطيرة الشأن. وختم الاستاذ مقالهُ بقوله « ان النتيجة في ما يتعلق بانتقال الافكار واضحة. في الوسع ان نؤكد انهُ لم يقم دليل ما يجيز الاعتقاد بان هناك شيئاً يدعى « تلبثي » وليس في ادق التجارب ما يشير الى وجوده ».

الأصول العلمية

الحديثة وتطبيقها على الزراعة في مصر

للدكتور حافظ عفيفي باشا

مدير بنك مصر (١)

أصبح تطبيق الأصول العلمية في ميادين الانتاج الاقتصادي أساساً جوهريًّا لكل نجاح حقيقي بأساليب الانتاج الزراعي والانتاج الصناعي يجب ان تكون خاضعة في جملتها وفي تفاصيلها للاصول العلمية الحديثة اذا اردنا ان نجني من الزراعة والصناعة أعظم الثمرات

وتطبيق الأصول العلمية على الانتاج الزراعي مسألة حيوية ولاسيما في بلد كمصر يعتمد على الزراعة كمورده الاساسي. ومن المسلَّم به ان مصر استطاعت في الثلاثين عاماً الاخيرة ان تخطو في ميدان الانتاج الزراعي من هذه الناحية خطوات طيبة ولكن لا يزال عليها ان تعمل الكثير في هذا الباب لكي تغدو قطراً زراعيًّا من الطراز الأول وهو ما تؤهله له تربتها الجيدة وخصبها الوافر وماؤها الغزير وتقاليدها الزراعية العريقة

فالفلاح المصري مع ما يتمتع به من خبرة وبراعة وجلد لا يزال يتبع نفس الأساليب الزراعية العتيقة التي كان يجري عليها آباؤنا منذ آلاف السنين ولا يزال يستعمل في فلاحة الارض وريها وفي جني المحاصيل وتهيئتها نفس الآلات العتيقة مثل المحراث والساقية والشادوف والنورج والمذراة وغيرها وهي أساليب غدت لا تأتلف مع العصر وطبيعة التقدم ومقتضيات الانتاج الزراعي السليم

ثم عمد سعادة المحاضر الى تلخيص ما تم من وجوه الاصلاح الزراعي في مصر منذ سبيل هذا القرن فأشار الى انشاء الجمعية الزراعية الملكية سنة ١٨٩٨ وما أسدته من خدمات جليلة الى البلاد ولاسيما ما كان متعلقاً من مباحثها بدود القطن وانتاج البذور وتربية الماشية وتحسين نتاجها والى انشاء مصلحة الزراعة سنة ١٩١٠ ثم تقدمها ونموها الى وزارة الزراعة سنة ١٩١٣ وما كان لها من أثر في اصلاح زراعة القطن وانتقاء البذور الصالحة وتحديد الانواع واستنباطها ودراسة أمراض القطن ومكافحة الآفات الزراعية والحشرات. ولم ينحصر عمل مأتقدم بل أيّاد سعادته بنواحي النشاط الزراعي في الثلاثين السنة الاخيرة. ومع ذلك فمجال الاصلاح لا يزال واسعاً في جميع نواحي الانتاج الزراعي والى القارىء أهمها

(١) ملخص محاضرة ألقاها في المؤتمر السنوي الحادي عشر للمجمع المصري لنقابة الطبية

الري والصرف

لمصر تستطيع فضلاً عما تسعى اليه الآن من تعميم الري والصرف ان تقوم في هذا الباب باصلاحات كثيرة واسعة النطاق

من ذلك العمل على ازالة تعاريج الترع والمصارف فالترع والمصارف التي عملت في الماضي كثيرة التعاريج . ومن الحقائق العلمية المعروفة ان الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين . والظاهر ان هذه القاعدة البديهية المعروفة لم تطبق تماماً عند انشاء الترع والمصارف القديمة . وهذه التعاريج تستغرق مساحات كبيرة من الاراضي الخصبة وتعوق سير المياه فيها والاسباب التي دعت في الماضي الى عمل هذه التعاريج وأهمها تجنب قسمة الأملاك يجب ألا يقام لها اليوم وزن أمام المصلحة الكبرى التي تقضي بأن تشق الترع والمصارف وفقاً للاصول الهندسية الحديثة وهو ما يترتب عليه توفير مساحات كبيرة من الاراضي تقتضيها التعرجات بلا مسوغ واطلاق المياه بالسرعة اللازمة ولا سيما في المصارف . أما قسمة الأملاك وهو امر لا مفر منهُ اذا أردنا ان تنفذ مشاريع الري والصرف الحديثة فلن تعدم الحكومة الوسائل الاختيارية أو الجبرية لتلافي الاضرار الناشئة عن هذا التقسيم وعمل التسويات اللازمة بين الملاك بطريق البدل وغيره

وقد آن الوقت لاصلاح وسائل الري اصلاحاً ناجعاً والعمل على رفع المياه من الترع بآلات حديثة وتوفير هذا الجهد البشري الكبير الذي ينفق عبثاً في استعمال الآلات الثقيلة كالساقية والشادوف والدالة وغيرها وانقاذ الماشية من ذلك الجهد العنيف الذي تبذلهُ في ادارة الساقية والثابوت فيفتدها حلها ولبتها

وهذا الاصلاح يمكن تحقيقه باستعمال آلات الري الميكانيكية الحديثة واستعمالها ميسور في الملكيات الكبيرة وهي تستعمل فيها فعلاً ولكنهُ استعمال ضيق النطاق . أما متوسطو المزارعين وصغارهم فقلما يستعملون هذه الآلات وفي وسعهم الاستفادة من استعمالها عن طريق التوسع في التسليف الزراعي أو عن طريق جمعيات التعاون التي تؤلف منهم لهذا الغرض والتي يجب عليها أن تقوم بشراء آلات الري الكافية للنهوض بحاجة القرية أو القرى المجاورة اذا أمكن، وتقرر لري الفدان اجوراً تفي بنفقات الادارة والاستهلاك

فاذا تعذر تحقيق هذه الغاية عن طريق الجمعيات التعاونية فلتعمل الحكومة على تعميم هذا النظام الذي بدأته في بعض المناطق فأسفر عن نتائج حسنة ومن السهل عليها ان تحصل ماتنفقه في هذا السبيل من الاجور التي تقررها للري ويمكن تحصيلها الى جانب الضرائب الحكومية دون ان يكلفها ذلك نفقة اضافية او جهداً جديداً

وما يقال في الري وآلاته يقال ايضاً في باقي العمليات الزراعية من حرث وفلاحة وتقصيب

ودرس وتذرية وغيرها فان الآلات المتبقة التي لا يزال يستعملها من المحراث والقصاصة والنورج والمذراة وغيرها تستفيد من الزراع والماشية جهوداً شاقة لا تتفق وتتأخها الصنيعة

ولسنا ندري في الواقع لماذا لا يستعمل الزارع المصري في جميع هذه العمليات ما أنتجهُ العلم الحديث من آلات متعددة سهلة الاستعمال قليلة الكلفة تنقذه من تلك الجهود الشاقة التي تحطمهُ وتحطم ماشيته دون مسوّغ

قد يقال وما فائدة الماشية للزراع بعد ذلك ؟ وجوابي على هذا ان الزارع يستطيع ان يستغل ماشيته أحسن استغلال فانها متى استراحت زاد لبنها وتحسن نسلها ونوع لحمها وهو سيجني من تربيتها عندئذٍ اضعاف ما يجنيه بارهاقها في الاعمال الشاقة التي تسخر فيها الآن . ودليلنا على ذلك ان البقر لا يستعمل في اوربا في فلاحة الارض . ومع ذلك فان تربية البقر تأتي في كثير من البلاد بارباح وفيرة بل هي تعتبر ثروة أساسية في بعض البلاد الزراعية مثل هولندا والدانمارك . هذا فضلا عما للسماد الطبيعي من شأن وضرورة للعمل على اكثاره في المستقبل . وهذا يستدعي بالطبع الاكثار من تربية الماشية وتحسين انواعها طبقاً للاصول العلمية الحديثة وهو ما يهتم به وزير الزراعة الحالي اكبر اهتمام . واخيراً فان الفلاح سيحتاج على كل حال الى استعمال جسده للماشية في اعمال كثيرة اخرى غير تشغيلها في النورج والساقية

اختيار بذور الزرع

ومن جهة اخرى فانهُ لا يزال امام وزارة الزراعة مجال واسع للاصلاح والعمل . فقد قامت هذه الوزارة والجمعية الزراعية كما قدمنا بكثير من البحوث النفيسة في ما يخصُّ بذور القطن واختيارها وتجديدها وحماية شجيراته من الآفات والحشرات واستنبطت انواعاً كثيرة من القطن الجيد ، والزام الزراع في ما يتعلّق بزراعة القطن واختيار بذوره بكثير من الواجبات التي يقتضيها الانتاج الجيد ولكن هذه العناية التي بذلت لترقية زراعة القطن ترجع قبل كل شيء الى ضغط المشترين الاجانب

والدليل على ذلك ان الابحاث المشابهة التي قامت بها وزارة الزراعة في ما يخصُّ الحبوب واصنافها واختيار بذورها لم تترتب عليها الى اليوم نتائج عملية تذكر لان الزارع لا يزال في زراعة الحبوب حرًّا من كل قيد . ولا يزال يزرع الاصناف القديمة ويستعمل البذور الرديئة المتعددة فهو يزرع من القمح ومن الذرة عشرات الاصناف بل كثيراً ما يزرع الفلاح الواحد في حقله الصغير الذي لا يزيد عن الفدان او الفدانين من القمح او الذرة مزيجاً من الاصناف المختلفة بحيث يتعذر ان تعين مثل هذا المحصول صنفاً او رتبة

ولكن العلم الحديث يجعل من اختيار البذور الصالحة اهم اساس للانتاج الزراعي ومن

الواجب ان تتجه البحوث دائماً الى اختيار افضل انواع البذور التي تقل اوعرضة وتستطيع في الوقت نفسه ان تقاوم شجيراتها أحوال الاقليم وجميع الآفات التي تصيبها . واذا كانت وزارة الزراعة قد عنيت ايضاً بالبحوث الخاصة بالحبوب واختيار بذورها فانهُ يجب أيضاً ان يتخذ ما يجب لالزام الزراع باختيار البذور الصالحة وفي الوسع الوصول الى هذه النتيجة اما بان تحتكر وزارة الزراعة بيع النقاوي المختلفة واما بان تعين في كل مركز عدداً من التجار وتزويدهم بالمقادير اللازمة من أنواع النقاوي المختارة وان تراقبهم مراقبة فعالة وان تحدد لهم أثمان هذه النقاوي بصورة تحول دون رفعها إضراراً بمصالح الزراع وان يسمح لصغار الزراع في نفس الوقت ان يستبدلوا بمحاصيلهم المقادير اللازمة لهم من هذه النقاوي مع دفع الفرق في الثمن

وعندي انه يجدر بالحكومة ان تساعد صغار الزراع على استعمال البذور الجيدة الصالحة ولو مدةً من الزمن وذلك بان تتحمل الخزانة العامة فرق الثمن بين البذور التي يستعملونها الآن وبين البذور الصالحة . وما تنفقه الحكومة في هذا السبيل يعتبر ضئيلاً بالقياس الى ما تجنيه البلاد والاقتصاد القومي من الفوائد الجليلة ، وما لم يحقق هذا الالزام في اختيار البذور لتشتى انواع المحاصيل من الحبوب والخضروات والبقول والفاكهة — فان الزارع سيبقى على اختيار البذور الرديئة وانتاج المحاصيل السيئة سواء من حيث المقدار أو النوع

وانه ليكفي ان نقارن بين حالة مصر وهي من أخصب بلاد العالم وأغناها من حيث التربة والاقليم وبين حالة بلاد زراعية صغيرة — مثل دانمارك وهولندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقيا — لا تتمتع بكثير مما تتمتع به مصر من المزايا الطبيعية ، لنرى الفرق الشاسع بين ما تجنيه هذه الامم الصغيرة التي تطبق في انتاجها أحدث الأساليب العلمية من ثروات طائلة من زراعتها ومنتجاتها الزراعية وبين ما تخسره مصر بسبب تخلفها في هذا الميدان

زراعة الفاكهة وتنظيم التصدير

سبق ان أشرنا الى المساعي التي بذلت للتوسع في زراعة الفواكه وترقيتها . ونزيد هنا ان هذه المساعي مع ما ترتب عليها من نتائج مشكورة لا تزال دون ما ينبغي ودون ما يمكن عمله في هذا الباب

ان زراعة الفاكهة يجب ان يراعى فيها الى جانب حاجة الاستهلاك المحلي حاجة الاسواق الخارجية سواء من حيث الصنف أو المقدار . وفي اعتقادي ان مصر تستطيع ان تجني من إصدار الفاكهة الى الخارج ارباحاً طيبة اذا استطاعت ان تنظم زراعتها وإصدارها تنظيماً حسناً ولمصر في ذلك مزايا ظاهرة يمكن اجمالها فيما يلي : —

أولاً — موقعها الجغرافي . فهي تستطيع لغيرها من أوربا ان تنافس كثيراً من البلاد البعيدة التي تصدر الفواكه الى اوربا مثل جنوب افريقية واميركا وجزائر الهند الغربية

ثانياً — ان لمصر مزية موسمية فالفواكه تنضج فيها في مواسم معينة قبل ان تنضج في بلاد اوربا الجنوبية مثل اسبانيا وايطاليا واليونان — وهي التي تنافس مصر في تموين اوربا بالفاكهة في فترة من الزمن

ثالثاً — ان التربة المصرية أصلح من غيرها لزراعة بعض اصناف الفاكهة كالموالح وهي تنتج منها انواعاً أجود كثيراً من الانواع المماثلة لها التي تنتجها اوربا الجنوبية فالبرتقال المصري مثلاً أجود كثيراً من البرتقال الايطالي والاسباني

فهذه المزايا كفيلة بأن تفتح للفاكهة المصرية في الخارج أسواقاً عظيمة ولكننا من الأسف لم نوفق حتى اليوم الى تنظيم الاصدار تنظيماً علمياً . ونريد ان نفهم عملية الاصدار هنا بأوسع معانيها. فهذا التنظيم يقتضي أولاً أن نبدأ بالعمل على زراعة الاصناف المحققة رواجها وان نزرع منها بالقدر المناسب من الناحية التجارية وان نبذل كل ما يمكن بذله لاجادة انتاجها . كما أنه يقتضي تنظيم كل ما يتعلق بالاصدار منذ تسلم المحاصيل من الحقل الى ان تصل الى ايدي المستوردين في اوربا . ويشمل ذلك جني المحصول وفرزه وتعبئته وفقاً للاساليب الحديثة ثم شحنه في بواخر تعد لذلك على القواعد الحديثة وتوزيعه في الاسواق الخارجية تبعاً لحاجتها. فهذه المسائل جميعاً لا تزال بحاجة الى الدرس والتنظيم والتنسيق وفي الوسع أن نعمل كثيراً لتحسينها وترقيتها. وأمامنا كثير من البلاد التي سبقتنا في هذا الميدان مثل الولايات المتحدة وجنوب افريقيا واستراليا وزيلندا الجديدة وغيرها من البلاد التي تنتج الفاكهة وتصدرها . ومن الممكن ان نقتبس كثيراً من نظم هذه البلاد في انتاج الفواكه وتصريفها . وقد شرحت بعض هذه النظم في كتابي «على هامش السياسة» فمثلاً يمكن تنظيم الاصدار على أساس تعاوني وأن تنشأ لذلك الغرض جمعيات تعاونية في مختلف مناطق زراعة الفاكهة على ما هو متبع في البلاد التي ذكرناها . فاذا لم تنجح هذه الطريقة واعتقادي انها لن تنجح الى سنوات عديدة مقبلة فمن الضروري عندئذ ان تتولى الحكومة هذا الامر بنفسها

وما يقال في تنظيم انتاج الفاكهة وإصدارها يقال كذلك في الخضروات . وفي وسع مصر ان تجني فوائد محققة من اصدار بعض الخضر والبقول الموسمية الرائجة في الاسواق الاوربية . وهذه الحركة التي لا تزال في بدايتها يمكن ان تتسع وتنمو نمواً عظيماً اذا احسن تنظيمها . كذلك تستطيع مصر للاسباب المتقدمة أن يكون لها شأن يذكر في تجارة الازهار ولا سيما في تجارة الورد في فصل الشتاء حيث يصل ثمن الوردة الواحدة الى مليمين أو ثلاثة في انكلترا

مسألة النقل البحري

واذا كانت الحكومة قد اهتمت في الاعوام الاخيرة بمسألة تنظيم تعبئة الفاكهة وشحنها فانهُ لا يزال عليها ان تعالج موضوعاً خطيراً هو حلقة مهمة في عملية الاصدار وهو موضوع النقل البحري واعداد البواخر اللازمة لنقل الفاكهة والخضروات والازهار

فقد اهتمت جميع البلاد التي تصدر هذه الاصناف باعداد بواخر خاصة مهيأة بجميع الوسائل اللازمة لنقل هذه الاصناف دون اتلافها بالحرارة او البرودة في اثناء السفر ولقد شاهدت سلسلة من الابحاث العلمية تجري في المعهد العلمي الامبراطوري باكلترا لمصلحة استراليا وجنوب افريقيا وزيلندة الجديدة لتقدير درجة الحرارة او البرودة اللازمة لكل صنف من اصناف الفاكهة والخضروات والازهار . ذلك انهُ لوحظ بالتجربة ان درجة الحرارة الواجب توافرها في عنابر الفاكهة في البواخر تختلف باختلاف انواعها فدرجة الحرارة او البرودة اللازمة لحفظ الموز تختلف تماماً عن درجتها لحفظ البرتقال . والدرجة اللازمة لحفظ البرتقال تختلف عن الدرجة اللازمة لحفظ التفاح وهلم جرًّا . وقد سجلت هذه التجارب التي تعمل في داخل باخرة بنيت فوق الارض درجات الحرارة اللازمة لحفظ مختلف اصناف الفواكه والخضروات والازهار . ولوحظت نتائجها عند تجهيز البواخر المعدة لنقل هذه الاصناف وكان من نتائجها ان اصبح من الممكن ان يصل الى انكلترا تفاح نيوزيلندة وبرتقال جنوب افريقيا بعد سياحة تستغرق شهراً أو ستة أسابيع وهي في حالة جيدة وتبقى كذلك المدة اللازمة لتصريفها واستهلاكها

وقد آن لنا ان نعنى بمثل هذه الابحاث الهامة . وان نسترشد بها في تنظيم تصدير محاصيلنا كما آن لنا ان نعنى بمسألة نقل المحاصيل بجميع أنواعها بالوسائل الحديثة التي تجمع بين السرعة والمحافظة على سلامة الاصناف المنقولة مع اعتدال الاجور

وقبل هذا النحو الحكيم من وصف العيب واقتراح الاصلاح عالج الحاضر موضوع توزيع المحاصيل في الخارج والداخل ومشكلة النقل الداخلي وطرقه من طرق زراعية وسكك حديدية وملاحة نهرية وبما قاله في موضوع الصوامع ومخازن الحبوب : —

اذكر ما قرأته مرة لأحد الباحثين وهو ان مصر تخسر من تخزين الحبوب بهذه الطريقة ما لا يقل عن ١٢ في المائة من وزن هذه المحاصيل . وقرأت أيضاً في ورقة رسمية من أوراق وزارة التجارة انا نخسر من طريقة تخزين الحبوب الحالية ما لا يقل عن مليون واصف من الجنيهات . ولست أعرف طريقة البحث التي اتخذت أساساً لهذا التقدير وهل روعي فيه الى

جانب الخسارة في الوزن مقدار الخسارة في انحطاط النوع . ونقصد بذلك ان القمح الذي أصيب بالتسوس مثلاً يخف وزنه ولكن هناك خسارة نوعية أخرى وهي ان مثل هذا القمح ينقص ثمنه لانحطاط نوعه وقلة الطلب عليه . اذ لاريب ان عدد الراغبين في أكل الخبز المصنوع من الدقيق الممزوج بالسوس قليل

واني لأرجو ان تقوم المصالح المختصة ببعض التجارب الدقيقة في هذا الباب لتقدير خسارة مصر الحقيقية من تخزين حبوبها بهذه الطريقة تقديراً علميًّا يراعى فيه بكل دقة ولمدة طويلة من السنة ما يوجد من الفوارق بين هذه الحبوب وبين الحبوب المماثلة التي تحفظ في صوامع صغيرة تنشأ لمثل هذه التجارب

أجل هناك عقبات كثيرة هي التي حالت حتى اليوم دون انشاء هذه الصوامع وهذه العقبات نوعان . فالعقبة الاولى والاساسية هي التي سبق ان أشرنا اليها وهي ناشئة عن كثرة بذور الحبوب المزرعة وعدم تحديد أنواعها تحديداً دقيقاً والاكتفاء منها بانواع قليلة جيدة . فليس من المعقول ان تنشأ الصوامع ثم تملأ بأصناف مختلفة من القمح فيكون ذلك سبباً في نزول أثمان الاصناف الجيدة منها الى مرتبة الاصناف الرديئة كما انهُ ليس من المعقول ان ننشىء صوامع لكل نوع من انواع الحبوب التي تزرع في مصر الآن . واذاً فلا بد ان نقوم اولاً بتنظيم اختيار البذور حسبما أشرنا ولن نستطيع انشاء الصوامع قبل ذلك واذا انشئت فلن ننتفع منها على النحو المرغوب فيه

والعقبة الثانية وهي ليست صعبة الحل هي مسألة من يقوم بانشاء هذه الصوامع ومن أين نأتي بالاموال اللازمة لانشائها . وعندي انهُ ليس من عمل الحكومة ان تقوم هي بانشائها أو ادارتها بل يجب ان تستعمل الحكومة في الوقت المناسب نفوذها لاقناع البنوك وكبار التجار بأن يقوموا بهذا العمل فرادى أو جماعات

ولا بأس من ان تبدأ بذلك بعض المصالح الحكومية التي تتولى عملاً زراعيًّا كمصلحة الاملاك الاميرية مثلاً أو يبدأ به بنك التسليف الزراعي . ولست اشك في أن التجربة الاولى متى نجحت فانها سوف تنتهي بعد قليل الى أن تكون نموذجاً ينسج على منواله في كل مكان وفي اقرب الاوقات

وختم بقوله « لقد حاولت ان اختصر هذا البحث المتشعب الاطراف في أضيق الحدود كما حاولت ان أشرح في كلمات قليلة النقط الاساسية في موضوع خطير فارجو ان أكون وفقت فيما قصدت »

السيرة

في الفن الاسلامي

للدكتور زكي محمد حسن
مدرس الآثار الاسلامية في جامعة فؤاد الاول

صح عند بعض الباحثين من المحدثين أن ما ورد في الاحكام الاسلامية خاصًا بالنحت والتصوير لا يفيد التحريم القاطع، وقد ذهبوا في تأويل ما ورد من الأحاديث وتخفيفه مذاهب شتى تنطي ان تحر لاشتغال بهذا الفن لم يكن إلاّ تمثيلاً للرأي السائد بين الفقهاء في بداية القرن الثالث الهجري

والرأي عندنا ان النبي عليه السلام، والخلفاء الراشدين من بعده، ثم المتمسكين بالدين من بني أمية هو ما عن التصوير ليحموا المسلمين من الأصنام والتماثيل والصور التي قد تقود البسطاء الى نسيان الخالق او اتخاذها وساطة له، او عبادتها لذاتها، فضلاً عن ان رجال الدين كانوا يضرون عمل الصور او التماثيل محاولة متطاولة في تقليد الخالق عزّ وجل

وقد كانت كراهية التصوير عامة بين رجال الدين من سنيين وشيعة، وليس صحيحاً ما يزعمه البعض من ان المذهب الشيعي لا يعترف بهذا التحريم. فالواقع ان في كتب الحديث الشيعية أحاديث تحريم التصوير، وان حكم رجال الدين من الشيعة هو عينه حكم أهل السنة في كراهية الصور والتماثيل

على ان تحريم التصوير في الاسلام لم يقض على هذا الفن قضاء تامًا. ونظرة الى تاريخ الفنون الاسلامية تقنعنا بأن بعض القوم في كثير من الاحيان لم يكترث لهذا التحريم، وان هذا التهاون كان يحدث في شتى أقاليم الامبراطورية الاسلامية. فازدهر فن التصوير في بعضها، ولاسيما في الاقاليم التي كانت لها تقاليد فنية عظيمة في النحت والتصوير، كايران، وفي البلاد التي تأثرت بايران في هذا الصدد، وخضعت في بعض حقبات التاريخ لنفوذها الثقافي، كالهند وتركيا، ومصر في عصر الدولة الفاطمية

ولكن الذي لا شك فيه ان الاسلام — كشريعة سوى — لم يتخذ الفن عنصراً من عناصر الحياة الدينية، ولم يشمله برعايته، فان تحريم الصور الآدمية، إن لم يكن لوحظ واتبع

شكل ٦ – صورة خيالية تمثل قصة المعراج

شكل ١ — صورة خيالية لمولد النبي صلى الله عليه وسلم

شكل ٢ — صورة خيالية تمثل النبي عليه السلام ، مع الراهب بحيرى

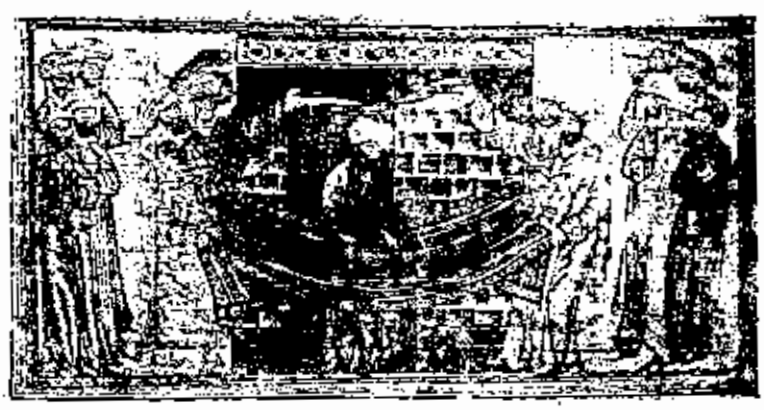

شكل ٣ — صورة خيالية تمثل النبي عليه السلام يحمل الحجر الأسود ليضعه في مكانه

تراجع هذه الصور مع مقال الدكتور
زكي محمد حسن مدرس الآثار الإسلامية في
كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (ص
٢٨٨ من هذا الجزء)

شكل ٤ — صورة خيالية للنبي عليه السلام يتلقى الوحي في غار حرا

شكل ٥ — صورة خيالية تمثل النبي عليه السلام ومعه أبو بكر الصديق
في الغار ، يوم الهجرة النبوية

في كل العصور والاقطار الاسلامية ، فقد كان دون استخدام التصوير في المصاحف وفي المعائر الدينية كالمساجد والأضرحة — اللهم إلا في حالات نادرة جداً — فأصبحت المساجد والمكتب خالية من صور يستعان بها على شرح العقيدة وتقريبها الى المؤمنين ، او على توضيح تاريخ العقائد الدينية وسيرة أبطال الملة ، كما في المسيحية والبوذية والمانوية

أجل ، إن بعض المسلمين من ذوي الافكار الحرة والتسامح الديني كانوا يرون — منذ العصور الوسطى — ان تحريم التصوير في فجر الاسلام كان يقصد به محاربة عبادة الاوثان التي كان المسلمون لا يزالون حديثي العهد بتركها ، وأما بعد أن توطدت دعائم الاسلام وتغيرت حال المسلمين الاجتماعية فليس في التصوير ما يخالف تعاليم الدين الحنيف وأصوله . وصحيح أن الايرانيين كانوا اكثر الشعوب الاسلامية مخالفة لتعاليم الاسلام في النهي عن التصوير ، ولكن رجال الدين في ايران كانوا يكرهون التصوير والمصورين ، شأنهم في ذلك شأن رجال الدين في سائر انحاء العالم الاسلامي . وهكذا نرى ان الاسلام لم يكن فيه فن ديني قط ، اللهم الا اذا حسبنا عمارة المساجد والأضرحة وكتابة المصاحف بالخط الجميل

ولكن بعض المصورين الايرانيين عرضوا — فيما رسموه من الموضوعات — الى بعض الحوادث ذات الصبغة الدينية فصوّروا الرسل والأنبياء ، صوّروا محمداً صلى الله عليه وسلم وأتوا برسم خيالي له في صور توضح بعض حوادث السيرة النبوية ، على نحو الصور التي رسمها المصورون الغربيون في العصور الوسطى لتوضيح بعض الحوادث في سيرة السيد المسيح عليه السلام أو اتباعه من الرسل والقديسين

وطبيعي ان الصور ذات الموضوعات الدينية نادرة جداً لأنه اذا كان محرماً رسم الكائنات الحية بوجه عام ، فكم يكون محرماً ومحتوماً ان يصور خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم

وأكبر الظن ان الفنانين لم يحاولوا في فجر الاسلام ، ان يصوروا اي حادث من السيرة النبوية ، فان اقدم الصور التي نعرفها في هذا الميدان ليس بينها ما يرجع الى ما قبل القرن الثامن الهجري ، (الرابع عشر الميلادي)

ولكننا نعرف حديث صورة للنبي عليه الصلاة والسلام رآها سائح عربي في الصين إبان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وأشار اليها المسعودي في « مروج الذهب » ، في الفصل الذي عقده للحديث عن ملوك الصين . قال بعد الكلام عن رجل قرشي من ولد عمار بن الأسود انتهى به المطاف الى بلاد الصين فاستدعاه ملكها عند ما علم بقرابته من نبي العرب صلى الله عليه وسلم :

« ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك إن رأيته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال القرشي : وكيف لي برؤيته وهو عند الله عزّ وجل ، فقال لم أرد هذا وانما أردت صورته

فقلت أجل فأمر بسفط فأخرج فوضع بين يديه فتناول منهُ درجاً وقال للترجمان أره صاحبه فرأيت في الدرج صور الأنبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ..... نوح عليهِ السلام في سفينة ..... وموسى عليهِ السلام وبنو اسرائيل ..... وعيسى بن مريم عليهِ السلام ، على حماره والحواريون معهُ ..... ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليهِ وسلم على جمل وأصحابه محدقون بهِ في أرجلهم نعال عربية من جلود الإبل وفي اوساطهم الحبال تدعلقوا فيها المساويك»

وليس ببعيد الاحتمال ان تكون هذه الصور قد وجدت حقًّا وقد يكون صانعوها من اهل الصين انفسهم ، والمعروف ان علاقتهم التجارية ببلاد العرب ترجع الى العصور القديمة كما يحتمل ان تكون من صناعة النساطرة الذين نزحوا من الشرق الادنى واستقروا في الصين منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي)

على ان اقدم الصور التي وصلتنا لبعض حوادث السيرة النبوية موجود في مخطوط من كتاب « جامع التواريخ » للوزير رشيد الدين ، جزء منهُ محفوظ في الجمعية الأسيوية بلندن والجزء الآخر في مكتبة جامعة ادنبره باسكتلندة . وهذا المخطوط مؤرخ بين عامي ٧٠٧ و ٧١٤ بعد الهجرة (١٣٠٧ — ١٣١٤) وفي صورهِ موضوعات من السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي ، والاتحيل وتاريخ الهند والديانة البوذية ولا عجب فقد كان هذا الكتاب يشتمل على التاريخ العام الذي كان معروفاً في ذلك الحين

ولا تزال في المخطوط المذكور ، صور خيالية ، تمثل أحداها مولد النبي صلى الله عليهِ وسلم ، وعليها العبارة الآتية باللغة الفارسية : « ولادت همايون بادشاه كائنات عليهِ السلم » (انظر شكل ١) وتمثلهُ الصورة الثانية في الشام حين رآه الراهب بحيرا ، وتنبأ له صلى الله عليهِ وسلم بالشأن العظيم (شكل ٢) . أما الصورة الثالثة ففيها رسمه عليهِ السلام يحمل الحجر الاسود ليضعهُ في مكانهِ من الكعبة ، بعد أن حمله زعماء مكة على نسيج يمسك كل منهما بطرف منهُ (شكل ٣) . وفي الصورة الرابعة رسمه صلى الله عليهِ وسلم يتلقى الوحي من سيدنا جبريل في غار حراء (شكل ٤) . أما الخامسة فتمثلهُ مع أبي بكر الصديق في الغار ، وبجوارهما سيدة تحلب شاة ، وذلك أثناء الهجرة النبوية الى يثرب (شكل ٥) . أما الصورة السادسة فتمثل حادث المعراج

والواقع أن قصة المعراج كانت أحب قصص السيرة النبوية الى الايرانيين فرسموها في عدد كبير من الصور والمخطوطات ، ولكننا لا نعرف صورة لهذه القصة أصاب فيها الفنان حظًّا من التوفيق والسمو أوفر من صورة المعراج في مخطوط من المنظومات «الخمس» للشاعر نظامي كتب في تبريز بين عامي ٩٤٦ و ٩٩٤ هـ (١٥٣٩—١٥٤٣) للشاه طهماسب يد الخطاط المشهور شاه محمود النيسابوري ، ويفخر اليوم بحيازته المتحف البريطاني . فان الناظر يؤخذ لأول وهلة بابداع

ألوان هذه الصورة وجلال مظهرها (شكل ٦) . ويرى فيها السماء بسحبها البيض ، والنبي عليه السلام راكباً فرسه « البراق » ذات الوجه الآدمي . وفي يمين الصورة بالجزء السفلي ترى الارض التي تركها النبي وحولها غلاف ابيض كروي وأمام النبي سيدنا جبريل يقود الركب في السموات وبين الرسول وسيدنا جبريل ملك يحمل مبخرة معلقة في عصا ويخرج منها لهب ذهبي . وعلى يسار النبي صلى الله عليه وسلم ملك آخر يحمل صحناً فيه بخور يحترق ، وفي الصورة ملائكة آخرون يحمل بعضهم أطباقاً من الجواهر والفواكه وفي يد أحدهم تاج ثمين

وصفوة القول أن في هذه الصورة خيالاً واسعاً وحركة وحياة تجعلها من أبدع آيات التصوير الايراني كما أننا نلاحظ في رسم النبي عليه السلام ما اتبعه الفنانون الايرانيون في معظم الاحيان من إخفاء ملامح الرسل ، وذلك على عكس رسمه في الصورة المحفوظة في كتاب جامع التواريخ ، فان المصور لم يتبع فيها هذه القاعدة ، وانما ابتدع رسماً خيالياً للنبي عليه السلام ملؤه الجلال والوقار ، ولم يحطه بهالة من النور ، كما كان الفنانون يفعلون في معظم الاحيان حين يرسمون الرسل والانبياء

وثمت مخطوط آخر فيه بعض صور من السيرة النبوية وهو نسخة من كتاب « الآثار الباقية » للبيروني محفوظة في مكتبة جامعة ادنبره ومؤرخة من سنة ٧٥٧ هـ (١٣٠٧ — ١٣٠٨) . وفي إحدى هذه الصور نرى رسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحول رأسه هالة من النور ، وقد امتطى جملاً وبجواره السيد المسيح عليه السلام ، ممتطياً حماراً

كما نرى في مخطوط ثالث من كتاب « روضة الصفا » لميرخواند صورة النبي في الكعبة يوم الفتح يحطم الاصنام وقد رسمه المصور يحمل سيدنا علياً فوق كتفيه ليصل الى الاصنام العالية فيتناولها ويلقي بها على الارض ، كما نرى في المخطوط نفسه رسماً يوضح حادث غدير خم بعد حجة الوداع ، وهو الذي يذهب الشيعة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عنده بالخلافة للامام علي كرم الله وجهه . ونلاحظ في هذه الصورة ان الفنان رسم حول رأس الامام علي هالة من النور ، مما يدل على انه كان فناناً شيعي المذهب

وثمت مخطوطات أخرى فيها صور بعض الحوادث من السيرة النبوية ، حسبنا ان نشير الى وجودها ، وان نستنبط منها ومن غيرها ان الفنانين الايرانيين وتلاميذهم عمدوا في بعض الاحيان الى السيرة ، فرسموا بعض حوادثها ، لتوضيحها وتحلية المخطوطات التي كانت تسردها على نحو ما وضحوا بالصور قصص الرسل الآخرين . واذا استثنينا حادث غدير خم ، وهو الذي يعتقد به الشيعة ، فان سائر ما صوره الفنانون من السيرة يشمل بعض الاحداث العظيمة الشأن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

السيادة المصرية

وموقف مصر كعضو في أسرة الدول

بحث لمحمود كامل المحامي

عني أساتذة القانون الدولي العام منذ عهد بعيد ، بحصر حقوق الدول وواجباتها، وتقسيمها الى حقوق أصلية وحقوق فرعية . وقد انعقدت لهذا الغرض عدة مؤتمرات اميركية وأوربية ، أصدرت قرارات حاولت فيها تعريف تلك الحقوق وحصرها ، وأهم هذه القرارات التصريح الذي أصدره « مجمع القانون الدولي » الاميركي ، في اول اجتماع له في واشنطن في ٦ يناير سنة ١٩١٦ ، وهو الذي نصّ فيه على ان « لكل شعب حق البقاء ، وحق الحماية ، وحق صيانة كيانه » [1] ، والتصريح الذي أصدره « اتحاد القانون الدولي » في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٦ ، وهو الذي نصّ فيه على ان « الدولة لها حق الصيانة ، وحق استمرار البقاء »[2]. والتصريح الذي أصدره « مجمع القانون الدولي » في اكتوبر ١٩٢١ ، بناء على مشروع وضعهُ العلامة الفرنسي « دي لابراديل » De Lapradelle ، وهو الذي تنص المادة الاولى منهُ على ان « كل شعب انتخب لنفسه على الارض التي يشغلها حكومة قادرة في الداخل على ان تحتفظ بالأمن وفي الخارج على ان تتعاون على اعلاء العلاقات المطردة التقدم المبنية على المثل الدولية العامة والعدالة والسلم ، له حق الاعتراف به دوليًّا كدولة » [3]

---

(١) المادة الاولى "Toute nation a le droit d'exister, de proteger et de conserver son existence" (راجع صفحة ٤٠١) طبعة سنة ١٩٢٢

(٢) المادة الاولى "L'état a le droit de conserver et de perpetuer son existence"

(٣) "Tout peuple qui s'est donné sur le territoire qu'il occupe un gouvernement capable, à l'interieur, de maintenir l'ordre, à l'exterieur de coopérer à l'organisation de plus en plus developpée des relations fondées sur l'utilité commune, la justice et la paix. Le droit à la reconnaissance internationale de sa nation comme Etat

هامش صفحة (٤٠٢) راجع ، طبعة سنة ١٩٢٢

ومن هذا النص الذي وضعهُ العلاّمة « ده لا براديل » يتضح ان عنصر سعدوة الدولة على حفظ الأمن فيها ، أي عنصر حمايتها من الاخطار الداخلية ، ضروري لتكوين الدولة ، فهو يعتبره اكثر من حق ، لانهُ شرط رئيسي لامكان الاعتراف بشعب ما كدولة

وقد عرف فوشي حق الصيانة بقوله « ان الدولة لها دون شك الحق في ان تتخذ جميع الاجراءات التي تضمن بقاءها ضد الاخطار التي تهددها » (١)

وذكر العلامة اوبنهايم ان « حق الصيانة عامل على جانب عظيم من خطر الشأن في وضع الأمم بين اعضاء الأسرة الدولية . ومعظم الكتاب يصرون على ان لكل دولة حقًا جوهريًا في صيانة نفسها » (٢)

ولن أستطيع هنا ان أشير حتى ولا الى القليل من الآراء التي تجمع على ان لكل دولة مستقلة حق البقاء والصيانة ، فهو حق بديهي لا يمكن لدولة ان تدعي أنها عضو في الأسرة الدولية ، مساور لباقي الاعضاء ، اذا لم تكن متمتعة به

فهل كانت مصر متمتعة بهذا الحق قبل معاهدة «الزعفران» التي وقّعت في اغسطس ١٩٣٦ ؟

إن لهذا الحق في شروح القانون الدولي العام كما رأينا من تعريف « ده لا براديل » مظهرين: احدهما مظهر داخلي ، وآخر خارجي . أما المظهر الداخلي ، فهو حق الدولة في تنظيم المهاجرة منها واليها ، وابعاد الاجانب (٣) الذين ترى في بقائهم على أرضها خطراً على أمنها ، اي خطراً على حقها في صيانة نفسها . لان ابعاد المصريين غير جائز بمقتضى الدستور المصري ، كما انهُ غير جائز عند غيرنا من الدول

فهل لمصر حق ابعاد الاجانب الذين ترى السلطات المشرفة على الامن العام، أنهم يهددون أمنها وطمأنينتها ؟

إن الامتيازات التي كان يتمتع بها رعايا الدول الممتازة الاربع عشر ، كانت تسلب مصر هذا الحق البديهي الجوهري . . . وهو حق الصيانة . فلم يكن للحكومة المصرية حق ابعاد أجنبي ممتاز ، الا بموافقة القنصل الذي يمثل الدولة التي ينتمي اليها الشخص المراد ابعاده . ولم

---

(١) "Un état a incontestablement le droit de prendre toutes les mesures destinées à garantir son existence contre les dangers qui le menacent"
— فوشي صفحة (١١٠) طبعة سنة ١٩٢٢

(٢) "Self preservation is a factor of great importance for the position of the states within the Family of nations and most writers maintain that every state has a fundamental right of self—preservation"
— صفحة ٢١١ من كتابه طبعة سنة ١٩٢٠

(٣) Expulsion

يكن ميسوراً ان تتوصل الحكومة المصرية الى الحصول على تلك الموافقة التي تعتبر — وحدها — عدماً لذلك الحق الاول من حقوق الدولة ، وبالتالي اهداراً لشخصية مصر الدولية

وتطور نظام ابعاد الاجانب بعد ذلك ، فتمكنت الحكومة المصرية من ان تبتدع نظاماً شاذاً ، عام ١٨٦٦ ، اذا اتفقت مع قناصل الدول الممتازة ، على انهُ اذا اختلفت الحكومة مع قنصل الشخص المراد ابعاده ، فان الخلاف يعرض على لجنة مؤلفة من تسعة قناصل ، يتفق على اختيارها بين القنصل والحكومة المصرية ، وهذه اللجنة تفصل في الامر . فاذا قررت الابعاد ، يجب ان يتم اخراج الأجنبي المراد ابعاده بمعرفة قنصله

ولا شك في ان هذا النظام الذي ظلَّ سارياً حتى تاريخ توقيع معاهدة «الزعفران» ، كان يعني حكومة اخرى داخل الحكومة المصرية . . كما ان نفس الاجراءات التي كانت تتبع في التمهيد لابعاد الاجانب الممتازين ، تدل دلالة واضحة على ان مصر لم تكن تتمتع بذلك الحق البديهي ، وهو حق صيانة نفسها كدولة مستقلة . وذلك يبدو من الاطلاع على المنشور الذي أرسله وكيل وزارة الداخلية في شعبان ١٣٤٤ ، الى الجهات الادارية المختلفة ، بشأن ابعاد الاجانب الممتازين . اذ ينص هذا المنشور على تكليف القلم الجنائي في ادارة الأمن العام ، إرسال جميع التقارير التي ترد من المديريات والمحافظات بطلب ابعاد الاجانب،الى ادارة الأمن العام الأوربية لأخذ رأيها . فاذا ما أعطت هذه الادارة الاخيرة رأيها ، بلغ الأمر للمديرية او المحافظة ، مع تنفيذ ما تشير به عند الاحتياج الى تدخل قنصلي . وذلك بأن تقدم الجهة طالبة الابعاد ، الطلب القانوني الى القنصل المختص ! . .

وقد نص في هذا المنشور ، على ان « تقدم المحافظة او المديرية جميع المساعدات القانونية للسلطات القنصلية لتنفيذ ما تصدره القنصليات من القرارات » ![1]

وبذلك أصبح موقف الحكومة المصرية بمديريها ومحافظيها وضباطها وجنودها ، مسخرين لتنفيذ أوامر قناصل الدول الاجنبية ، على الوجه الذي يرتاءى لهؤلاء القناصل . مع ان الامر يختص بصميم حق تلك الحكومة البديهي ، في صيانة كيانها من عبث المجرمين الاجانب ، قتلة او لصوصاً ، او متشردين ، او شيوعيين ، او ثواراً على نظام حكمها ! ! . . .

ولكن معاهدة الزعفران ، قررت صراحةً ما يلي :

« تلغي المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات والوثائق القائمة ، التي يكون استمرار بقائها منافياً لأحكام هذه المعاهدة »[2] . كما قرر رئيس الوفد المصري الرسمي في المذكرة المصرية الثالثة ، التي ارسلت في شكل خطاب الى السفير البريطاني ، ما يأتي :

---

(١) المادة السادسة من المنشور (٢) المادة الرابعة عشرة من المعاهدة

«بالاشارة الى المادة الرابعة عشر من المعاهدة التي وقعناها اليوم ، اشرف بابلاغكم ان الحكومة المصرية تنوي الغاء ادارة الأمن العام الاوربية فوراً . ولكنها ستبقي لمدة خمس سنوات من نفاذ المعاهدة ، عنصراً اوربيًّا معيناً في بوليس المدن »

أي ان ادارة الأمن العام الأوربية ، التي كانت شوكة في حلق السيادة المصرية ، بكل اختصاصاتها — ومن بينها اتخاذ اجراءات ابعاد الاجانب — قد زالت تماماً . وردت تلك الاختصاصات الى السلطات المختصة اصلا بالفصل في ذلك ، في كل دولة مستقلة ذات سيادة .. وهي السلطات المصرية . وهو رد ضروري جوهري ، لحق ضروري

ولاقامة الدليل على خطورة هذا الحق — حق الابعاد الذي قد يبدو للبعض تافهاً بالقياس الى باقي حقوق الدول الاخرى — يجدر بي ان انقل هذه الفقرة من شرح اللامة «فوشي» لحق الدولة في ابعاد الأجانب[1]. فقد تساءل فوشي «هل الابعاد عمل شرعي ؟» ثم اجاب نفسه فيما يلي :

«ان اولئك الذين يعترفون للدولة بحق السيادة المطلق على ارضها ، لا يجب ان يجيبوا عن هذا السؤال الاَّ بالايجاب . فذلك هو سيد بيته[2]. وما دام له الحق في ان يسمح بزيادة الارض التي يملكها ، او بعدم زيادتها ؛ فيجب ان يكون له ايضاً حق السماح ببقاء الاجانب الذين يفدون عليه ، او ابعادهم ، كيفما يتراءى له »

وقد اصبحت الحكومة المصرية ، في ظل معاهدة «الزعفران» ، «سيدة بيتها» — على حد تعبير فوشي — ولعل في هذا ما يكفي للتحدث عن اول الحقوق الدولية التي اكتسبتها مصر . وهو حق البقاء والصيانة .

أما المظهر الخارجي لحق البقاء والصيانة ، فينطوي على بضعة حقوق اهمها :

(١) حق السيادة : وهو حق اعترف به تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، في اول الامر ، اعترافاً ناقصاً مشوباً ببقاء قوات الجيوش البريطانية المحتلة . فجاءت المادة الاولى من معاهدة «الزعفران» واعترفت بانتهاء ذلك الاحتلال اعترافاً صريحاً . ولم يعد بقاء تلك القوات بقاء مؤقتاً في جهات محدودة ، الاَّ لحكمة التعاون مع الجيش المصري في الدفاع عن قناة السويس . وهو تعاون موقوت بقدرة الجيش المصري على الاستئثار بالدفاع عن القناة.

وبذلك انضمت مصر الى الأسرة الدولية ، وأصبحت شخصاً من أشخاص القانون الدولي العام . بينما لم تكن تعتبر كذلك منذ مئات الأعوام . ولا أريد هنا أن أعود الى ما قبل الفتح التركي ، إذ يكفي ان أقرر هنا أنها كانت بعد ذلك الفتح ولاية تركية . أي دولة «تابعة» بكل ما تعبر عنهُ هذه الكلمة من معنى . . دولة ناقصة السيادة من ذلك النوع الذي يطلق

(١) فوشي صفحة ٩٧٥ (٢) maitre chez-lui

عليه العلامة « نورلس » اسم « Client State » في مقابل اطلاقه اسم « Patron state » على الدولة « المتبوعة » ، أو الدولة « السيدة » في تعبيره . وكانت تلك الدولة هي تركيا حتى في أشد العصور الذهبية التي نزلت فيها الجيوش المصرية حدود الدولة العلية نفسها

وظلت الحال على هذا المنوال الى ان قام الجيش العرابي بثورته ، وقهرته الجيوش الانكليزية ، واحتلت أجزاء مختلفة من الأراضي المصرية . إذ ظلت مصر ملزمة بدفع الجزية للباب العالي ، كما بقيت الجيوش الانكليزية داخل الحدود المصرية

وفي هذه المرحلة ، كانت قد تثبت شخصية مصر الدولية ، فلم يكن لمصر بطبيعة الحال حق التمثيل الخارجي السياسي كما لم يكن لها حق ابرام المعاهدات باسمها . بل انها لم يكن لها حق ابداء الرأي في المعاهدات التي تمت الموافقة عليها بين انكلترا والباب العالي ، بشأن مصر عام ١٨٨٧ ، والتي أقرت حالة الأمر الواقع ، وهو احتلال الجنود الانكليزية للاراضي المصرية . كما تقررت فيها حيدة قنال السويس ، وحرية المرور فيها وقت الحرب ووقت السلم ، لجميع الدول . . . ولم تكن مصر طرفاً فيها ! . . وتكرر ذلك في الاتفاق المعروف باتفاق « استانبول » عام ١٨٨٨ ، الذي وقعه ممثلون يحملون أوراق التفويض الرسمية المستمدة طبقاً لقواعد القانون الدولي العام ، من دول انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وأسبانيا وإيطاليا وهولندا وروسيا وتركيا دون مصر ، وهي البلد الذي تمر قنال السويس في أرضه ، والتي كان مفروضاً أنها صاحبة السيادة على القنال

وقد قرر هذا الاتفاق مبدأ حرية المرور في القنال وقت السلم ووقت الحرب ، لجميع المراكب التجارية والحربية ، أيًّا كانت الدولة التي يرفع المركب علمها ولمرض أيضاً لقناة المياه العذبة المارة بمحاذاة القنال ، فشملها بالحماية لتغذية تلك المنطقة بالماء . كما شمل بها أيضاً نحتي القنال من الجهتين ، ومياهها الاقليمية . اي منطقة الأميال البحرية الثلاثة شرق القنال وغربها

وظلت مصر تعاني ذلك الوضع الشاذ الذي وضعتها فيه تبعيتها للباب العالي ، تبعية تظهر في استمرارها على دفع الجزية واحتلال القوات الانكليزية لاراضيها . الى ان اعلنت الحماية الانكليزية على مصر عام ١٩١٤ ، فتحدد مركزها الدولي كدولة محمية . ولست اريد ان اعيد ذلك الى الاذهان ، ولكني اكتفي بأن اشير الى ما ذكره العلامة « اوبنهايم » — استاذ القانون الدولي بجامعة كمبردج ، وعضو « مجمع القانون الدولي » في وصف الدولة المحمية :

« أن الدولة الحامية تسود المحمية دوليًّا . فان هذه الاخيرة بفقدها الحق في ادارة شؤونها الدولية ، تكون قد فقدت سيادتها ، وبذلك لا تعتبر الاَّ نصف دولة » (١)

وظلت مصر تعتبر في نظر الاسرة الدولية ، نصف دولة ، طول مدة الحرب العظمى ، وحتى

(١) اوبنهايم في « شرح القانون الدولي العام » صفحة ١٦٦

صدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وهو تصريح اعترفت فيه انكلترا باستقلال مصر ، ولكنها قيدت ذلك الاستقلال بتحفظاتها الاربعة المعروفة . وأبلغت ذلك التصريح الى الدول ، فلم يغير من وضع مصر الدولي الا تغييراً طفيفاً ، لأن مصر ظلت مقصية عن عضوية الاسرة الدولية ، بأوجه النقص العديدة التي كانت تشوب سيادتها وحقها في ملكية اراضيها ، وباقي حقوقها الدولية الاخرى . الى ان جاءت معاهدة « الزعفران » فاعترفت اعترافاً صريحاً باستقلال ، دون « تحفظ » يدع لاعضاء الاسرة الدولية الآخرين ، مجالاً للتشكك . فقد نصت المعاهدة على انهُ « انتهى احتلال مصر عسكريًا بواسطة قوات صاحب الجلالة الملك الامبراطور »[1] كما نصت[2] على ان لنظام « الانتداب السامي » في قصر الدوبارة — وهو نظام كان حليف الاحتلال — قد انتهى وأصبح « يقوم من الآن فصاعداً ، بتمثيل صاحب الجلالة الملك الامبراطور لدى بلاط صاحب الجلالة ملك مصر ، وبتمثيل صاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس ، سفراء معتمدون بالطرق المرعية »

وقد استوقف النظر ما اشتملت عليه المذكرة المصرية الاولى ، الملحقة بمعاهدة « الزعفران » من الاشارة الى انهُ « نظراً لان حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا وامبراطور الهند سيكون اول ممثل أجنبي يمثله في مصر سفير ، فان السفراء البريطانيين سيتبرون ذوي أقدمية على باقي الممثلين السياسيين المعتمدين في بلاط صاحب الجلالة ملك مصر » . وفسر ذلك بأنهُ انتقاص من الشخصية الدولية لمصر . ولكن الواقع ان أرقى مراتب أعضاء السلك السياسي الاجنبي في مصر ، هي درجة « وزير مفوض » ، ودرجة السفير المقررة لممثل انكلترا في البلاط المصري — كما هي مقررة لممثل مصر في البلاط الانكليزي — تعلو درجة الوزير المفوض طبقاً لقاعدة بديهية من قواعد التدوج في التمثيل السياسي . ومع ذلك فليست هذه اول سابقة من نوعها في تبادل الممثلين السياسيين ، فالولايات المتحدة ترسل سفراء يمثلونها في جمهوريات أميركا الجنوبية . ولهذه الجمهوريات سفراء في واشنطن ، مع أنها لا يمثلها في دول القارة الاوربية الا وزراء مفوضون . فينتج من ذلك — احتراماً لتلك القاعدة الدولية البديهية — ان يتقدم سفير الولايات المتحدة على جميع أعضاء السلك السياسي الاجنبي في عواصم تلك الجمهوريات . ولم يقل أحد قط في اي شرح من شروح القانون الدولي العام ، ان شخصية تلك الجمهوريات الدولية ناقصة أو ان سيادتها قد اعتدى عليها . شخصية مصر الدولية كعضو في الاسرة الدولية قد استكملت اذن ، باعتراف انكلترا باتهاء الاحتلال ، وبالتسليم لمصر بحقها — كدولة مستقلة ذات سيادة — في الانضمام الى عصبة الامم على قدم المساواة مع باقي اعضاء الاسرة الدولية

وهذا الاستكمال للشخصية الدولية ، كان لا يمكن ان يتم بتصريح كتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

(١) المادة الاولى من معاهدة « الزعفران » (٢) المادة الثانية من معاهدة « الزعفران »

بل كان لا بدَّ لهُ من عقد المعاهدة التي تمَّ عقدها ، وفي ذلك يقول العلامة « اوبنهايم » :

« إن الاعتراف بالدول ، هو العمل الذي بواسطته يبدو بوضوح ان دولة قديمة أصبحت مستعدة لكي تتعامل مع دولة جديدة ، كشخص دولي وعضو في أسرة الدول » (١)

وهناك ثمرة دولية خطيرة تجنيها مصر من اعتراف معاهدة « الزعفران » اعترافاً دوليًّا صريحاً باستقلال مصر ومن اطلاق يد مصر اطلاقاً حرًّا تامًّا في ابرام المعاهدات والاتفاقات الدولية مع أية دولة أجنبية ، ما دام موقف الجانب المصري لا يتعارض مع المحالفة التي تنص عليها المعاهدة الحالية . هذه الثمرة هي قطع خط الرجعة على الدول الاجنبية التي لرعاياها مصالح اقتصادية متشعبة في مصر . وهي الدول التي تتطلع منذ زمن بعيد الى « التدخل » في شؤون مصر ، كما تدخلت في شؤون غيرها من الدول الشرقية ، بحجة ظاهرها الدفاع عن مصالح رعاياها المالية في تلك الامم الشرقية ، وحقيقتها تحقيق مآرب استعمارية مختلفة

وهذه النظرية من نظريات « التدخل » الاستعماري ، اعترف بها شراح القانون الدولي العام ، وعقدوا في تفسيرها والتعليق عليها ، الفصول الطوال . وهم — جميعاً — لا يتورعون عن الاعتراف بان الاغراض الاستعمارية للدول العظمى ، تسمى عند الاقدام على ذلك التدخل ، عن تبين اي شيء آخر الا تحقيق الغرض الاستعماري الذي اوحى بالتدخل وقد قسم فوشي (٢) الاسباب التي تطل بها الدول العظمى تدخلها في شؤون الدول الصغرى الى ثلاثة أقسام :

١ — السياسة الاستعمارية ، او رغبة الدول العظمى في توسيع أراضيها . وتحت هذا الوحي تتدخل الدول الأوربية في شؤون افريقيا وآسيا ، متحلة المعاذير والحجج المختلفة

٢ — الدفاع السياسي عن مصالح رعايا الدول المتدخلة . وفي هذا التدخل لا تكتفي الدول المتدخلة — عن طريق المباحثات الدبلوماسية ، او التدخل بالقوة المسلحة — بتعويض رعاياها تعويضاً عادلاً عن الاضرار التي اصابتهم . بل ان تلك الدول — مناقة باعتبارات سياسية — طالما طالبت لرعاياها بامتيازات تفوق الامتيازات الممنوحة لنفس رعايا الدولة التي يحدث التدخل في شؤونها . وهذا ما حدث من دول أوربا عند تدخلها في شؤون دول اميركا الجنوبية وعلى الخصوص شؤون جمهورية فنزويلا

٣ — الدفاع عن مصالح المجموعة الدولية ، تحت ستار مبادىء العدالة والانسانية . ولكن هذا الستار يخفي في الحقيقة أغراضاً أخرى ، توحي بها الأنانية والاثرة والرغبة في السيادة

(١) "Recognition is the act through which it becomes apparent that an old state is ready to deal with a new state, as an International person and a member of the Family of Nations" — «اوبنهايم» صفحة ١٣٥ — فقرة ٧٢ من كتابه

(٢) فوشي — شرح القانون الدولي العام » صفحة (٥٥٥)

السياسية . وهذا النوع من التدخل ، لا تقدم الدول عليه — كما يبدو من ظاهره — وهي مجردة من الغرض ، بل تتدخل وفي عزمها الفوز بتحقيق مصالح اقتصادية او تجارية ، او حتى غزوات تضم بواسطتها ممتلكات معينة الى أراضيها ، كما حدث عندما فرضت الدول على آسيا فتح موانيها للتجارة الاوربية ، وكما حدث عندما فرضت على بانما حرية المرور في قناتها ، وكما حدث عندما فرضت الرقابة المالية على مصر وتونس ، وكما حدث في تركيا عندما أرغمت على ادخال اصلاحات ضرورية . وهذا التدخل دائماً ينتهي بوضع يد الدولة المتدخلة ، على أراضي الدولة التي يحدث فيها التدخل ، او على كيانها المعنوي ، وهي الدولة التي حدث التدخل بفكرة الدفاع عن مصالحها لتحقيق مصلحة دولية عامة ! . . ألم ينته التدخل المالي في مصر وتونس في القرن الماضي باحتلال بريطانيا العظمى وفرنسا للدولتين ؟ ألم يتطور التدخل في شؤون الشرق ، وهو التدخل الذي كان ظاهره الدفاع عن مبادىء الانسانية الى تقسيم الامبراطورية العثمانية الى دول صغيرة ، اعترفت بها الدول المتدخلة لتحقيق اغراض خاصة ؟ . .

هكذا قسم العلامة فوشي ، وهو يكاد يعتبر أكبر ثقة عالمي في القانون الدولي العام ، الاسباب الحقيقية التي توحي الى الدول العظمى بالتدخل في شؤون الدول الصغرى . .

فهل مصر بمنجاة من شبح هذا التدخل ؟

اني لا أعرف بين أعضاء الأسرة الدولية شخصاً دولياً جاءته الظروف يرتبط بشبكة لا نهاية لها من الالتزامات الدولية كمصر . فالدولة المصرية لا تزال مدينة للعدد الكبير من حملة أسهم الدين ، وهي مرتبطة باتفاقات دولية معينة خاصة بشركة قناة السويس ، وامتيازات هذه الشركة لها صبغتها الدولية . كما ان ذلك العدد الكبير من شركات النور والمياه والكهرباء والترام والمناجم وتطارات الكهرباء الضيقة ، وان كانت شركات مصرية ، الا ان اسهمها يحملها اشخاص ينتمون الى جنسيات مختلفة . ومصر تلتزم جادة ان تساوي في المعاملة بين رعاياها وضيوفها الأجانب ، وهي في هذا الالتزام ، تمحو الفروق التي كانت تضع الاجانب في موضع اسمى من الموضع الذي كانت الحكومات المصرية السابقة في العهد الغابر تقنع بوضع المصريين فيه ، وسوف يحس الاجانب — في أول الأمر على الاقل — بثقل تلك المساواة البديهية التي لا يعترف القانون الدولي بسواها ، خصوصاً وقد بدأت الحكومة المصرية تنفذ سلسلة المشروعات التي ترمي بها الى زيادة مواردها . واولها فرض ضريبة الايراد ، وضريبة التركات والضرائب الاخرى التي ستجبى من المصريين والاجانب على السواء . وهي ضرائب كانت نظام الامتيازات يعفي الاجانب منها . ولقد فطن المفاوضون المصريون الى ذلك الخطر المحتمل من الاعتراف باستقلال مصر ، وردّ سيادتها اليها ، واستكمال شخصيتها الدولية ، فاحتاطوا لسد كل ثلمة قد

تنفذ منها احدى الدول العديدة التي ترتبط او يرتبط رعاياها في مصر أو في الخارج مع الحكومة المصرية بروابط اقتصادية وتجارية معينة ، الى محاولة التدخل في شؤون مصر ، كما حدث في الماضي ، وكما يحدث كل يوم مما ذكره العلامة فوشي في صراحة عالية نزيهة ، فنصت معاهدة « الزعفران » على انهُ : « يعترف صاحب الجلالة الملك الامبراطور، بأن المسؤولية عن ارواح الاجانب واموالهم في مصر ، هي من خصائص الحكومة المصرية دون سواها ، وهي التي تتولى تنفيذ واجباتها في هذا الصدد »[1] كما نصت على انهُ : « يعترف صاحب الجلالة الملك الامبراطور بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن ، لم يعد يلائم روح العصر ، وحالة مصر الحاضرة . ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر في الغاء هذا النظام دون ابطاء وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الواردة بهذا الخصوص في ملحق هذه المادة »[2]

وقد نصت الفقرة الاولى من هذا الملحق على :

« ان الاغراض التي ترمي اليها التدابير الواردة في هذا الملحق هي :

١ — الوصول على وجه السرعة الى الغاء الامتيازات في مصر ، وما يتبع ذلك حكماً من الغاء القيود الحالية التي تقيد السيادة الدولية ، بما في ذلك التشريع المالي على الاجانب ... »

كما نصت الفقرة الرابعة من نفس هذا الملحق على انهُ

« من المتفق عليه انهُ في حالة ما اذا وجد من المستحيل تحقيق التدابير المشار اليها في الفقرة الثانية ، فان الحكومة تحتفظ بحقوقها كاملة غير منقوصة ازاء نظام الامتيازات ، بما فيه المحاكم المختلطة »

وفي يقيني ان هاتين المادتين تكفيان مصر شر كل تدخل يخطر او يمكن ان يخطر ببال دولة من الدول الدائنة ، او التي كانت تتمتع بامتيازات رعاياها التشريعية والمالية . وهذا الشر كان محتمل الوقوع في كل وقت ، لو ان انكلترا اعترفت باستقلال مصر التام ، وأجلت جيوشها عن مصر ثم رحلت دون الاحتياط الذي قطن اليه المفاوضون المصريون ، بوضع النصوص التي اشرنا اليها في هذا البحث . لأن استكمال دولة لاستقلالها التام وسيادتها المطلقة ، لا يمنع — في العرف الدولي — تدخل دولة اخرى في شؤونها تحت اكثر من ستار وهمي ، او حجة ، كما رأينا في العلامة فوشي . بل ان هناك اكثر من شارح من شراح القانون الدولي العام ، يعترفون بشرعية « التدخل » ويسوّغونهُ

فالعلامة الالماني « كمبتز » Kamptz ، يرى ان التدخل قاعدة من قواعد القانون الدولي العام وان لكل دولة ان تتدخل في شؤون دولة اخرى من جيرانها ، ما دامت هناك مصلحة ما ، وهو قيد مطاط كما يرى القارىء ، اذ ان تقدير هذه المصلحة متروك على الدوام للدولة

(١) المادة الثانية عشر من معاهدة « الزعفران ». (٢) المادة الثالثة عشر من معاهدة « الزعفران »

التدخل ، والعلامة الفرنسي باتور Battur ، ينضم الى العلامة كليتز Klenptz في رأيه [١] وهما في هذا طبعاً يعارضان المدرسة الدولية الاخرى التي يتزعمها كانت Kant ، الذي قرر انه [٢]:

"Aucun Etat ne doit s'immiser de force perpetuelle dans la constitution et le gouvernement d'un autre Etat"

وقد ذكر العلامة الانكليزي وليم هول : —

« أن الاسباب التي استند التدخل عليها ، أو التي يبرر التدخل بها عادة ، قد تعود الى حق الصيانة أو حق تقويم العمل الخاطىء ، أو الى ارغام دولة على احترام تعهداتها ، او الى صداقة الدولة المتداخلة لأحد حزبين متعاديين في دولة أخرى » [٣]

ثم انتقل الى تقرير رأيه في الصفحة التالية من كتابه ، فأورد صراحة انهُ لااعتراض له على بعض الاسباب المبررة للتدخل

ومع ان العلامة «أوبنهايم» قد اعترف في كتابه « A Treatise of International Law » [٤] بأن التدخل كقاعدة ينكره قانون الأمم الذي يحمي الشخصية الدولية للدول ، الا انهُ عاد بعد ذلك فأورد ان هناك شكًّا في خلو تلك القاعدة من الشواذ ، وأقام الدليل على ذلك بأن هناك أنواعاً من التدخل تستند الى حق ، وأنواعاً أخرى ، وان كانت لاتستند الى حق الا انها تجد ما يسوّغها في القانون الدولي ، رغم اعتدائها على شخصية الدول التي يوجه اليها التدخل [٥]

فاذا كان هذا هو رأي شرح القانون الدولي العام في نظرية « التدخل » فاذا كان يمكن ان يكون مركز مصر وهي مرتبطة بتلك السلسلة المتشابكة من الالتزامات الدولية التي قيدتها في الماضي ثم وهي بسبيل التحرر من بعض تلك الالتزامات في القريب العاجل ، وفسخ البعض الآخر ، واحلال غيره على أساس دخولها في « اسرة الدول » ، شخصاً كامل السيادة ، يقف على قدم المساواة مع الدول الاخرى الاعضاء في الاسرة ، ماذا كان يجوز القدر الفائض لمصر من نكبات « التدخل » لو ان المفاوضين المصريين لم يخطوا الى وجوب دفع كل شبهة يمكن ان تعهد — بطريق مباشر أو غير مباشر — الى تدخل الدول الاخرى ؟ [للبحث تتمة]

---

(١) باتورل كتابه "Traité de droit politique et diplomatique"

(٢) « كانت » المادة الخامسة من مقاله : "Essai Philosophique sur la Paix"

(٣) وليم هول في كتاب "A Treatise of International Law" — صفحة ٢٨٥

(٤) صفحة ٢٩٢ من الكتاب

(٥) "There is just a little doubt that this rule has exceptions, for there are interventions which take place by right, and there are others which although they do not take place by right, are, nevertheless, admitted by the Law of Nations" -

مكانة المصادفة

في تاريخ الكشف العلمي

أثر تسرقف النظر

لي مبادئ الملاحظة لا تحدم
المصادفة الا للعقول المهيأة
« باستور »

في سنة ١٧٥٤ كتب السياسي البريطاني المشهور هوراس والپول Horace Walpole الى صديقه العربي الشهير هوراس مان Horace Mann يقترح عليه اضافة كلمة جديدة الى المعجم. تلك الكلمة كانت سرنديبة (وهي تعريب اللفظ الانكليزي المقترح Serendipity) . ولكن اللفظة لم تشع وقلما نجدها في المعجمات الانكليزية . ويروي الدكتور كانون Cannon استاذ وظائف الاعضاء في جامعة هارفرد انهُ سأل أحد زملائه ما معنى ذلك اللفظ فقال انهُ يمثل حالة عقلية تجمع بين رباطة الجأش serenity والبلاهة studipity . ولكن الحقيقة ان والپول استخرجها من قصةٍ خرافية قديمة تمتُّ الى جزيرة سرنديب (ومن هنا تعريبنا لها على الوجه المتقدم) بصلة وثيقة . وسرنديب هو الاسم القديم للجزيرة المعروفة الآن باسم سيلان في المحيط الهندي . ومدار تلك القصة الخرافية ان ثلاثة امراء ذهبوا في رحلة فوجدوا بغير قصد او حكمة اشياء ذات قيمة لم يكونوا يبحثون عنها . ولذلك ترى هذه اللفظة حين تجدها في المعجمات تعني العثور مصادفة على اشياء جديدة لم تطلبها او على ادلة غير منتظرة تؤيد رأياً من آرائك

وليس ثمة ريب في ان حديث ارتقاء الانسان العلمي حافل بأمثلة كثيرة من «السرندية» تدل على ما للمصادفة من مكانة في تاريخ الكشف العلمي وارتقائه

ولعلَّ اكثر هذه الامثلة استيقافاً للنظر كشف كولمبوس للعالم الجديد . فقد أبحر من اسبانيا مؤمناً بأنهُ سيكشف طريقاً الى جزائر الهند الشرقية أخصر من الطريق المعروف حينئذٍ فواجه على غير انتظار عالماً جديداً . ومن المعروف في تاريخ الرياضة انهُ لم يدرك اولاً قيمة هذا الكشف . بل يقال انهُ لم يعرف أين كان ولا الى أين مصيرهُ (١)

او خذ مثلاً آخر من تاريخ البحث في الظاهرات الكهربية . فقد روي ان غلفاني صنع كانتا معلقتين بسلك نحاسي من مشبَّك حديدي يحيط بشرفة دار رجل يدعى جالفاني بمدينة

(١) راجع الدكتور كانون في المجلة الدينية الشهرية عدد مارس ١٩٤٠ صفحة ٢٠٤ ومابعدها

بولونا الايطالية . فلوحظ انهما ترتعشان كلما هبَّت الريح وحركتهما فلستا احد العدة التشبك. ولا يلم هل كان جالفاني — وهو مشرّح وفسيولوجي — اول من لاحظ هذه الظاهرة او قرينته الذكية . ولكن من الثابت ان جالفاني لم يهمل ما رأى لأن ذلك حمله على الشروع في سلسلة من البحوث مدارها الظاهرات الكهربية في الانسان البشرية الحية . وقد خلد اسمهُ في لفظ «الجلفنة» النمي واشتق منهُ فعل يدور على ألسنة المتكلمين باللغة الانكليزية عند ما يريدون ان يصفوا دورة النشاط في احد من الناس وهو galvanize. وباحث جالفاني حملت فولطا على البحث في توليد التيار الكهربي بادناء لوحي فلزين مختلفين احدهما من الآخر (لاحظ ان مشاهدة جالفاني الاولى كانت تشمل سلكاً من النحاس وقضيباً او عموداً من الحديد) . وهذه المباحث افضت الى اختراع البطرية الكهربية أو العمود الفلطائي وخلد اسم فولطا في لفظ «فولط» المستعمل وحدة للقدرة Potential الكهربية

الى هذه البداية البسيطة يرتد اختراع التلغراف والتلفون والاذاعة اللاسلكية واحتمال اتقان التلفزة السلكية . واليها أيضاً يرتد البحث الذي يشغل عقول طائفة من كبار العلماء في عصرنا وهو بحث مداره « الكهربية الحيوانية» وأبوابه الكثيرة (١)

حتى في ارتقاء العلوم الكهربية ، لا في بدايتها فقط ، كان (للسرندبة) او للمصادفة مكانة عالية في غير كشف واحد ذي شأن . فالطبيعي الدنمركي اورستد كشف بالمصادفة تلك العلاقة الخفية بين الكهربية والمغنطيسية . فقد كان في احد الايام يلقي محاضرة وكان يمثل على ما فيها باستعمال سلك من الاسلاك يسري فيه تيار كهربي قوي فاتفق لهُ وهو يحرك هذا السلك ان وضعهُ وضعاً أفقيًّا فوق ابرة مغنطيسية ساكنة . وكان قد سبق لهُ ان وضع مثل هذا السلك عن قصد وضعاً عموديًّا على تلك الابرة فلم يحدث شيء . فلما وضعهُ مصادفة وضعاً افقيًّا دهش اذ رأى الابرة تنحرف وتدور دورة مداها تسعون درجة . فأدرك في الحال انه امام ظاهرة جديدة فعكس اتجاه التيار الساري في السلك فدارت الابرة واستقرت في اتجاه معاكس لاتجاهها السابق . وجاء فراداي بعد ذلك فأثبت ان التيار الكهربائي في السلك لا يؤثر في اتجاه الابرة المغنطيسية فحسب ، بل ان تحريك مغنطيس يولد تياراً كهربائيًّا في السلك. على هذه الملاحظات البسيطة قامت جميع العلوم الكهربية والصناعات التي تستمد الطاقة منها

وليست المصادفة أقل أثراً في علوم الاحياء منها في علوم الطبيعة . كان الفسيولوجي الفرنسي كلود برنار يعتقد ان الرسائل العصبية التي تسير في الالياف العصبية تحدث تغيراً كيميائيًّا

(١) راجع « آفاق العلم الحديث » فصل « الكهربائية في الدماغ » صفحة ٢٢٤ — ٢٣٢

بسبب حرارة . وحوالي منتصف القرن الماضي قاس حرارة الاذن اذن ارنب ثم قطع العصب الذي ينقل الرسائل اليها منوفاً ان ترد الاذن عند ما تحرم من وصول الرسائل العصبية اليها وهي بحسب رأيه تحدث حرارة في انياف الاعصاب . فدهش دهشة كبيرة عند ما وجد ان حرارتها أخذت بعد فصل العصب منها قبلهُ . ولكننا نعلم الآن أن قطع الاعصاب التي تسيطر على عضل الاوعية الدموية في اذن الارنب تحفظها في حالة ممتدلة من الانقباض . فما قطعت تلك الاعصاب تمددت العضلات فزاد ورود الدم الى الاوعية فارتفعت حرارة الاذن . وكذلك تتح كلود برنار صدفة الباب على كشف فسيولوجي خطير الشأن وهو ان الدورة الدموية خاضعة للجهاز العصبي، وهو أهم كشف فسيولوجي تم بعد كشف الدورة الدموية نفسها قبل ثلاثة قرون

ومن ذلك كشف فيتامين K وان نقصهُ يزيل من الدم مادة لازمة لتخثره . فقد كان « دام » Dam واعوانهُ في كوبنهاغن عاصمة الدنمارك يبحثون في التوازن الحيوي في فراخ الدجاج (الكتاكيت) فوجدوا ان الفراخ التي تغذى بطعام معين تصاب بنزف داخلي تحت الجلد وفي العضل . فلما غذيت بالحبوب بعد اضافة أملاح معينة اليها امتنع النزف . فانبثت سلسلة من التجارب الدقيقة ثبت منها ان سبب النزف ليس نقص أحد الفيتامينات المعروفة وانما سببهُ نقص عامل خاص مانع للنزف يوجد في دهن كبد الخنزير وبعض النباتات وكثير من الحبوب فدعي هذا العامل فيتامين K . ومن المعروف الآن أنهُ مادة لاغنى عنها في الجراحة فهناك مرضى يصابون باليرقان الناشيء عن انسداد القناة الصفراوية وعلاجه عملية جراحية . ولكن الدم لا يتجمد في هذه العملية الا تجمداً بطيئاً فيعرضون لخطر الوفاة نزفاً وهذا النزف يمنع باضافة فيتامين K الى غذاء المصاب فيعود الدم الى حالة تتيح التجمد السريع فلا يحدث النزف

هذه أمثلة مختلفة على تأثير المصادفة في الكشف العلمي . ولكن المصادفة وحدها لا تكفي ان لم يكن ذهن الباحث متهيئاً للاستفادة مما يقع في دائرة حسّه . فكشف أرخيدس للثقل النوعي عندما لاحظ خفة جسمه في حمام ملآن ماء ، وكشف نيوتن لناموس الجاذبية عندما لاحظ سقوط تفاحة في البستان ، ما كانا مستطاعين لولا تهيؤ ذهنهما لذلك . ما أكثر الذين خفّ وزنهم في الحمام قبل أرخيدس والذين شاهدوا سقوط التفاح في البساتين قبل نيوتن ! فالكشف العلمي القائم على المصادفة لا يقتضي ملاحظة ما يحدث فقط بل ادراك مغزى ما يحدث كذلك . ولذلك نحتت كلية الطب في جامعة هارفرد بكتابة عبارة باستور المشهورة ولصقتها على الجدار في حجرة الطلاب وترجمتها كما يلي « في ميادين الملاحظة لا تخدم المصادفة الا النفوس المهيأة » .

وهذا يقتضي التسلح بعلم السابقين لفهم مغزى كل جديد غريب وعدم التقيد به والاستعداد لهُ لأن النفوس الحرة والعقول الجريئة هي التي تمكن أصحابها من شق الطرق الجديدة

اين انت ؟ ؟

الى الذين يفتشون عن السعادة فلا يجدونها

هذي بواكيرُ الربيع تناشرتْ ... في فسحة الأفق البعيد المطبق
قلبي تبرّم بالشتاء فهبْ لي ... لي مقعداً عند الربيع الـمُورق
والقيدُ أعياني وعضّ جوانحي ... واعتادني أرقُ الفؤاد فرفّقي
مَنْ لي بأجنحة العقاب لعلني ... يوماً أُحلق في الفضاء المطلق ؟
أنا من أضاقتهُ الهمومُ فتقّصي ... من كُربة السجن الكئيب الضيق
ما الأرض من وطري ولاهي دارتي ... كفُ المُقامُ على الضرام المحرق
ويكاد يخنقني مشوبُ عبيرها ... مَنْ لي بروحٍ من مقيلك التي ؟؟؟

***

يا خلسة الحلامي وموكبَ يقظتي ... ودليل أهلي وآية منطقي
نشأتُ عنكِ فقيل حمقاء الهوى ... فرجعت محسوراً بقلبي الأحمق
وغدوتُ ظمآناً أعلل بالمنى ... نفسي وهُنّ سملات الخفيق
وأقول لعلّ ... ولعلّ لا تشفي الضنى ... أو لا تطبُّ الداء من متحرق

***

اني لجتُ لك الخيوط لعلني ... أدنو الى سبب اليكِ وأرتقي
ولقد حسبتكِ في الثراء وفاتني ... أنّ الثراء يحبُّ لكنّ لو بقي ...
وحسبتُ ان الجاه أنتِ وفاتني ... أنّا جميعاً في التراب سنلتقي ....
وحسبتُ ان الحب أنتِ وفاتني ... أنّ السعادة فيه لمّا تخلق ...
فكرتُ أنوالي وقلتُ : مُعذّبٌ ... من عاش في الأوهام عيش الأخرق
أنا بالقناعة سيدٌ بسعادتي ... فاذا جشعتُ فاني العبد الشقي

محمد عبد الغني حسن

الاجرام والاصلاح

وسائل اصلاح المسجونين بعد الافراج عنهم

محمد رياض
مفتش خط بمحافظة مصر

—٢—

تدريب المسجونين

ومن خير الانظمة التي يمكن اقتراحها في هذا الشأن :—

أولاً — ان تنشأ في السجون المعاهد المشار اليها لتتهد المسجونين بالثقافة الخلقية والدينية والاجتماعية بما يتفق واستعدادهم ، وتعد العاطل منهم لمزاولة الحرفة التي تلائم بيئته لتدريبهم على الالعاب الرياضية والتمرينات العسكرية مع توزيعهم على أقسام يراعى فيها مقدار العقوبة المحكوم بها وحالة المحكوم عليه ونوع جريمته — وذلك علاوة على أداء الاعمال التي يقتضيها تنفيذ العقوبة المقضي بها تحقيقاً لمعنى الزجر والردع وتختص هذه المعاهد بالمسجونين المحكوم عليهم بالحبس مدة لا تقل عن أربعة اشهر ، أما المحكوم عليهم بمدة أقصر فانها لا تكفي للاصلاح علاوة على ان جرائمهم ليست على خطورة عامة تقتضي اصلاح الجاني ، فان عاد الى الاجرام تضاعفت عقوبته طبقاً لاحكام العود وعندئذ تصل الى المدة المقررة لتطبيق نظام الاصلاح ويجب تزويد السجون بموظفين مختصين في الطب الشرعي وعلم النفس والانثروبولوجيا الجنائية لفحص كل مجرم واستقصاء أسباب اجرامه وتوجيهه الوجهة الاصلاحية

ثانياً — تنشأ مصحة خاصة يودع فيها المحكوم عليهم في جرائم ادمان المخدرات لوقايتهم من هذا الداء . ومما هو جدير بالذكر ان المادة ٣٦ من قانون المخدرات تجيز للقاضي بدل ان يحكم بعقوبة الحبس على المدمن أن يقضي بارسال الجاني الى اصلاحية خاصة لمدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد على سنة — ولكن بالأسف — إن هذا النص معطل التطبيق لعدم وجود هذه المصحة . ولا يخفى ان الادمان جريمة شخصية لا يفيدها عقوبة السجن بل ان العلاج الطبي ألزم فيها وأنفع ، ولذلك تجد أن أغلب المحكوم عليهم لا يرتدعون ويعودون الى الادمان وكذلك تشمل المصحة المجرمين الذين يرجع اجرامهم الى حالات مرضية طبقاً للنظريات الحديثة

ثالثاً — لا يخلى سبيل المحكوم عليه الذي انتهت مدة عقوبته الا اذا تراءى لادارة

حطام

قصة

لمحمود سيف الدين الايراني

— ١ —

كان يسير دون اكتراث ، غير مبالٍ ، دون وعي ، في شوارع كثير من البلاد الطارئة . في مثل هذه الحال تستوي القيمُ جميعاً في احساس الانسان : الاخلاق ، القانون ، النظام ، العرف . جميعها اشياء تافهة ، لا قيمة لها مطلقاً . الجريمة نفسها تبدو عرضية ، فاقدة الحياة ، لها نغم عميق القرار يستهوي النفس المكدودة ... وارتعش ارتعاشة حادة ، مؤذية من قمة رأسه حتى أخمص قدميه . أيمكن ذلك ؟ أتكون الجريمة في بعض الاحيان سبيلاً الى الخلاص ؟ ثم ... هل تجد الجريمة — وهذا في رأس القائمة — ما يسوّغها في أحوال معينة ؟ لقد وجد البطل الروسي (١) مسوغاً مقنعاً لجريمته ، بدا له اول الامر قوياً المنطق ، شديد البيان ، ولكنه أخفق في النهاية . كانت الفكرة فلسفية محضة في عقله ، كانت شيئاً كمعادلة جبرية أو نظرية هندسية : « الخط المستقيم هو اقرب طريق بين نقطة وأخرى » — ليس في هذا ريب — تعادلها من ناحية ثانية هذه النظرية : « لا قيمة لحياة انسان عقيم اذا كان في القضاء على هذه الحياة ما يعود على الآخرين ، الموهوبين ، بالخير ويفسح أمام مواهبهم الوءودة الطريق على رحبه » ! قياس حاذق ، ولكن المسألة هنا لا تقاس على هذا النحو وفي مثل هذه الدقة الحسابية ، محال أن تأتي نتيجة فكرة ذهنية — في حالة نفسية موكول امرها الى الضمير ، بل الى مجموع القيم المعنوية لوجود الانسان — مطابقة تماماً لمعادلة نظرية مادية محدودة الافق ، كل نجاحها في تطبيقها العلمي الدقيق . محال ، لاريب في ذلك مطلقاً لقد أخطأ رسكلنكوف وظلت عواقب هذا الخطإ في أعقاب ضميره تلاحقه وتهاجمه وتنيله بالصرع والهذيان : « أجل محال ... محال ان يقوم الخير على أساس من الشر » . أومضت هذه اللمحة الاخيرة في أعماقه ايماضاً خاطفاً ، ثم غامت على فكره سحابة خمول ، بعد هذه الاشراقة السريعة عاوده احساسه الحاد بتعاسته ،

(١) رسكلنكوف في قصة « الجريمة والعقاب » لـ « دوستيفسكي »

دفع مرة أخرى في أحشاء بلاهته وفجأة لاحت له هذه الفكرة الصائبة : ربما الجريمة موجودة مع ذلك ، ورغم كل شيء لا بدَّ ان تكون ثمة حاجة الى الجريمة لا يقوى على ردها ضمير ولا يحول دونها خير أو شر . حاجة نفسية تبرز بجميع الاعتبارات « والاَّ فما هو هذا الحنين في نفسي الى الجريمة ؟ » وخيل اليه لحظة انهُ لو أُعطي سكيناً او مسدساً فهو خليق ان يرتكب جريمة القتل بكل ارتياح في نشوة وظفر ! « هأنذا قد عدت الى التفكير من جديد . هل جميع الذين يفتلون يفكرون هكذا ، باللحاقة . اني لأعجز من طفل وأحقر من ذبابة . . . » أحقر من ذبابة ؟ لا ريب في ذلك البتة . وأحس بارتياح الى هذه الكلمة وراح يرددها ويلوكها بين شدقيه : « أحقر . من ذبابة . أحقر من ذبابة . »

وعادت الجريمة ، من جديد ، تبسم له وتغريه وتكشف له عن عريها الفاتن . وتتم . وقد زاد خفقان قلبه : « لم لا ؟ » وعلى الأثر سرت في بدنه رعدة ، وغرقت الصورة في لجة فاترة ثم عادت تطفو وتتأرجح فوق اللجة ، مزهوة ، يرقصها الموج ، وصوبت اليه نظرة طويلة فاترة ... كلها شهوة وشبق . تدعوه الى لذة خارقة . فيها وعود ووعود . . . وتحرك في ضميره هذا السؤال : « أليس هذا معقولاً ! لم لا تكون الجريمة سبيلاً الى الخلاص ؟ » ولاح له ان الطريق قد انفسح أمامه بسرعة البرق ، الى ما لا نهاية ، ثم عاد بتة وألحق عليه بقسوة خارقة ، وبدا له كأن ثباتاً عجيباً قد التفَّ حول عنقه وراح يضغط ويضغط . فانبهرت أنفاسه ، واختفت الصورة الفاتنة وراء أفق قصي ، ثم عادت — لا يدري كيف — تتراقص فوق موجة ، وتبسم في سخرية وازدراء ... ولم تلبث أن غرقت في أغوار سحيقة ، أغوار نفس مكدودة . مهينة . استفاق بتة ولا يزال صدى فحيح بيد يصافح سمعه : « أعجز من طفل وأحقر من ذبابة » ! وشعر بحقارته هذه المرة شعوراً واضحاً جداً . ولذَّ له — على ضوء لحظة نيرة — ان يزن ويقارن ويستنتج : « لو لم اكن حقيراً ومنحطاً ... لما عجزت ولما كان الاخفاق يعرقل سيري كيفما سرت وابان اتجهت . والاَّ فكيف صحَّ لي ان أبلغ الأربعين وأنا في مثل هذه الضآلة المهينة ؟ ثم . لماذا يلاحقني الاخفاق ، بل ويطاردني ، ويأخذ بتلابيبي ويتشبث بأذيالي ولا يدع لي منفذاً الى أي سبيل ؟ وبماذا يمتاز جميع الناجحين في الحياة ليتقدموا وتسير جهودهم ويكافأوا وأخفق أنا وأرقد مقهوراً ذليلاً ؟ لا تعليل لذلك سوى اني حقير جداً حقارة يشعر بها الجميع ويرونني مثلاً حيًّا لها »

ووقف هنيهة ذاهلاً مدهوشاً : لماذا لم يفكر في هذا من قبل ؟ لمَ لم يهتد الى هذا السبب البديهي الاَّ في هذه اللحظة : « أكان عسيراً عليَّ ان أفهم ذلك ؟ لا ريب في اني حقير . وغبي ايضاً . والاَّ لما اعوزني كل هذا الوقت الطويل لأتبين الحقيقة » وراح يتابع سيره كالحائم ،

كالسان مكدود مضنى . وكان الهواء مكتوماً خانقاً ، والليل حالكاً شديد الوطأة . وكان الشارع الكبير يمتد أمامه ، لا تكاد المصابيح القائمة على جانبيه تتغلب بنورها الخابي ، المحتضر ، على حلوكة الليل الطاغية . وخيل اليه — في احساس مفاجيء — ان هذه المصابيح أشبه ما تكون ، فوق عمدها الغريبة ، برؤوس فلاسفة حمق تحترق لتنير الطريق الابدي أمام مشرد يائس منه !

ولكنهُ لا يزال يسير ، ولا يزال هذا الشارع الكبير يمتد أمامه ويمتد . وتتفرع عنه أزقة ومنعطفات وحارات متعددة . ثم تتصل به شوارع أخرى وغيرها وغيرها . كشرايين مخلوق خرافي جبار . في قلب هذه المدينة الصاخبة ، تمتص دماء ابنائها ، تستنفد حياتهم ، تستنزفها قطرة قطرة . تزدرد منهم كل شيء : آمالهم . أحلامهم . أحقادهم . همومهم . تفتك بهم من حيث لا يدرون . ولا يفتأون يقدمون لها وقودها الأبدي ولا يفلتون ابداً من شباكها ، في تطاحن مستمر ، أبدي الهول ، مفترس كوحش جائع ، لا يشبع أبداً . ثم تسلمهم لذل هذا الليل العابس هذا الحيوان الاسود ، الرابض المنبق الصمت كمقبرة قذرة : « أجل كمقبرة . مقبرة قذرة ، بلا ريب في ذلك ». وأحس بشيء من الراحة لهذه الفكرة ، كأنما قد أفرغ فيها كل ما في صدره من كراهية وغل قديم

ورفع رأسهُ الى السماء الكئيبة ، وهو لا يني يسير ، غدا سيره تكأكاً مملوءاً شيئاً كالطرب ، يدفعه احساس مبهم ، كأنما يريد ان ينجو . أي شيء هذا الذي يلاحقه بقسوة ويشرده في هذا الليل الطاغي ؟ رفع رأسه الى السماء بذهول كأنما قد وهن ذهنه . ولكن فجأة أومض في رأسه خاطر : قابل بين هذه النظرة المكدودة الذاهلة المرفوعة الى السماء ، وبين نظرة اخرى للفروض فيها — في مثل حاله ويأسه — ان تتجه به . . . بماذا ؟ أوه ! بالدعاء والابتهال مثلاً . . .

أي دعاء ؟ وانفجر ضاحكاً بسخرية ، بمرارة عميقة مفجعة ، ضحكة مجنون ، ضحكة نادرة تعبر إما عن اقصى شعور بالفرح والسعادة ، وإما انها تدوي بأهول أصداء العذاب والألم — وبغتة وثب في عرض الشارع وراح يتحسس نفسه كمخبول . وانحدرت يده الى جيبه وأخرج منها بضع قطع فضية — كل ثروته — وراح يتأمل لمعانها تحت نور مصباح باهت . واختلجت شفتاه ، وسرت في جسمه رعشة ، وكأنما استقر على رأي فجائي وتمتم : « حسن . حسن جداً . . . » وخيل اليه انهُ يرى فوق رأسه ، في هوة السماء ، نجماً يهوي بسرعة وقد خط وراءه خيطاً منفوساً لامعاً لم يلبث ان غاض وانمحى . فابتسم ابتسامة بلهاء ، واختلجت في ذهنه عبارة شكسبيرية بشوهة : « ان على الارض وفي السماء لأسراراً تعجز عقولكم عن ادراكها » . وبرز النجم الهاوي — في لوح خياله — من جديد ورآه يهوي مرة اخرى وهو يجر وراءه ذيله اللامع المقوس . وتبادر الى ذهنه انهُ صنو هذا النجم الهاوي ومثيله ، ومصيره الى الهوي والسقوط من شاهق كمصيره . وعادت هذه العبارة تملأ نفسهُ : « ان على الارض وفي السماء . . . »

اين قرأها ؟ أفي حمات أم في مكث أم في الماصفة ؟ ثم هل هو واثق بأنها وردت على لسان شكسبير . هكذا كما تبادرت الى ذهنه هو ؟ وماذا كل هذا الاحتفال بها ، اي جديد فيها مما لم يفطن اليه أحد من قبل ؟ يا للجاجة ! وهمَّ ان يلقي عن صدره هذا العبء الجديد ويطلق من أعماقه نفساً طويلاً ، عريضاً ، مريحاً ، ويطلق مهرولاً خفيفاً ، أسعد ما يكون بالرجوع الى أحضان بلاهته ، ولكنهُ حبس أنفاسه فجأة وراح يهذي كمشوه : « ليس ذلك كله مصادفة ومحض اتفاق ! لابد ان يكون لهذا معنى . معنى عميقاً ! » وهلع قلبه ، وتخامت ركبتاه من تحته ، وغشيته غاشية وتفصَّد جبينهُ بعرق بارد بارد كريه . فقد تمثل نفسه يهوي من حالق الى حضيض قرار سحيق ويتحطم شظايا طائرة . ثم أفاق وكل عضو في جسمه يرتعش ، وكل عصب يرتعد وينقبض ، ومفاصله كلها قد وهنت وخارت ، وقلبه يدق في قفص صدره ويكاد يثب من حلقه . واستنكر بظهره الى عمود النور قبل ان يتهافت على نفسه وينهار . وبقي فترة على هذا الوضع الى ان سكن طائره ، وعاد اليه بعض روعه واطمأنَّ الى الارض الثابتة تحت قدميه . فتنفَّس الصعداء وأخرج منديله القذر وراح يمسح جبينهُ ووجههُ وهو يردد : « أعجز من طفل وأحقر من ذبابة . . . » وشمرت بذلك وأنت عنه كلاب الليل بنباحها البعيد . وهبت نسمة ليلة رطبة راوحت جبينه المحموم فاتنعش قليلاً وأسدل لفافة حقيرة واستل منها نفساً عميقاً ملأ به رئتيه ثم أرسله من تحتي أنفه وفمه في نفثة شديدة حرَّى ، وراح يغذ السير وقد نسي فجأة كل شيء . . . عاد كل شيء منزلقاً الى الاعماق ، تحت طبقة كثيفة ، يسبح نحو جحوره وسراديبه . وخيل اليه ان خوفه وقلقه وتطيره اشياء تافهة جداً . . . حتى حقارته نفسها لم يعد لها في شعوره ذلك الوقع المؤلم ولم يبقَ شيء يملأ نفسه وتنبه له حواسه جميعاً الا صورة واحدة لا تنتأ هي الاخرى تخايله من وراء سحابة رقيقة : « حانة ضيقة . . . بعض المقاعد موائد صغيرة قذرة . . . وفتاة متبرجة »

— ٢ —

لهذه الحانة مزايا جديدة تجعلها في رأيه نادرة المثال ، فهي رخيصة جداً اي انهُ يستطيع ان يغرق فيها همومه ويذيبها كل ليلة بقروش يسيرة ، ثم هي مأوى لأناس يلذُّ له ان يجالسهم ويستمع اليهم ، قد يكون هذا عند غيره ولعاً بدراسة طبائع الناس واخلاقهم واختبار ميولهم واهوائهم وغرائزهم . . . الى آخر هذا الهراء . . . كلا ليس هنا السر ، ولا نعمة مربط الفرس : المسألة عنده لذة خاصة ، « كيف ومزاج » ، ولكنها تبقى مع ذلك حائرة تتذبذب بين امرين ، ليس من السهل الأخذ باحدهما دون الآخر : فهو اما ان يغترف من همومهم وتعاساتهم ما يضيفهُ الى رأسماله الخاص ، همٌّ فوق هموم ، قطرات يصبها في كأسه العامرة أبداً . . . قطرات لا تطفح بها الكأس ولا تفيض . . . ولكنها تكثف مادتها وتزيدها حرارة . وإما انهُ يلتذ شقاءهم ويستمرئهُ ، فيخدعهم بما يبدو عليه من الاهتمام بهم والاصغاء اليهم ، وهم غافلون يمدونهُ من قومهم بوقود يلهب حفيظته

ويشعل أبداً نار البغض والكراهية في صدره . هذا وهو في هذا كأنما يقتسم لنفسه بشقائه الخاص في الشقاء العام ، يتذوقه بشراهة كلب يهش جيفة كلب آخر . . .

اما أعظم مزايا هذه الحانة وأغلاها وأتمها وأنقاها فهي هذه الفتاة المتبرجة دائماً . . . التي لا تفتأ تدور رائحة غادية بين الموائد توزع ابتساماتها على الجميع ولا تضن بنمرات عينيها على هذا وذلك وذاك . . . على طرف لسانها كلمة مهيأة لكل واحد ، كلمة توافق مزاجهُ وتلائم نفسيتهُ وتضاعف . . . نشوة الخمر في رأسه أنها « روح » هذه الحانة ، روحها المشرقة المتوهجة ، تجذب الفراش من بعيد . . . يحوم حولها أسعد ما يكون بالوقوف في نارها والاحتراق بلهبها . . . هي الآمرة الناهية للمتحكة ، وهي الطائفة الخاضعة المستسلمة ، هي « الحية » و« نور العين » و« حبيبة الكل » ، وهي « البنت » الخادعة الماكرة التي تلعب على مائدة حبل هي الأمل والحياة والنور والظلام ، والصحو المشرق والاكفهرار المربد هي التي لا تقوّم قيمتها بشرات الكؤوس ، وهي التي تهب الضم وتجود بالعناق دون مقابل او ثمن . هي التي بسببها تشهر الحناجر والمدى وتقلب الموائد وتحطم المقاعد وأواني الخمر ، وهي التي تسل أناملها البضة الماكرة من الجيوب مايزيد ثروة الحانة ويضخمها يوماً بعد يوم هي . هي « فرحة » ! فرحة التي لا تزال ابنة ثمانية عشر ربيعاً . وستظل كذلك الى ما شاء الله « فرحة » المحفورة صورتها على ألواح الف مخيلة . فرحة التي يمكن لريشة الرسام ان تنقل صورتها في بضعة خطوط سريعة والتي لايحتاج القلم الى أكثر من بضع كلمات لوصفها كأن يقول مثلاً « ربعة القوام » بديعتهُ في غير اسراف ، عامرة الصدر ، نافرة الثديين ، نقية الردفين ، بيضاء البشرة واسعة الفم ، دعجاء العينين الخ . . . فرحة هذه لها الف صورة وصورة وصورة غير هذه . ومع ذلك فليس ثمة مايدعو الى العجب والدهش اما ما يذهل حقاً فهو هذا الحب ، هذا العشق الملتهب ، هذا التذلل العجيب الذي تزخره « فرحة » في قلوب رواد الحانة ، وتجيشهُ في نفوسهم وتحرق به دماءهم . الانثى التي يشتهيها الكل . الانثى الوحيدة التي تشع أنوثتها في كل رأس وتدور فيه مع الخمر صورتها في كل كأس ، ورضابها في كل رشفة . تخايل الواحد في عري مطلق فوق الجبب ، فيئن ويزوم ويتلمظ ريقه . وتلوح للثاني ، في سؤر الكأس ، وكلها عيون تغمز وانداء ورباة تهتز وتخبل . وتبدو للثالث في شبه ضباب مخمور ، تضحك . تضحك . تقهقه . ملقية رأسها الى الوراء ، باسطة له ذراعيها . تدعوه الى اقتحام الحصن . وتعده بما لا يخطر لهُ على بال . ومع ذلك فليس من يعرف اسرار هذا البدن الا أفراد قلائل ، ثلاثة او اربعة يرتعون في بحبوحة هذه الحظوة السعيدة غارقين أو حتى فوق هاماتهم في فيض نعمة سخية . والباقون . كوحوش الغاب يرودون حول الانثى ، كالكلاب الطريق الضالة تبحث بأنوفها وخياشيمها عن الفريسة المنشودة !

— ٣ —

وقف بباب الحانة كعلامة الاستفهام . فلا هو يدخل ولا هو يثوي قدمه ويمضي . لم يلحظ وجوده أحد وسط الضوضاء والثريدة وسحب الدخان ونشوة الخمر . « فرحه » وحدها تدور بين الموائد تضحك ... تقهقه ... تغمز بعينيها ... تتحكك بهذا بذراعيها العاريتين ... فيسرع متلهفاً ويطلب كأساً أخرى ... وتربت للآخر على خده بيدها الرخصة وتمر بأناملها خلال شعره فيمص شفتيه ويطلق راحته على ردفها او يمس بحذر أحد ثدييها فتأتي ضاحكة ضحكا وقحة وتطلب لهُ خمراً كغرامة مفروضة ومقدرة سلفاً... وهي بين هذا وذاك لا تفتأ تردد بعضاً من اغنية مبتذلة في صوت خليع :

ايه يعني لو ربحتني وعملت غيري لبيتك
وتميل عليه وتقوله ليه طاوعتني .....

وحانت منها التفاتة فأمسكت عن الغناء بغتة وانطلقت تجري نحو الباب ، ووقفت قبالة الرجل ، فلم يتحرك ولم يبدُ عليه انهُ يراها ، فذهلت هنيهة ثم كأنما تغلبت على شيء ما فابتسمت وأمسكت بيده وصاحت :

— ادخل ... يا أستاذ !

فارتعشت أعصابه وسرت في جسمه رعدة وتمتم وهو يحرك قدميه :

— آ ... ه ... صحيح ... سأدخل ...

وأعطته ظهرها وعادت الى الحانة تتخلع وتتكسر وتلوك بصوتها الشبق :

وتميل عليـ ..... ـه .....

أستاذ ! أيمكن ان يكون له اسم غير هذا ؟ هو نفسه لا يكاد يعرف اسمه الا بجهد . منذ متى يدعونه أستاذاً ؟ لو اراد ان يتذكر هذا التاريخ بالضبط لكان حتماً عليه ان يعود الى اول عهده بالزميل العزيز « بؤس » ، منذ اول لحظة وضع يده في القيد مختاراً تشجعه وتثريه ابتسامة الزميل المخلص ... الى اليوم ، الى هذه الثانية ... كلما القى نظرة من حوله وجد الزميل الامين بجانبه خاضعاً ، ضئيلاً ، لاثذاً به ابداً ، يتطلع اليه بعينين حزينتين وجلتين ... يده بجانب يده في القيد الابدي ! حتى في فراش نومه ... هو معه ابداً ... بجانبه ملتصق به وله من وراء ظهره غطيط لا ينقطع ... ألفة قديمة وحب مقيم !

له في هذه الحانة منضدة خاصة ، وقف عليه ، لم يفكر احد ان يحتلها او ينازعه اياها . فهي اما خالية ومقعدها الى جانبها في سكنة وذلة لا تحظى من العابرين بأكثر من نظرة .. أو لمحة سريعة ، غير متمهلة ، وإما يكون هو جالساً اليها على نحو لا يذكر أحد انهُ تغير : يضع رجلاً فوق رجل ويتكىء بمرفق الى المائدة من ناحية ويعتمد عصاه تحت ابطه من ناحية ثانية ، وأمامهُ

«الزجيلة» لا يفتأ يستل انفاسها على ايقاع كركرة اشبه ما تكون بحشرجة محتضر لا يموت ... وكأس العرق ابيض بلون الحليب — بعد كسره بالماء — يحتل ابداً وسط المائدة كأمير سكر وحوله حاشيته الخاصة من صحون صغيرة تحمل « المزة » اشكالاً وألواناً ... ولا سلطان عليها الا لأمامل الأستاذ اما ترفع الكأس بشتف منها جرعات متزنة ، حكيمة ، مريثة ... أو هي تدور على صحون «المزة» تنتخب أجود وأشهى ما فيها . فاذا ما أتى على كأسين وشرع في الثالثة ، انفرجت اساريره واحمرت عيناه قليلاً وصفق يدعوه فرحة ا فتهلل وتباطأ مدة معينة تعرف هي بدهاء ان الشوق قد بلغ منه خلالها اقصى حده ، فتسرع اليه اذ ذاك في اهتمام واحتفال شديدين ، فيشرق وجهه وتند عن صدره تهدة خافتة ويتلقاها في ابتسامة حائرة

— أهلاً بالانس !

— أهلا فيك يا روحي

— استغفر الله ... استغفر الله ...

فتكسر جفنها وتصوب اليه من تحت اهدابها سهماً نافذاً ... يستقر في اعماق بدنه فينتفض ويتلثم وتتمز الكلمات الجوفاء بين شفتيه ويمد يده في وجل وارتباك ويتناول راحتها ويقبلها بنهم ويتشممها بأنفه الغليظ ... بينما تفرق هي بالضحك . « قه ... قه ... ها ... ها ... حاسب ... يا استاذ ... قه ... قه ... » وجسمها كله يتهالك وثدياها يطيشان ويهتزان ، وعيناها تشمان ... وتلمع ثناياها تحت قوس ارجواني . و« يحاسب » الاستاذ بعد لأي ، وبعد ان تكون هي قد استوثقت من أن « الاستاذ » لن يبرح الخان الا بعد كأسه السادسة ... وهكذا دائماً ...

اما الليلة .. فالأمر على غير ما تعهده الخانة منذ زمن طويل . فان أول ما استدعى العجب ورسم على العيون والافواه والوجوه عدداً وافراً من علامات التعجب والاستفهام والنقاط المعلقة هو جلسة «الاستاذ» الجديدة ، الطارئة ، غير المعهودة . لم يضع رجلاً فوق رجل ، ولم يتكيء بمرفق على المنضدة من ناحية ، والقى عصاه الى أحد الاركان فأعفاها من وظيفتها في القيام تحت ابطه العزيز ! ولكن الحدث الجلل الذي اثار الهمسات والغمزات في الاركان والزوايا ونشر في الجو علامة استفهام عريضة ، ضخمة ، ثابتة ... هو ان الاستاذ لم يطلب « زجيلته » ! كان هذا كثيراً ... كثيراً جداً ... شق عليهم ان يحرمهم هكذا دفعة واحدة ... من اطيب مشهد ... « الزجيلة » وحدها

— لعنها الله — فضحته ... أعلنت سره ... وأحدثت ارتباكاً وفوضى

— الاستاذ مشى بعضه على بعضه ...

— يمكن عيان ....

— مهموم ؟ ....

— مين يعرف ! — .

— ايش الحكاية ؟ ... لازم يكون فيه شي ... لأ ... ايوه .... شف ... شف ... هو ... مي ... ها ... وش ... ش ... ش ... شس ....

من الاركان والزوايا والموائد من فم لأذن ... من أنواء الآذان .. من هنا وهناك .. همهمات ... ووسوسات ... خافتة ثم عالية ... فأعلى ... ثم اذا هي جلبة ... غرق فيها لحن خليع : وتيه ... ل ... علي ... ه .....

لحظة ... لحظات ... ثم فرت العاصفة واستكانت وعادت همساً خافتاً ، خفيضاً ، ثم لاشيء ... عاد كلٌّ يداعب كأسه ويتلمظ ... وغاضت علامة الاستفهام العريضة ، الضخمة ، الثابتة وارتفع صوت خليع يلوك من جديد في مجون وتهتك

وتقوله له ... طاوعه .... تي ...

لقد كان في الواقع حدثاً جللاً .. أثار وراءه غباراً ولغطاً في هذه الحانة ... ثم مرَّ يجر ذيله شأن الاحداث جميعاً حقيرة أو جليلة ... حين تُلمُّ بعالمنا البائس ودنيانا الفانية !

العين تستطيع رؤيته الآن بوضوح ، فان نوراً لا يرحم ينسكب عليه من أعلى السقف ويجلو من حوله كل شيء ولا يدع من قسمات وجهه وسارفيه شيئاً مستوراً ، أو خافياً يتأبى له الفضول : ليس في الامكان ابدع مما كان ... تبارك الخلاق « صلعة » كوراء مجلوة لماعة ملساء تنزلق عليها الكفُّ بفعل مادة دهنية لزجة لا تجد هذه الصلعة غضاضة ان تفرزها من حين الى آخر ... فاذا ما غارت الكف وانحدرت قليلاً الى أمام تلقتها مرجة بها جبهة نابية فيها نواتىء وحزون وخطوط غائرة ونافرة ومستطيلة ومتعارضة ... كلها ألسنة ناطقة بمجد الجهاد والجلاد عشرين عاماً بجميع أيامها وأساميها وشهورها وساعاتها ودقائقها يداً بيد في قيد واحد والزميل الأمين « بؤس » ! أما أنف الاستاذ فانه في غلظه وتفرطحه من البحاتين وانساع منخريه واحمراره صيفاً وشتاء ... لآية ... وسار ... للنبوغ والعبقرية التي جار عليها محيطها وانكرتها عشيرتها ... عيناه فقط غير واضحتين لأول نظرة خلف « مناظره » السميكة ذات الاطار المعدني الموصول بخيط ابيض عند استدارته حول الأذن ... فاذا ما تفرس ذو طلعة بهاتين العينين حنيطة واحدة وجدها عمرتين ذابلتين لا أهداب لهما وتحتها حبوب رهوة كحبات الشب الفاسد ... الا أنها غير خابتي الاشعاع ... حتى اذا انحدرت العين لتشبع فضولها وجدت القامة مجتباء ممصوصة وسائر ما يبدو من الجسم كلهُ

أدلة دامغة على ظلم الطبيعة وشكاوى مرة تلهج أبداً بنبأ الفادح وخيبتها الأليمة . . . وتبحث عن واحد « كنيتشه » ليتخذها نموذجاً بارعاً يخوله ان يصيح بحق : « ما زلتم الى اليوم قروداً لا تضاهيها قرود . . . »

— ألطب شيئاً . . . يا استاذ ؟ . . .

تقدمت اليه « فرحة » بهذا السؤال الحائر المتردد ، وهي لا تدري اتبس وتتجهم أم تتودد اليه وتمالئه أم تهزأ به وتسخر منه . . .

— هاتي عرقاً . . .

لم يرفع رأسه ولم ينظر اليها ولم يتحرك ولم يختلج فيه عصب ! وترددت وتمهلت قليلاً قبل أن تصدع بالطلب كأنما هي تنتظر شيئاً لا يريد ان يقوله . ثم لوت أخيراً قدمها وصاحت : « واحد عرق ! » وبقي هذا السؤال في نفسها لا يجد جواباً . « أن أهلاً بالأنس . . . الى آخر ما تعهد . . . ؟ » لا بد اذن ان يكون الامر أخطر مما تظن وتتوهم !

وشرب كأساً . . . وثانية . . . وثالثة . . . ولم يأخذ من الرابعة الا رشفة او رشفتين . . . ثم دارت رأسه وثقل جفناه ووهن جسمه وانحط عليه خمول ثقيل ، وبدا له ان كل ما في الخانة يدور بسرعة غريبة وان الارض تميد من تحته والخانة تتأرجح به ! والاصوات تصل اليه مبهمة غامضة في همهمات بعيدة مختلطة . . . فاعتمد رأسه براحة يده واتكأ بمرفقه على المتضدة وأطبق جفنيه ، ولم يعد يسمع الا صوتاً متهتكاً يلوك من بعيد . . . من بعيد . . . من مكان قصي . . . « وتميل عليه . . . ه . . . وتقوله . . . ليه . . . . » ثم لم يلبث ان راح يهوم . . . ويهوم . . .

كان شعوره بادىء الامر كشعور من هُزم في معركة . . . فاذا خرج منها مثخناً بجراح نجلاً ، منهوكاً ، محطماً . . . فانهُ على الاقل قد استراح واستكان . . . ولو كانت راحة أشبه ما تكون بالانهيار والتهدم . . . وخيل اليه ان أعصابه كادت حقيقة ان تتقطع وتتمزق وتريق دمه كله دفعة واحدة . . . لو لم تسعفه الخمر بهذا الخمول الطارىء . . وهذا التهويم الذي أرخى له أعصابه ، وفكك ما كان ينذر بالانفجار في جسمه ، والذي يدفع به ، بيد ناعمة ، لينة ، مغرية ، الى ساعة من نوم بهيمي . . . وخالجتهُ رغبة حائرة ، ضبابية . . « لو وجد نفسه في هذه اللحظة بينها في غرفته بأعلى السطح ، ومضطجعاً في فراشه بقدرة قدير . . . » ولكن هذه الرغبة ذابت بسرعة ، وطفق يغط ويصر على اسنان من حين الى حين . وانقضت فترة كأنها من العدم طفت من اعماقه خلالها سحابة سوداء حالكة انتشرت في أفق نفسه . . . وتصاعد منها بخار داكن الى رأسه . وعلى حين غرة راحت السحابة تنداح قليلاً قليلاً ذاهبة

الى مصير مجهول ، ووجد نفسه فجأة جالساً على مكتبه الحقير في غرفة بائسة رطبة بادارة جريدة « المبادىء الحرة » وعلى ارض الغرفة هنا وهناك بقع في الاركان والزوايا وفي كل مكان اعداد قديمة من جرائد مختلفة . . . وكمية غير قليلة من « المبادىء الحرة » تحت امله بالضبط التي على كل ذلك نظرة ساخطة ثم بصق وتمخط وحاول ان يشعل لفافة فلم يجد ثقاباً فضرب الارض بقدمه ولعن الدنيا ومن فيها وكان عدداً وافراً من الشتائم على رأس صاحب الجريدة ثم هدأ واستكان على مضض وتناول القلم وجمع أمامه كوماً من جرائد ومجلات وراح يبحث عن المقص دون جدوى . وبدا له انه اذا فقد هذا المقص فلن يستطيع ان يلفق لجريدة « المبادىء الحرة » شيئاً من الاخبار والمقالات ، فمز عليه ذلك واستشاط غضباً ودفع يده تبحث في عصبية حادة تحت أكوام الورق والجرائد فاصطدمت بشيء فأخرجه فاذا به طبق ما تزال فيه آثار باقية من « الفول المدمس » وفضلات من الخبز المفن . . . فبهت وبرم ! هذا الفول الذي يكاد يكون غذاءه الوحيد الذي لا يتغير ابداً . . . وانصرف غضبه الى مجرى آخر وتحرك في احشائه حقد دفين ، وعدد البشرية كلها بقبضة يده ورفقت اللعنات من فمه كالحمم يوزعها ذات اليمين وذات الشمال ويقذف بها على رأس كل مخلوق ، وانتفخت اوداجه وجحظت عيناه وتقبضت اعصابه وتصبب العرق من جبينه ثم تفننها بصفة كبيرة جداً في وجه « المبادىء الحرة » . . . وجميع المبادىء التي في الدنيا . . . ونظر من طرف عينه الى النافذة التي الى يساره فاذا به فجأة يطل من شاهق ، وخيل اليه انهُ يرى فوق رأسه — في هوة السماء — نجماً يهوي بسرعة وقد خط وراءه خيطاً متقوساً لامعاً . . . فقد توازنه بغتة وانزلقت قدمه وأوشك ان يهوي من شاهق فارتعدت اوصاله وجمد دمه في عروقه وجفَّ حلقه وانقطعت انفاسه وهوى قلبه الى حذائه دفعة واحدة ثم صعد الى حلقومه بأسرع من لمح البصر وهو ما يني يدق بشدة ويقرع له ضلوعه دون ما رحمة ، وعلى حين غرة — دون أن يدري كيف وقع ذلك — وجد الحالم نفسه على الارض الثابتة الرحبة يعدو بسرعة غريبة ومن ورائه كلب جائع ينبح من أعماق حنجرة ملتاعة . . . وعلى جانبي الطريق وقف صبيان فذرون يخلفان بالية يضحكون ويهرجون ويشيرون بأيديهم ويتراعقون . . . وظهر له ، الى اليمين ، باب مفتوح فلوى قدمه ودخل فاعترضهُ سلم طويل راح يصعده مذعوراً وهو يلهث ، وفي أعلى السلم وجد باباً آخر دفعه بيده فانفتح له فسارع بالدخول وصفق الباب وراءه وهو ما يزال يسمع نباح الكلب الجائع يقرع اذنيه عن قارعة الطريق لبث هنيهة لا يرى شيئاً من شدة الخوف . . . وكأنما هو قد اطمأن واستوثق من نجاته فلم يسعهُ الا ان ينفث من اغوار صدره زفرة عميقة ، مريحة ، وطفق يدير عينيه في المكان الجديد ، فاذا هو قاعة واسعة نظيفة ينيرها مصباح كهربائي معلق في السقف

وسمع من خلفه صوتاً حلواً ، منغوماً ، يناديه فاستدار نحو صاحبه فاذا به وجهاً لوجه امام غادة حسناء في غلالة ارجوانية كاسية تبتسم له ابتسامة عذبة وتدعوه قائلة : « اتبعني ! » فذهل ووجم ! وتحركت قدماه وسار ورواءها مسلوب الارادة ، الى حجرة بديعة أسدلت على نوافذها ستائر مخملية بلون الزمرد ، ونثرت في جوانبها الارائك المريحة وقامت في احد اركانها خزانة بلورية فيها أوانٍ من فضة وطرائف من الخزف والصيني ، وبسطت الأرض بسجادة ثمينة نسجت فيها الورود والأزاهير أبان ازدهارها الربيعي . وفي وسط الحجرة مائدة كبيرة تغص بالآكال واللحوم على انواعها وصحاف الخضار والفواكه والحلوى . . وعبقت بأنفه رائحة الشواء الشهي فهبت وفرقاه وسال لعابه وراح يفض الاطباق بعيون منهومة ، وبدرت منه نظرة الى الغادة الهيفاء فرآها تبتسم أيضاً بخبث واضطرب ، ولكنها هزت له رأسها وأومأت اليه ان يجلس فتردد وخفق قلبه ، فعطفت عليه وقالت : « لم لا تجلس ؟ أما زلت مرتاعاً . . . » فارتج عليه وفقد لسانه وأدهشه أنها تعلم أنه فزع ومرتاع . . ورفع يده بنية بحركة طائشة كأنما يريد ان يدفع عن نفسه شيئاً ولكن يده اصطدمت بكوب من الماء على المائدة فانقلب واراق ماءه على الاطباق والصحاف فجمد دمه وزاغت عيناه وانفجرت الحسناء ضاحكة بسخرية وازدراء ثم سمعها تقول بزراية واستخفاف : « أعجز من طفل وأحقر من ذبابة . . . » فدار رأسه وتخاذل وغاب لحظة عن وعيه . . . ثم أفاق من غيبوبته فوجد نفسه يخطب بأعلى صوته في حشد من الجماهير :

« . . . لم نعد عبيداً أرقاء ، أيها الاخوان ، هذا زمن تؤخذ فيه الحقوق أخذاً . . . أنا يجب ان نعرف كيف نتهز الفرصة المؤاتية لننقض على الظالمين انقضاض الصاعقة ! علينا ان نكون يقظين اقوياء . سيكون النضال بيننا وبينهم حاسماً ، قاطعاً ، وسيكون النصر حليفنا في النهاية — ورفع يده بقوة ثم أهوى بقبضته على المنضدة وصاح — ان قواعدكم الفولاذية هذه هي التي ستهدم الحاضر بكل اوزاره وآثامه وتبني المستقبل — المستقبل القريب — نبيًّا زاهياً وضّاح الجبين . . . »

وبدل الهتاف والاعجاب ارتفع الصفير والدق بالارجل من جميع الاركان وعلت الضحكات الهازئة وانبثت من الزوايا همهمات مختلطة تردد كلها في زراية لاذعة : « أعجز من طفل . . . وأحقر من ذبابة . . . »

وفي لمحة امحى كل شيء وغاض ، واذا هو يسير وحيداً في الشارع القفر وقد دسّ يديه في جيبي سترته ، ينقل خطاه بوهن وأعياء ، وقد غامت على تفكيره سحابة من البله والتيه . . .

وتذكر بعد جهد آنهُ في هذه الساعة على موعد مضروب بينه وبين «فرحة» فاندفع جازعاً وهو يقتلع اقدامه بجهد فاجع ! فوجدها تنتظرهُ عند باب الخانة المقابل فأسرع اليها وتأبط ذراعها دون ان ينبس بكلمة ، وسار يشق الظلام الى ان وصل الى عمارة شاهقة فاندفع يرقى السلم ، وفرحة الى ذراعه ، حتى بلغا غرفته بأعلى السطح . ها هي «فرحة» عنده أخيراً . . . وفي غرفته الحقيرة ايضاً ... من يصدق ؟ ... انها حقاً لسعادة ... سعادة قد تنسيه كل شيء ورده راضياً عن الدنيا .... وطوقها بذراعيه واتهال بانقبل على خديها وفمها وعينيها وشعرها كحموم ... ثم ضمها الى صدره بظمإ وجنون ، ودفن رأسه بين نهديها وراح يهذي ويغمغم : «أهلاً بالانس... أهلاً بالانس...» وكانت هي تضحك ضحكات قصيرة متقطعة بين ذراعيه ، ثم اخرجت له لسانها وراحت تكايده ، فلا دمه في عروقه وطاش صوابه ودفعها الى السرير وراح ينضو عنها ثيابها كمخبول وهي تلوّى وتتخلع ... انها تشوق اياه وليالبه ... ولهفة قلبه المحروم ... ولكن ... ما الذي حدث ؟ يا للهول ... لقد اختفت فرحة بنتة ... ذابت ... غارت بها الارض ... طارت بجناحين من النافذة ... وها هو لا يضم الى صدره شيئاً سوى وسادة ....

صعق في مكانه ... وهرب دمه ... وأحسَّ في أعمق أعماقه بلوعة حادة ، مؤذية تأكل أحشاءه ... ونهض متخاذلاً ، ذليلاً ، مقهوراً ، وألقى من حوله نظرة حيوان جريح ووقع بصره فوق منضدة عرجه على كتاب منير يحمل هذا الاسم : «الصبر مفتاح الفرج» ! ورفع رأسه قليلاً فصافح عينيه اطارٌ متآكل ، يخبره السوس ، وضمنهُ هذه الحكمة الغالية ... بخط جميل .... «القناعة كنزٌ لا يفنى» ! فارتعد جسمه كله وتقلصت عضلات وجهه وطفرت من عينيه عبرة كبيرة حارة انحدرت على خده وتحسرتْ كلُّ جارحة فيه أنهُ قد حُزِمَ الى الأبد ... وانهُ قد قضي عليه وهوى من حالق ... فنكس رأسه وأطرق واجماً ... وعلى حين غرة انتفض كمن به لوثة وأطلقها من صدره ضحكة مخيفة ... نادرة ... أشبه ما تكون بعواء كلب يلعب ...

***

وفي هذه اللحظة كان الخمّارُ مشغولاً بالكنسة بيد ويهشُّ بيد اخرى كفَّ آخر زبون عنده ليوقظه فقد طال عليه النوم والتمطط ... ولكنهُ كوم من حطام لا يُفيق ...

يافا (فلسطين)

السجن انهُ أصبح صالحاً للافراج عنه ، فاذا رأت انهُ ما زال خطراً على الأمن تقام عرضت أمره على لجنة خاصة لابداء الرأي في ابقائه او اخلاء سبيله

وللمحكوم عليه ان يتظلم من قرار اللجنة امام هيئة المحكمة التي أصدرت الحكم بعقوبته في حدود سلطتها الولائية فاذا رفض تظلمه بقي مدة اخرى لا تقل عن مدة العقوبة على ان لا تتجاوز سنة ويفرج عنهُ بعد ذلك افراجاً نهائياً — وفي حالة العود يكون قرار اللجنة نهائياً غير قابل للطعن. ونظراً الى خطورة المهمة التي تضطلع بها هذه اللجنة يجب ان يعنى باختيار أعضائها من رجال القانون والادارة والاخصائيين في الطب الشرعي والعلوم الجنائية

رابعاً — ينشأ قسم خاص يضم هؤلاء المسجونين الذين لم تصلح حالهم بعد انقضاء مدة العقوبة ويعفون من أداء اشغالها الجنائية فلا تعتبر هذه المدة عقوبة اخرى ويتخصصون في خلالها لوسائل الاصلاح والتقويم. وهذا النظام يغني عن تطبيق عقوبة مراقبة البوليس — وسنعود الى هذه العقوبة بعد حين ونسري هذه القواعد المتقدمة على النساء ويراعى فصلهن عن الرجال

خامساً — تبقى اصلاحية الرجال على نظامها الحالي باعتبارها مخصصة لجرائم معينة ولمجرمين تعددت سوابقهم ، وتتم فيها وسائل التقاة والتهذيب . ولربما كان للقواعد المتقدمة بعض الشبه بالقانون الصادر في انكلترا سنة ١٩٠٨ وهو يقضي بأن معتادي الأجرام بين ١٦ الى ٢١ سنة يحكم عليهم بالأشغال الشاقة وبعد انقضاء مدة العقوبة ينقلون الى السجن الواقي مدة اقصاها عشر سنوات لأصلاح حالهم. وقد وجه الى هذا القانون هناك طائفة من الانتقادات اهمها انهُ لا فائدة لعقوبة الأشغال الشاقة ما دام المسجون مآله الى السجن الواقي واقترح حذفها ولكن ردوا على ذلك بأن وجود عقوبة الاشغال الشاقة فيه معنى الزجر وان الأخذ بنظرية المتقدين يترتب عليه ان يكون البادىء في الاجرام اشد عقاباً ممن اعتاده . ولقد قال وزير الداخلية في انكلترا عن معاهد بورستال في مؤتمر السجون الدولي التاسع أن معاملتها التهذيبية حققت للشبان والشابات المفرج عنهم معاملة تهذيبية فأن معظمهم بدلاً من رجوعه الى ارتكاب الجرائم الجديدة كما كان شأنهم في السابق يأخذون الآن مكانهم في الشعب ويسيرون سيرة المحترم للقانون

وجوه اصلاح المسجونين بعد الافراج عنهم .

تقوم وجوه الاصلاح على اساسين اولهما تشريعي وثانيهما اجتماعي : —

﴿الاساس التشريعي﴾ اولاً — يجب تعديل الانظمة المعمول بها في تطبيق عقوبة مراقبة البوليس باعتبارها عقوبة تبعية او تكميلية . ذلك ان الاعتبار الملاحظ في توقيع هذه العقوبة ان يتحقق لرجال الحفظ الاشراف على المجرم بعد اخلاء سبيله مدة من الزمن يؤمن فيها على صلاح حاله وعدم عودته الى ارتكاب الجرائم — وان العلة في هذه العقوبة تطابق الحالة

الراهنة لنظام السجون اذ انها في تجريدها من الوسائل الاصلاحية لا تحقق شيئاً لحال المسجون ولا وقاية منهُ ضد المجتمع فيتولى البوليس مراقبته بعد اخلاء سبيله في مسكنه او في مكان آخر مدة لاتزيد على خمس سنوات يفترض بعد انقضائها ان المجرم قد أصبح مأمون الجانب

فاذا كان المفروض في هذه العقوبة التحقق من صلاح المجرم وعرقلة ميوله الاجرامية فان انظمة الاصلاحيات المقترح ادخالها في السجون أبعد أثراً في الاصلاح وأوفى ضماناً

على ان مراقبة البوليس ليست مفروضة في جميع الجرائم بل هي مقتصرة على الجرائم التي اعتبر القانون توفر خطورة خاصة فيها

ولعله يتدر ان يسارع المسجون بالعودة الى الاجرام بعد اخلاء سبيله وهو ما زال مكدوداً بمتاعب السجن ونضه شقية بطول الحرمان كما ان المراقبة ليست قاطعة في الحيلولة دون صد المجرم عن الاجرام بين مواعيد المراقبة فترات ليست قصيرة تسمح بارتكاب بعض الجرائم أو تدبيرها فضلاً عن ان المراقبة في ذاتها أدت الى صعوبات عملية ولا سيما في الاقاليم فكثيراً ما يرتكب المجرمون الموضوعون تحت المراقبة جرائمهم ويدللون على براءتهم بأنهم لم يفارقوا محل مراقبتهم في مواعيدها المقررة . كما افسدت العلاقات بين المجرمين ورجال الحفظ وسببت كثيراً من حوادث الرشوة وجنايات الاعتداء . وادأة التنفيذ في هذه المراقبة هم عساكر البوليس او الخفراء الذين هم من مستوى المراقبين ويسكنون الى جوارهم فتنعدم الثقة في اداء واجبهم بدون تساهل او تحامل . ولهذه المراقبة احكام قاسية تحد من حرية المراقب ويترتب على اهماله احد احكامها ان يقع في جريمة جنحة تدفع به الى السجن مما يساعد على افساد حاله ويعوق اصلاحه ويحطه عن وسائل الرزق ويدفعه الى الاجرام . ونرى ان اصلاحيات السجون تغني عن هذه المراقبة ويكفي تطبيقها على المجرمين العائدين وبذلك يقل عدد المراقبين ويمكن تنظيمها على وجه أكمل يطهرها من العيوب المشار اليها . أما غير العائدين فان تحريات البوليس كفيلة ببيان حالهم فان ظهر انهم ما زالوا خطرين على الأمن أمكن انذارهم مشروعين وتقديمهم للمحاكمة اذا لم تصلح حالهم طبقاً لاحكام قانون المشروعين

ثانياً — (قانون المشروعين والمتشردين) كذلك يجب المسارعة الى تعديل قانون المشروعين والمتشردين فان له تأثيراً كبيراً في فساد حالة المسجونين بعد الافراج عنهم — ذلك ان نصوصه الحالية تعوقهم عن اصلاح حالهم ومساهمتهم في ممارسة الاعمال والمهن الحرة — فالمتشرد يوضع حتماً تحت مراقبة البوليس بعد انقضاء عقوبة الحبس وهي عقبة تمنعه من مزاولة اي مهنة شريفة فضلاً عن ان اي مخالفة بسيطة لشروط هذه المراقبة ترده الى السجن ولمدة أطول من مدة العقوبة الأولى وهكذا تتوالى عليه العقوبات على هذا المنوال المزعج المشاهد في تطبيق هذا القانون فلا يفرج عنهُ نزرة الاَّ ليعود الى السجن دهراً — ولست أدري ما وجه

الخطورة في جريمة المتشرد — وهي جريمة شخصية بحتة — حتى يوضع المحكوم عليه بعد انقضاء العقوبة تحت مراقبة البوليس . وكذلك حالة المشبوه فيه محل مطاردة شديدة ويبقى انذار الاشياء الصادر اليه وصمة أبدية لا تفارقه مهما تصلح حاله ويبتعد عن مواطن الاجرام

وليس هناك من داع الى الاسترسال في تبيان عيوب هذا القانون فان الاجماع في دوائر الحقانية والداخلية قائم على فساده . ويبقى الآن بتعديله بما يتمشى مع وجوه الاصلاح

ثالثاً — (قانون رد الاعتبار) ان الحكم بعقوبة جناية او جنحة يؤدي الى الانتقاص من شخصية المحكوم عليه ويحول دون استعادة مكانته السابقة في الهيئة الاجتماعية ودون الوصول الى مركز شريف إذ ان الحكم بالعقاب في غالب الأحوال يتبع الحرمان من بعض الحقوق السياسية والمدنية ويسجل في قلم السوابق . وليس من العدل أن يحرم المحكوم عليه من ان يتبوأ في الهيئة الاجتماعية المكان اللائق به اذا بذل مجهوداً جديًّا ليهتدي وأقام الدليل على حسن سيرته علاوة على ان مصلحة الهيئة الاجتماعية نفسها ان يندمج فيها المحكوم عليه الذي تاب وأصلح حاله — ولذلك قررت اغلب الشرائع احكاماً لرد اعتبار المحكوم عليه

وفي القانون المصري يعاد الاعتبار بحكم قضائي من محكمة الاستئناف بعد انقضاء ثماني سنوات بالنسبة الى المحكوم عليه بعقوبة الجناية والعائد والذي سقطت عنه العقوبة بمضي المدة الطويلة

وفي الشرائع الحديثة كالقانون الفرنسي والايطالي يعاد الاعتبار بأحدى طريقتين اما بحكم القانون واما بحكم القضاء الا ان اغلب القوانين اثبتت الطريقة القضائية فيعاد الاعتبار بحكم من المحكمة بعد فحص حالة الطالب — وقد اتبع القانون المصري هذه الطريقة اذ ان الاخرى محل اعتراض لأنها تسمح لشخص حياته غير سوية وسلوكه شائن باعادة اعتباره ما دام لم يرتكب جريمة معينة او استطاع اخفاء ما يرتكبه من الجرائم فأفلت من العقاب

ومن رأيي ان المدة التي يتطلبها القانون لأعادة الاعتبار هي مدة طويلة تقيم بعض الوثائق في سبيل اصلاح المسجونين ولكن بعد تطبيق وسائل الاصلاح المقترحة يجب ان تنزل المدة الى حد معقول . وأرى تحديد هذه المدة على نمط القانون الفرنسي وقد حددها بخمس سنوات في احكام الجنايات وثلاث سنوات في احكام الجنح وتزداد المدة الى الضعف في حالة العودة أو في حالة سابقة تطبيق قانون رد الاعتبار على الطالب

رابعاً — (اللوائح والقرارات الادارية) صدرت في مصر عدة لوائح وقرارات ادارية لتنظيم ممارسة بعض الاعمال والمهن الحرة تحتم الحصول على رخصة من السلطة الادارية لمزاولتها

والرخصة لا تمنح للطالب الا اذا كان خالياً من السوابق او يكون قد انقضت مدة طويلة على آخر سابقة له والحكمة المرعية في هذه القيود هي حماية مصالح الجمهور التي قد يهددها

اتصاله بأرباب هذه الحرف . واذا كان السهر على مصلحة المجموع فرض على الحكومات فان هناك تكليفاً آخر أجل شأناً وهو الكف عن مصادرة نفة من الناس وتجريدها عن حقها الطبيعي في التماس اسباب الحياة . ان المحكوم عليه الآن يقضي عقوبته وعند ما يفتح له باب السجن توصد عليه أبواب الحياة فصاحب العمل يرفض مساومته ، واللوائح الادارية تأبى عليه الارتزاق ، فلا عجب اذا فسد حاله وانتحى ناحية الاجرام

يجب التساهل في الترخيص لهذه الفئة بمزاولة الاعمال الحرة وأرى قصر المنع على المجرمين العائدين والمحكوم عليهم في جرائم خطرة بالنسبة لبعض الحرف التي لا تؤثر السابقة في مزاولة الطالب لها وانها لفرصة سانحة . وقد اصبحت هذه اللوائح والقرارات الادارية في شديد الحاجة الى تعديل لانقضاء سنين طويلة على اصدارها وتصورها عن مواجهة بعض نواحي التطور فيجب ان يعاد النظر في شروط الترخيص حتى تتسع لمساومة فئة مغلوبة على امرها بمعاونة لا تضر بمصالح المجموع

الاساس الاجتماعي

في جمعيات مساعدة المسجونين بعد الافراج

اولاً — في القرن الخامس عشر كان بعض الاغنياء يتبرعون بمبالغ لتخفيف ويلات المسجونين بعد الافراج عنهم . وفي اوائل القرن الماضي تأسست في انكلترا جمعية هبة الحاكم وهي لا تزال باقية الى الآن تؤدي معونتها نحو هؤلاء المسجونين المفرج عنهم ثم تلتها عدة جمعيات عنيت بالتماس عمل من أصحاب الاعمال لهذه الفئة ولايجاد مساكن لهم في منازل الفقراء ذوي السمعة الحسنة . وفي ١٩٠٩ قدم فوسيون السجون لوزير الداخلية الانكليزية تقريراً جاء فيه أنهُ بعد البحث الدقيق في مهمة اعادة المجرم للحياة العادية ثبت ان هذه المهمة شاقة دقيقة ذات نفقات عظيمة مما يحسن معه اعانة الحكومة لهذه الجمعيات المتطوعة ولقد وافق المستر تشرشل على هذا الرأي وقرر ضرورة تأسيس هيئة جديدة لمساعدة المفرج عنهم من سجون الاشغال الشاقة وأعلن قراره في مجلس العموم في يوليو سنة ١٩١٠

وبناء على ذلك تكونت جمعية جديدة سميت الجمعية المركزية لمساعدة المسجونين المفرج عنهم من سجون الاشغال الشاقة وضمت لها جميع الجمعيات التي كانت تعمل مستقلة ولا تعتمد الجمعية الجديدة على التبرعات والاكتتابات بل على اعانة من الحكومة ويقضي نظامها ان تتكفل بكل مسجون يفرج عنه حتى لا يتجرد من ضروريات الحياة ويصبح كفؤاً للحياة العامة

والجمعية ترسل مندوبيها للسجون لزيارة المسجونين قبل الافراج عنهم بوقت كاف للوقوف على رغباتهم وظروفهم وعما اذا كانوا يرغبون في رعاية الجمعية — والجمعية مجلس عام تمثل الجمعيات والمعاهد التي تشترك في هذا العمل الخيري ويرأس هذا المجلس وزير الداخلية

وقد نجحت هذه الجمعيات في انكلترا نجاحاً باهراً في تقويم المفرج عنهم

كذلك انشئت في انكلترا جماعة بورستال لمساعدة الشبان المجرمين الذين سبق ارسالهم الى معاهد بورستال الاصلاحية — ومهمة هذه الجماعة تقديم الملابس والطعام والسكن اللازم لهؤلاء الشبان والسعي لايجاد عمل يلائم استعدادهم . والمدة المقررة لرعاية هذه الجماعة لكل شاب سنتان . وتدل احصاءات هذه الجماعة على كبير توفيقها ونجاحها

وقد لاحظت هذه الجمعيات ان الجمهور وارباب الاعمال قد يرفضون قبول هؤلاء المفرج عنهم ولذلك عمدت هذه الجمعيات الى وسائل مغرية منها منح ارباب الاعمال بعض مبالغ لقبول هذه الفئة علاوة على ضمانة الجمعيات لهؤلاء المفرج عنهم في تعويض ما يحدثونهُ من خسائر واضرار

وأرى ان تنشىء وزارة الداخلية مكتباً خاصاً في ديوانها يتبعه مكاتب فرعية في المحافظات والمديريات للعمل على مساعدة المسجونين المفرج عنهم يقتبس نظامه من نظام هذه الجمعيات المنشأة في انكلترا يشمل جميع المسجونين المفرج عنهم من الرجال والنساء والاحداث

واجب مصالح الحكومة حيال المسجونين المفرج عنهم

ثانياً — يؤخذ من جميع احصائيات السجون في العالم ان أغلبهم من الطبقات الفقيرة التي قعد بها الحظ عن مزاولة عمل يقيها شر الحاجة ، لذلك كان من أهم المعاونات التي لها أفضل الاثر في اصلاح هذه الفئة ان لا تقبض الحكومة يدها عن توظيف هؤلاء الناس في ادارتها وفروعها وان لا تبخل عليهم بالاعمال التي تطابق استعدادهم ويحذقون أداءها ، وان تبدأ بضرب المثل للشركات والجمعيات المالية والافراد انهُ من خير البيئة الاجتماعية ان ترحب باندماج المحكوم عليه الذي كفر عن أثمه وطوى صفحة جرمه — لقد بعثت اللجان المؤلفة للتفتيش على اصلاحية الرجال بالاشارة الى هذا المشروع الهام وخولت مصالح الحكومة فعلاً للعناية بالتنفيذ ولكن بالأسف ما زالت أغلب هذه المصالح ترفض قبول ما تقدم اليها من الطلبات . لقد وفى بعض المفرج عنهم في التعيين فصلح حالهم وكانوا محلاً للاعجاب والثناء . ليس المراد تعيين هؤلاء المحكوم عليهم في أعمال هامة تتطلب حسن السيرة وكامل الثقة والبعد عن الشبهات ؟ ولكن هنالك أعمالٌ أخرى دونها خطورة لا يمنع ان تفتح ابوابها لهؤلاء الذين غلبوا على امرهم وضاقت بهم سبل الحياة

انشاء مستعمرات زراعية

ثالثاً — ويجب ان تعنى الحكومة بان تنشىء في بعض أملاكها الزراعية مستعمرات خاصة لتشغيل بعض هؤلاء المفرج عنهم المدربين على الاعمال الزراعية باجور مناسبة مما يكفل اصلاح حالهم وتقويم أخلاقهم وتحسين سيرتهم واسأل الله الهداية والتوفيق

---

(١) تقوم « رابطة الاصلاح الاجتماعي » برعاية الاحداث بعد الافراج عنهم ، وذلك بتعويد الجانحين بالصالح ودور التجارة . وتفكر في انشاء مصنع صغير خاص بهم يعطيهم فيه

غذاء الجماعة

قاعدة لحساب الغذاء

الذي تحتاج اليه المدارس وغيرها من الجماعات

للدكتور حسن كمال

(١) — سبق ان عالجت موضوع التغذية في أعداد المقتطف الثلاثة الاخيرة من ثلاث نواحٍ مختلفة في الطفولة وبعد الاربعين وفي المرض. والآن اعالجهُ من جهة اخرى هامة اجتماعيًا واقتصاديًا ذلك لأن المدنية الحديثة انشأت انظمة خاصة للعيشة والمكسب فتجمع العمال زرافات تحت طوائف متعددة. وما يقال عن العمال يقال عن معاهد العلم وطوائف الجيش والاسطول والمستشفيات وغيرها. فقيام هذه الجماعات يقتضي انظمة ثابتة لتغذيتها الغذاء الصحي حتى تنهض كل منها بنصيبها المفروض عليها في حياة الامة. وجاءت الحرب الاخيرة واتضح فيها السلاح الاقتصادي بجانب السلاح الحربي فأخذت كل امة تبحث في ادخار ما يلزمها من غذاء حتى لا تقع فريسة للعجز في هذا الكفاح الطويل. نحن لا نقصد ببحثنا هذا ما يقدم الينا في المطاعم بالمدن فتقوائم الطعام هناك يراعى فيها اولاً الافراط مع لذة الطعم وتنوع المشرب بصرف النظر عن القيمة الغذائية وذلك طمعاً في التعويض المالي. فغذاء المطاعم والحالة هذه ليس بالغذاء الصحي من حيث المقدار والعناصر المقصودة بهذا البحث.

وربَّ سائل يسأل أهناك صعوبة في تغذية الجماعة؟ وما هي هذه الصعوبة؟ وكيف التغلب عليها؟ وماذا تكون النتيجة اذا لم تكن التغذية صحية؟ وهل يحتاج هذا العمل الى طبيب فتطول الاجراءات؟ الى غير ذلك من امثال هذه الاسئلة العديدة

الجواب عن ذلك أنَّ لا صعوبة مطلقاً في ذلك متى علمت طريقة العمل. ومتى توافر لك ذلك كان في وسعك التغلب عليها بسهولة سواء كان ذلك في تغذية طلبة معهد علمي او عمال مصنع او فريق من الجيش او مرضى بمستشفى وهلمَّ جرًّا. ولا حاجة بنا الى القول ان التغذية الصحية اهم ضمان لجودة الانتاج الصناعي وقوة الدفاع فاذا نقصت هذه التغذية نقص الانتاج واذا توفرت توافر الانتاج. ومتى كان الانسان ملمًّا بالموضوع وعنده البيانات اللازمة لذلك كان في وسعه القيام بذلك على أهون سبيل. ذلك لأن الجهل أشد اعداء الانسان ضرراً وأكثرها تغشياً

والغالب ان لكل جماعة فرداً مخصصاً للاشراف على تغذيتها يضع دائماً نصب عينيه وفرة العناصر الغذائية وتكاليفها مراعياً في ذلك الاقتصاد وجودة الطعم . والى هذا الشخص توجه نظر القارىء الكريم كي يتتبع هذا العمل الهام والمسلّي في نفس الوقت

(٢) جرت العادة ان يعتبر غذاء الرجل البالغ وحدة في حساب التغذية يقاس به أغذية الطاعمين في السن والاطفال وغيرهم . والى القارىء الكريم بياناً تقريبيًّا بما يشتمل عليه مثل هذا الغذاء

غذاء الرجل البالغ — او الوحدة الغذائية — للطبقة الوسطى

ربع رطل لبن	يعادل	١٩٠	كالوري
بيضة واحدة	»	٨٥	كالوري
١٢٠ جراماً لحم	»	١٧٠	»
٦٠ جراماً جبن	»	٢٤٠	»
١٢٠ جراماً سمن	»	٩٢٠	»
٥٠٠ جراماً خبز	»	١٢٣٠	»
٦٠ جراماً سكر	»	٢٣٠	»
٤٥٠ جراماً بطاطس	»	٢٨٨	»
برتقالة او تفاحتان او برتقالة وموزة	»	٣٥	»
طماطمة واحدة او سلطة خضراء	»	١٠	»
١٢٠ جراماً خضار	»	٢٢	»
المجموع	»	٣٤٢٠	»

ويحوي اللحم عادةً ٢٠ ٪ عظاماً كما ان السمك لا يؤكل منهُ الاَّ ٦٠ ٪ فقط — وذلك بعد فصل العظام والرأس وغيرها

وفيما يلي بيان بغذاء الرجل البالغ — الوحدة الغذائية — للطبقة الفقيرة (العمال)

عيش بلدي ٦٠٠ جرام . لحم بقري ١٥٠ جراماً . لبن ٢٠٠ جرام . خضار بما فيه السلطة والبصل ١٥٠ جراماً ارز ٧٥ جراماً عدس او فول ٧٥ جراماً مسلي ١٥ جراماً . سكر ٣٠ جراماً ملح ٢٠ جراماً فلفل ٢٥ر.

وهذا الغذاء يحوي حوالي ٣٠٠٠ كالوري و تفقتهُ بالتسعيرة الحاضرة حوالي ٢٨ مليماً

ويحسب قدر الحرارة الكامنة في الغذاء باعتبار ان الجرام الواحد من المواد الزلالية يعطي ١ر٤ كالوري والجرام من المواد النشوية يعطي ايضاً ١ر٤ كالوري اما الجرام من المواد الدهنية فيعطي ٣ر٩ كالوري

ويلاحظ ان قدر الحرارة الكامنة في الغذاء اللازم للانسان تختلف باختلاف المناطق . فالرجل المتوسط الجسم والثقل والقائم بجهد وسط وقاطن منطقة معتدلة يحتاج الى غذاء يعطي حوالي ٣٤٠٠ كالوري . فاذا سكن هذا الرجل في المنطقة القطبية لزمه حوالي ٧٠٠٠ كالوري اما اذا قطن المنطقة الحارة فانهُ لا يحتاج الاَّ الى ٢٥٠٠ كالوري فقط

(٣) — عند عمل حساب تغذية الجماعة يعتبر غذاء الرجل البالغ وحدة تنسب اليها سائر الأغذية اما الوحدة فتختلف كما ألمنا سابقاً باختلاف موارد الرزق اذا كانت متوسطة الحال او فقيرة — ولكل منهما اناس بذكور اصلاء — ويتضح للقارىء فيما يلي طريقة حساب غذاء الجماعة :—

العمر	كمية المقدار اللازم بالنسبة الى وحدة الغذاء الكامل	كمية الحرارة الكامنة
رجل عمره فوق ٦٥ سنة	٠ر٧٥	٣٠٠٠ كالوري
سيدة بالغة	٠ر٨٣	٣٣٠٠ «
انسة في سن المراهقة	١ر٠٥	٤٢٠٠ «
رجل بالغ	١ر٠٠	٤٠٠٠ «
شاب في سن المراهقة	١ر٢٥	٥٠٠٠ «
طفل من ١٣—١٤ سنة	١ر٠	٤٠٠٠ «
« ١١—١٣ «	٠ر٩	٣٦٠٠ «
« ٩ — ١١ «	٠ر٨	٣٢٠٠ «
« ٧ — ٩ «	٠ر٧	٢٨٠٠ «
« ٥ — ٧ «	٠ر٦	٢٤٠٠ «
« ٣ — ٥ «	٠ر٥	٢٠٠٠ «
« ٢ — ٣ «	٠ر٤	١٦٠٠ «
« ١ — ٢ «	٠ر٣	١٢٠٠ «
« ٠ — ١ «	٠ر٢	٨٠٠ «

وفي سنة ١٩٢٧ تألفت لجنة ببلاد الانكليز لبحث هذا الموضوع فيما يتعلق بالمدارس فوصلت الى ما يقرب من ذلك بعدما انفقت وقتاً طويلاً في بحث عدد ساعات النوم وساعات الدراسة ومقدار الزمن الذي يصرفه الطالب في الالعاب الرياضية ونوع هذه الرياضة الى غير ذلك من دقائق الامور

ولنطبق الآن معلوماتنا تطبيقاً عملياً فنقول على سبيل المثال :— مطلوب معرفة المقدار الغذائي اللازم بالوحدات لأسرة قوامها والد ووالدة وثلاثة اطفال يمثل ذلك كالآتي : —

غذاء الوالد			١ر٠ (اي وحدة غذاء كاملة)
» الوالدة المرضعة			٨٣ر٠
» طفل عمره ٣	سنة		٢٢ر٠
» » ١٠	»		٨٠ر٠
» » ٦	»		٦٠ر٠
المجموع			٣ر٤٥

ومتى علمنا ما تحتاج اليه العائلة وهو ٣ر٤٥ وحدة غذائية امكننا ايجاد الغذاء الصحي اللازم للعائلة المذكورة بضربه في المقادير الواردة في نوع الغذاء المناسب في الفقرة (٢)

ومن الجدول المذكور يتضح ان جسم الانسان بين سن ١٥و١٨ سنة يتطلب غذاء اكثر مما يتطلبه الجسم البالغ وبالأخص فيما يتعلق باللحم والاملاح المعدنية والفيتامين مع قلة العناصر النشوية

مثال ثان : —

مدرسة بها ٣٥ طالبة (يتفاوت سنهن بين ١٣و١٤ سنة) و٦٠ طالبة (يتفاوت سنهن بين ١٤و١٨ سنة) و١٤ موظفاً . ما هو مقدار الغذاء اللازم لهذه المدرسة بالوحدات . وما قيمة ما يحويه هذا الغذاء من الحرارة الكامنة وكيف توزع هذه الحرارة ؟

الجواب : —

٣٥ طالبة يتفاوت سنهن بين ١٣و١٤ سنة يلزمهن غذاء يعادل ١ر٠ × ٣٥ = ٣٥ وحدة كاملة

٦٠ » » » » ١٤و١٨ » » » ١٠ر٥ × ٦٠ = ٦٣

١٤ موظفاً (مدرسون وعمال الخ) يلزمهم » » ٨٣ر٠ × ١٤ = ١٢

المجموع ١٠٠

وحدة الغذاء الكاملة اليومية تحوي ٣٤٠٠ كالوري (والاسبوعية ٢٣٨٠٠ كالوري) فتضرب في مائة وهو عدد الوحدات المطلوبة لهذه المدرسة يومياً

من هذه مواد زلالية مقدارها اليومي ٥٠—٦٠ جراماً والاسبوعي ٣٥٠—٤٢٠ جراماً

ومواد دهنية مقدارها اليومي ١٠٠—١٥٠ جراماً والاسبوعي ٧٠٠—١٠٥٠ جراماً

ومواد نشوية مقدارها اليومي ٤٠٠—٤٥٠ جراماً والاسبوعي ٢٨٠٠—٣١٥٠ جراماً

وعلى هذا الاساس في الوسع عمل حساب الغذاء الصحي لوحدات الجيش والمستشفيات والمصالح والأسرة وغير ذلك . —

غاية العلم في البشر (١)

للدكتور السر شاندراكا ونكاتا راماان
حائز جائزة نوبل الطبيعية

أتيحت لي فرصة نادرة أني طفت حول العالم والسابح الجهيد يعمل بنفس الروح التي يعمل بها الموسيقار المفن . فان النغمات الشجية المنبعثة من عمله تحدث له نفس المسرة التي تحدثها لغيره من السامعين وبدون أي خسارة

إن غاية العلم الحقيقي لا علاقة لها بطريق استعماله سواء أكان ذلك الطريق صواباً أم ضلالاً فان أساس الالهام لجميع الاعمال العلمية هو دراسة الطبيعة واكتشاف الحقيقة . فقد اكتشفت في السنوات العشر الاخيرة اكتشافات عظيمة منها ما يتعلق بقوام الذرة وهو اضافة جليلة الى العلم الانساني بلا نزاع ، ولكن جميع تلك الاكتشافات لا تقدر بطيبتها على ان تمس أحداً بأذى او تلحق به الضرر ، وإن كان

تعريف صاحب المقال

تعرف الى القارئ العربي عالماً هندياً كبيراً آخر صاحب هذا المقال وهو الدكتور السر س.و. راماان رئيس أكاديمية العلوم في الهند واستاذ الطبيعة في معهد العلم الهندي بكلكوتا وهو ذو شخصية عالية في العلم . بدأ حياته كموظف عادي ولكن ولعه الشديد بالبحث والتنقيب دفعه للدراسة العلم المحض دراسة عميقة فاز فيه فنصب السير ، فعين أستاذاً لفيزيقا الطبيعة بجامعة كلكته حيث تسنى له القيام بالبحث العلمي المحض اكثر اعماقاً وأوفى وجهاً فبلغ به الى نتائج اهتز لها عالم العلم وخت . فضله وشيد ذكره بنسبة تلك النتائج في اصطلاح العلم « اثر راماان » او « فعل راماان » Raman Effect واسبغ عليه سائر نوبل والسر ونكاتا راماان أيضاً « رشي » كما سمي هو غيره من العلماء العظام في هذا المقال رأى تواضعاً ان يمد نفسه منهم . وهو في حياته الخاصة أكثرهم وقاء وأخلصهم حباً للانسانية . قد وشح وطنه الهند سلال المجد وطوقها بقلائد الفخر بجده المتواصل وبحثه الثابت وذوقه الصحيح وعلمه الغزير وبحثه الصادق ونتائجه الباهرة ، فهي جديرة بأن تفتخر به وتتباهى

السيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

ان هؤلاء عاشوا غراف النفس زهدان العين ، لم يطمحوا في ثراء الدنيا ولا رغبوا في جاهها وخلفوا في حلبة العلم آثاراً مثلما خلف ميخائيل أنجلو في ساحة الفن — الاعمال الجليلة التي لا تقدر بثمن لحياتهم — تمثل مدى التقدم الذي بلغناه . كل منهم حاول ، يوجد هناك واحد في الألف ممن يفهمها فهماً حقيقياً

(١) نقلها الى العربية السيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي (٢) « رشي » معناه بالسنسكريتية الناسك الباحث عن الحق ، او الشاعر الملهم ، او الحكيم العظيم

عن ان الناحية التي يجب ان تنظر فيها الى تلك الاعمال الجليلة هي ان نرى هل هي زادت مجموع العلم أو لا . فيها وحدها يجب ان تعتبر قيمتها وتقدر ، وليس بأنها ذات نفع او ضرر ، او ذات فائدة عملية اوغير عملية . فالنظر الصحيح في الاكتشافات هو اعتبارها من اعمال الروح الانساني . فنحن نسر بها ونتباهى لأنها اعمال الروح الانساني . ان عبقرية العلماء المحققين ذوي البسطة والرسوخ في العلم مثل فراداي ، ومدام كوري ، ليست رهين الصناعة بل هي رهين الابتكار ، فهم يقومون بالعمل لأجل العمل وبروح التضحية ولا يبتغون وراءه منفعة مادية

ان العلم شيء منظم ولكن مما يقلق البال في بعض الاوقات هو ظهور امارات الضعف عليه بفعل تقدمه الخاص ، فقد عمرنا الآن بكثرة المؤلفات في العلم ، وبدأت الاعشاب الضارة تنمو في حديقته حتى ليلوح أن الازهار أقل فيها من الاعشاب . وعليه فنحن في حاجة ماسة الى هيئة تمثل أفضل العقول العلمية التي تستطيع ان تفرق بين الحنطة وحثالتها وتقدم للناس ازهار العلم الحقيقية بطريق جازم

ان العلم شيء دولي فنحن لا نقدر على ان نحصنه بسور التعريفة . فلو ارادت الهند ان تتكلم بالجزم وتجبر لغات الامم الاخرى نحو كلامها فيجب ان يكون لها هيئة تستطيع ان تتكلم بالجزم وتقطع أوصال جميع ما لا يليق بالبلاد بغير شفقة ورحمة . هذا مما يجب ان تقوم به هيئة من العلماء كما قامت به الجمعية الملكية في انجلترا او الهيئات المماثلة لها في برلين وفي فرنسا وهو نفس العمل الذي تسعى اكاديمية العلوم في الهند الآن الى القيام به

ومن المسائل الاساسية في العلم التي لا يمكن ان ينكرها احد وجهته الاجتماعية . وهذه المسئلة بمكانة من الصعوبة حيث لم يتح لأهل الحل والعقد الى الآن ان يتحدوا فيها رأياً ، فقد اختلفت آراؤهم وتباينت أفكارهم ، فمنهم من يرى ان العلم من الوجهة الاقتصادية لا يعيد ما ينفق عليه فلذلك يجب توفير المال وانفاقه في نشر التعليم الابتدائي ، ومنهم من يرى ان ذلك المبلغ ينفق تكفلاً بأبحاثه التي لا بد ان تعوضه نتائجها يوماً ما . وعلى كل حال يجب ان تعرف البلاد غاية العلم الحقيقية بوجه عام وحاجاته ومطالبه وأيضاً ما يرجى من أهله فان على كل فرد واجباً نحو هيئته الاجتماعية لأنه يعيش فيها وينتفع منها . وعلى اصحاب العقول الراجحة ان يعاونوا الدولة ويسعوا لعمل شيء عوضاً عما اخذوا منها . والطريق الحقيقي لفهم هذه المسئلة هو ان نرى ما عمل فيها في بلاد اخرى . وليس من يجهل ان بوليون أحيا اكاديمية العلوم الفرنسية وطلب من رجالها صناعة البارود واشياء اخرى ، بل كان هناك جماعة من العلماء تحف به دائماً ، ولكنهم لم يكونوا ممثلين اوامره فقط ، فقد اكتشفوا في نفس الزمن اكتشافات علمية كثيرة

لا علاقة لها بأعمال الامبراطور القظيمة. حتى في زمننا الحاضر قامت حالة من هذا القبيل في حكم موسوليني وهتلر. ولكن في الهند يجب ان لا يسمح بمثل هذه الاشياء، فان الهند فطر كان العلم فيه دائماً ذا عزة لا تدانى وجلالة لا تساوى. إنها قامت دائماً لنصرة العلم وأعزّت جانبه ومازالت حوزته لاجله هو لا غير. ولذلك اعتقد اعتقاداً جازماً انهُ اذا سمح لعلمائنا بمباشرة اعمالهم مع التشجيع امكننا ان ننجز اعمالاً جليلة

اقول هذا ولا اريد به استصغار واجب العلماء نحو الهيئة الاجتماعية، فاني اعتقد ان العالم الذي يهمل واجبه نحو الهيئة الاجتماعية وينصرف كليًّا الى تثقيف نفسه واسعاد حاله رجل لا يليق بان يعيش في هذا القطر. ان واجبنا ان لا نبعد انفسنا عن الملايين من الهنود الذين يتضورون جوعاً واعتقد ان الذين يوطّنون انفسهم على متابعة العلم للعلم يحوزون به مقاماً يوفقهم الى خدمة الهيئة الاجتماعية أعظم خدمة. فان ذوي النظر في العلم هم وحدهم الذين يقدرون على ان يبدوا الى الانسانية خدماتهم الحرة. فباستور، ومدام كوري وغيرهما من العلماء العظام خدموا الانسانية وقدروا على ان يقفوا انفسهم على أوسع مصالحها

ولكن هناك امر يجب ان لا يغرب عن البال وهو ان العالم الحقيقي لا يجب ان يُملى عليه، فانت لا تستطيع ان ترجو منهُ خيره إن أمليت عليه حكمك. لذلك ينبغي لك أن تختار الرجل ثم تلقي حبله على غاربه وحينئذٍ فقط تنال منهُ نتائج ابعد غوراً وأعمق أثراً تستحق الاعتبار وتستوقف الانظار

لا شك في ان مستقبل الهند متوقف على مستقبل العلم في ارضها. أما ان العلم يجب ان يتوجه فيها الى الاشياء التي تهم الفقراء في القرى، فأمر لا يحتاج الى البرهان والدليل

ليس بضروري ان يكون هناك سابقة بين القوة الآلية (اي الميكانيكية) والقوة البدوية. فلم كان مستحسناً ان يخرج الزارع الماء من بئر ويسقي زرعه ولكنهُ اذا أعطي قوة كهربائية فهو يزيد بها محصوله بغير شك زيادة كبيرة. فالعلم يستطيع ان يساعد الناس الى حدّ بعيد لذلك لاحاجة الى الخلاف والخصام بين الانسان والناحية العملية للعلم

* * *

كان عندنا عدد وفير من الناس في البلاد قادرين على خدمتها خدمة حقيقية ولكنهم لم يُسمح لهم بذلك فأضاعوا وقتهم في امور تافهة. ونحن نقدر ان نتفاءل ونقوّم ميلها اذا اختيرت سياسة صحيحة للعناية في الامر. ان اصحاب تلك القرائح يجب عليهم تنسيق البحث العلمي في الهند على نحو ما نُسّق في روسيا لكي تزداد ثروة شعبهم الحقيقية. فالبلاد خصبة في الذكاء. واذا اتخذت وسائل فعّالة لاستغلاله زادت ثروة الشعب زيادة عظيمة

منسوجات المستقبل

او معجزات الكيمياء في صناعة الملابس من اللبن والخشب والفحم وغيرها

نظرها عرض مصري

تكاد كل مادة تنتجها الطبيعة في العالم ، تستعمل في صناعة الثياب او تجرب لأجل صنعها ومع ذلك فالتقدم الخطير في هذه الصناعة بدأ حينما تعلم الانسان طريقة الحصول على الياف النبات وشعر الحيوان fiber ، وضم بعضها الى بعض ، خيوطاً فنزلاً ثم نسجهُ ثياباً تلائم مشارب الناس

وكلُّ ما تمَّ في هذه الصناعة من قبل ، انما هو نزر ، عند مقابلته بما ينتظر ابتداعه في المستقبل . وما كان امرؤ منذ بضع سنوات ليتصور انهُ سوف يأتي يوم يُتخذ فيه شعر ماعز للمنسوجات من لبن البقر او خشب الشجر او فحم الحجر او سمك البحر او رمل البر

ومن عجب ان كثيراً من ذلك الشعر وتلك المنسوجات قد تبوأ مكانه في التجارة . ومازال بعضها الآخر رهين المعامل الكيميائية ، ولكن خصائصها سوف تجعلها نافعة جداً في المستقبل

وبعض تلك المنتجات نتيجة شغف الدول بتدوين اسمها بحاصلات بلادها الخاصة والاستغناء بها عن غيرها إذ يبغي كل منها ان يخترع بالتركيب الكيميائي ألياناً ومنسوجات حتى يستقل بنفسه فيستغني عن الواردات الاجنبية التي قد تنقطع في خلال الحرب

وهذه العلة هي المشجع على القيام بالمباحث المتواصلة في ايطاليا التي أفضت الى اختراع شعر اللانيتال Lanital ونسجه وهو أقرب أنواع الشعر الكيميائي الى الصوف الطبيعي

ولما كان الجنين الذي يستخرج من اللبن الاميركي لا يختلف عنهُ في لبن البقر الايطالي ، فما قريب سنصنع في الولايات المتحدة ، مادة مثل اللانيتال للتجارة . وقيلاً تمكن العلماء في وزارة الزراعة الاميركية من انتاجها على سبيل التجربة ، فحذت حذوهم المعامل الكيميائية في الشركات الصناعية

وذلك الشعر الكيميائي الشبيه بالصوف الطبيعي صالح للبس ، رخيص الثمن ، ولا يحتاج صنعه إلاَّ الى تعديل طفيف في الآلات الحالية التي تنتج الريون المعروف باسم الحرير الصناعي . وقوام

عن مجلة « ملخص العلم » عدد نوفمبر ١٩٣٩

هذه الصناعة ، الجبن، وهو العنصر الاساسي في الجبن . ومع ذلك فان بقية عناصر اللبن (عدا الجبن) ينتفع بها أيضاً في وجوه شتى ، اذ تفقد قشدة اللبن الخام لأجل استخراج زبدها ودهنها ، ثم يعالج اللبن المفقود بالحامض ليتجمد جبنه ، فيصير « روبة » وانفصل . «الشرش» الذي ينفصل في تلك الحالة ، يعالج علاجاً من شأنه ابطال مفعول ذلك الحامض ثم تغذى به الخنازير. ومن روبات الجبن ، يتولد مسحوق الجبن المجفف ، وهو قوام شعر الصوف الكيميائي . وكل ٢٦ جالوناً (الجالون = ٤٥٤٥ر٤ لتراً) من لبن البقر تنتج زهاء ٨ر٨ الرطل من الزبد و٦ر٦ الرطل من الجبن . والرطل من شعر الصوف الكيميائي يمكن تركيبه من كل رطل من الجبن. وتساوي البزة الكاملة التي تيوامها ثلاث قطع مصنوعة من الجبن ، بحسب السعر الاميركي الحالي ١٠٠ سنت ثمناً للمواد الخام المؤلفة لها . والوجه ان مادة البروتين التي في الجبن ، هي العنصر الكيميائي الاساسي الذي صنع منهُ الكيميائيون ذلك الشعر الجديد النافع . ومن أجل هذا نجح الكيميائيون الاميركيون وغيرهم في تركيب الشعر تركيباً كيميائيًّا من بروتينات شتى

وعلى هذا المنوال غدا الشعر الكيميائي في اميركا، يصنع من فول الصويا او البسلة الصينية[1] اما في اليابان والمانيا ، فقد صنع الشعر الكيميائي الشبيه بالصوف الطبيعي ، من بروتين السمك وذلك على سبيل التجربة

وقد اسفر التحليل الكيميائي لشعر الصوف الصناعي ، عن احتوائه على جميع العناصر الكيميائية التي في الصوف الطبيعي ، وذلك بنسب تكاد تكون متشابهة ، ما عدا الكبريت فهو في الصوف الصناعي اقل منه في الطبيعي ، بمقدار طفيف . اما قدر الكربون فيه فأكثر قليلاً عنهُ في الطبيعي

ولصنع الصوف الصناعي بالاجهزة الحالية للحرير الصناعي التي تنسجه ، يذاب جبن اللبن في المواد الكيميائية حتى يصير قوامه كالشراب السائل ، وحينما يبلغ قوامه الحد المطلوب ، يُدفع ذلك السائل ، في ثقوب دقيقة . وعند ما تخرج ربوات هاتيك المجاري الدقيقة من تلك الثقوب ، تدخل في حمام كيميائي من الفورمالدهيد حيث تبس فتصير شعراً ، ثم تلي تلك العملية عملية اخرى مستمرة ، يمر فيها الشعر الصناعي ، الى احواض اخرى محتوية على محلولات تصبغها ثم تجفف حتى تصير كرات من الصوف تظهر كأنها جزات الصوف الطبيعي النقية ، فيغزل هذا الصوف غزلا لاجل النسج والحبك بالطريقة المألوفة . وفي الوسع تكييفه بالنخانة والطول المطلوبين وهذا الصوف الصناعي متين في الوسع تشبيهه بأجود أنواع صوف المرينو المشهور بمتانته وجودته

ومن عهد اختراع هذا الشعر جعل العلماء يتسابقون فيما بينهم ، قائلين أتستطيع الكيميا

(١) اشرنا الى ذلك في الاخبار العلمية بمقتطف مارس سنة ١٩٤٠

التي تسطو بسهولة على اللبن الحليب ، فتحمضه ، أن تفعل كذلك في الشعر المصنوع من الجبن

فتصدى حديثاً طالبان هولنديان لفحص هذه المعضلة ، فثبت لهما ان البكتيريا الاكالة الجبن تتلف الشعر الصناعي تلفاً محققاً ، إذ تطلق خميرة كيميائية تقوم بذلك العمل . ثم تبيَّنا أن الحرارة تقف مفعول تلك الخميرة الكيميائية . اذن ، ينبغي أن يقوم لابسو الصوف الصناعي بتطهير ثيابهم في الماء المغلي من حين الى آخر اتقاء لتلفها

وقد مضت سنوات على اختراع صنع الازرار في انحاء العالم ، من الجبن . وهذه الازرار ايضاً يتاح للبكتيريا الفتك بها كما اتضح من التجارب التي جريت في المعامل الكيميائية الخاصة . اما في الحياة العملية فان الظروف لا تسمح بتأثير الخميرة البكتيرية في جبن الازرار والملابس

وكل الشعر العصري الكيميائي التركيب ، مدين باختراعه الى الحرير الصناعي الذي اخترع حالما وضعت الحرب العالمية اوزارها ، وقد زادت مقطوعية القطن في خمس عشرة سنة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٥ نحو ٦ ٪ وارتفعت مقطوعية الصوف في تلك الحقبة ٧ ٪ وزادت منتجات الحرير الطبيعي ٤٧ ٪ اما الحرير الصناعي فزادت منتجاته في المدة عينها ١٠٠٠ ٪ أي عشرة امثال ما كانت عليه في سنة ١٩٢١

ومما يجدر ذكره من تاريخ الحرير الصناعي أنهُ في سنة ١٨٨٦ أودع ايلير ده شاردونيه Hilaire de Chardounet النبيل الفرنسي ، لدى المجمع العلمي الفرنسي ظرفاً مختوماً ، على ان يحتفظ به هناك ، مغلقاً ثلاث سنوات ثم يفتح . وفي سنة ١٨٨٩ فضَّ ذلك الغلاف فاذا هو يحتوي على طريقة تركيب الحرير الصناعي فأعلنت للعالم . (وقد شرحتُ طريقة صنعه في مؤلفي الصناعات والصناع المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٧ حيث أشرت الى ذلك المخترع الجليل)

* * *

ومما لا مشاحة فيه أن خيوط (الريون: الحرير الصناعي) كانت في بدء أمرها غير متينة كالحرير الطبيعي ، ولم تكن لتحتمل الرطوبة كما يحتملها . وما كانت خيوطه تبلغ رقمها في الطبيعة ، فأدخلت على صناعته وجوه الاتقان تدريجاً . وفي خلال الحرب العالمية اتسع نطاق مصانع ذلك الحرير اتساعاً فاق ما كان يستهلك منهُ حينئذٍ . وسبب ذلك التوسع انما كان خدعة كيميائية ، قصد بها تحويل معامله الى مصانع للمواد الشديدة الانفجار مثل النيتروسليولوز ولاجل انتاج طلاء لطافي أجنحة الطائرات . فلما استتب السلام ظلت معامله الكبيرة متعطلة زمناً طويلاً ، وكسدت سوقه حتى قام الكيميائيون بحل المعضلة التي كانت تحول دون الاقبال عليه ، اذ استطاعوا ازالة اللمعة التي كانت تميزه ، فأصبح مظهره أنعم مما كان عليه . فكان ذلك العمل ، مشفوعاً بالاتقان الدولي على وصف

الشعر الذي يصنعهُ الانسان باسم جامع ، وهو ريون rayon بدلاً من «حرير صناعي» . باعثاً كبيراً على رفع منزلة صناعته

ولصناعة الريون ميزة فريدة لم تبلغها صناعة الحرير الطبيعي ، وهي التحكم المطلق في جعل نسيجه على نسق واحد . وقد نجم عن المباحث التي تمت فيها ، تنويع الشعر الاساسي للريون تنويعاً يسهل معهُ ، اصطباغهُ بالاصباغ الجيلة اصطباغاً أشد من اصطباغ الحرير الطبيعي بها

أما الشعر الصناعي المرتقب ، فان تكون فائدتهُ مقتصرة على صنع الملابس، فالزجاج المصهور من البسور ،دفعهُ من ثقوب دقيقة فيكون شعراً يفوق في رفعهِ الشعر البشري . والشعر الزجاجي يستطاع غزله خيوطاً ونسجه منسوجات تصنع منهُ ستائر وأغطية للكراسي والمقاعد وغير ذلك

* * *

ومن السهل تنظيف منسوجات الزينة والستائر الزجاجية، تنيش زمناً طويلاً فهي لا تتأثر بالرطوبة ولا بالعفونة وهذا فضلاً عن قبولها للاصباغ الزاهية التي لا يحول لونها . وهذا كله له نفعه في الاماكن العامة ، ولا سيما مقاومتها للحريق . ومما قريب سنرى منسوجات الزجاج تستجدُّ بها الكراسي في القاعات العامة في الفنادق والبواخر والمسارح ، كوسيلة من وسائل وقي الحريق

ولما كانت الادوات العامة التي تمتاز بكونها أشد عزلاً للكهربائية ، من المنسوجات الزجاجية ، قليلة ، فقد لقيت المنسوجات التي تصنع منها ، رواجاً في الميدان الرحب للصناعة الكهربائية . وشعر الزجاج آخذ في النوغل في ميدان العزل الحراري ، ممحوباً بكل تقدم يتقدمهُ تكييف الهواء . وتستعمل المنسوجات الزجاجية والشعر الزجاجي لاجل التصفية (اي الترشيح) في الصناعة الكيميائية

ويصحب الزجاج بمثابة شعر فريد من الشعور الصناعية للمستقبل ، شعر المعادن ومنسوجاتها التي اخذت منافعها تزداد من حين الى آخر . وبينما نرى الشعر المعدني مثل (نسيج الذهب) محسوباً من التحف الأثرية المحترمة نراه كذلك واسع الانتشار حالاً وينتظر لهُ مستقبل باهر

ويتاح الآن مدُّ السلك المعدني حتى يبلغ من الرفع اقصاه ، أما المعادن النفيسة كالذهب والفضة فقد ابتدعت وسائل عجيبة لصنع أسلاك منها رخيصة الثمن تصلح لصنع المنسوجات . من ذلك صنع اسلاك الذهب من أسلاك فضية ملبسة بالذهب . واسلاك الفضة ، من اسلاك نحاسية مطلية بالفضة وهلم جرًّا . بل انهُ قد تيسنت سهولة تغطية خيوط من القطن وغيره من الشعر الطبيعي بشرُطٍ من الفلزات فتظهرها بمظهر المعادن . والتراب المعدني ايضاً يمكن ذرُّه على

الشعر الباقي وتثبيته في موضعه بالمواد اللينة اللاصقة . وتقوم بإتمام هذه العملية مواد كيمائية شفافة عامة لتكبير اللون تطلى بها المنسوجات . ومع ذلك فمعظم استعمال الشعر المعدني ليس في صناعة المنسوجات اللازمة للزينة ، بل في ميدان الصناعة

ان الدرر (بودرة الوجه) والادوية والدقيق ، نماذج قليلة من مجموعة البضائع التي تدخل بمناخل من النسيج المعدني . ويستطاع صنع الاسلاك المعدنية بخفة تقل عن خمسة في ألف الشعور والالياف الاخرى . وأدق المناخل التي تؤلف من ٤٠٠ عين في البوصة المربعة تنسج من سلك قطره ٠٠٠١ من البوصة . وهذا يشبه نخانة جل خيوط نسيج العنكبوت وقد بدأت اسلاك البلاتين الدقيقة تحل محل خيط نسيج العنكبوت في كثير من الآلات البصرية التي تستعمل في المساحة ولتعيين المواقع

ولم يستطع علم الكيمياء في بضع السنين الماضية ان يأتي بثمرة أنضج من اكتشاف الطريقة التي تصنع بها الشعور الصناعية الجديدة من الفحم الحجري والهواء والماء ، إذ أنتج من هاتيك العناصر المادة الجزيئة ، شعراً يحتمل ان يصبح منافساً عملياً للحرير الطبيعي . وهي هو النيلون nylon وقد نسجت اول سبيل التجربة من هذه المادة ، جوارب كادت تبلغ الهدف الذي كان ينشده مخترعو المنسوجات وهو صنع جورب شفاف مزدوج الخيط ، يجاري الجورب الثلث الخيط في متانته

* * *

والنيلون اول مادة صالحة للاستعمال في ميدان الشعر الصناعي الذي يستخرج من المواد غير العضوية . أما سائر الشعور الصناعية فتتركب من المواد العضوية اي المواد المتخذة أصلاً من الاحياء ، نباتات كانت او حيوانات . ويتسنى مدُّ النيلون خيوطاً أرفع من خيوط الحرير الطبيعي ، ومظهره وملمسه يشبهان حرير الدود ولكنهُ أمتن منهُ وأشد مرونة . ولايهم كثيراً في صنعه ان تبلغ خيوطه الدرجة القصوى من الرفع بل يسوغ ان تكون ثخينة . ثم ان مادة الاكستون exton المستعملة بديلاً لشعر فراجين الاسنان ، انما هي اسم تجاري للشعر الصناعي المستخرج من النيلون . أما ماذا تكون أثمان جوارب النيلون حينما تظهر في السوق ، فهو أمرٌ مجهول حتى الآن ، ومع ذلك فالمنتظر ان أسعارها ستكون مشابهة لأسعار أجود الجوارب الحريرية بما تمتاز بهِ من الاحتمال وانانة المنظر

ومن الشعور الصناعية الجديدة البرفيل Pervel وهذا يصنع من السيلولوز وهو في الاصل ورق ولكنهُ متين جداً بحيث يمكن استعماله مبللاً دون الخوف من تمزقه . وهو خال من الخيوط ولكنهُ لين مرن مثل النسيج . ولصنع هذا الشعر يضغط السيلولوز ضغطاً مسطحاً . فلا يحتاج بعدئذٍ الى عمليتي الغزل والنسج . ومنسوجاته رخيصة ، ويتسنى رواجها في الاسواق بأسعار

منخفضة جداً. ومخترعاه هنار نيس دي ويت Francis De Witt وبول برايانت Paul Bryant وقد عنيا بانتاج هذا النسيج الرخيص لانهما كانا يبحثان عن نسيج يسهل استعماله ثم نبذه، بدلاً من ارساله الى المغسل لاجل تنظيفه. وهذا النسيج فذ في نوعه لانهُ مع احتوائهِ على السليلوز فان ألياف السليلوز لا تغزل خيوطاً ولا تنسج نسيجاً بل تضغط ضغطاً مسطحاً كما سبق القول

وباجتناب عمليتي الغزل والنسج يبلغ درجة الكمال باقتصاد عظيم. وهذا يوضح لنا كيف يمكن المرء من شراء كيس وسادة او مبدعة او ملاءة سرير من هذه المادة الجديدة بثمن يزيد قليلاً على ما يدفعه أجرة لغسل أمثالها من القطن. وتصنع الآن من البرقيل، الموادع (جمع مبدعة) والستائر وأغطية الاسرة والموائد والمناديل وعشرات من الادوات التي ينطبق عليها مبدأ « استعملها ثم انبذها »

ومن الشعور الصناعية الراتينجية نوع اسمه بولفينيل اسيتال Polyvinyl acetal وقد عرض على الجمعية الكيميائية الاميركية في اجتماعها الحديث، وهو منافس للحرير الياباني الطبيعي

ومستنبطوه طائفة من الباحثين في الشركة الكيميائية للكربيد والكربون. ويمكن صنعه خيوطاً رفيعة كالحرير الطبيعي تبلغ متانته ولكنها تفوقه في المرونة، وبعدم اختراق المياه لياها ولا تأثير النار فيها

ومواده الاساسية، ملح الطعام والفحم والجير والهواء. ومن هذه المواد الاولية الرخيصة الجزيلة تصنع مجينة كيميائية راتينجية صافية كالماء.

* * *

ومن الاشياء المقترح صنعها منها، عدا الجوارب، ثياب لا تخترقها المياه وخيوط لصيد السمك وشباك صغيرة وكبيرة (seines طراحات) لصيد السمك ايضاً وثياب لمقاومة الاحماض والقلويات ومواد عازلة للكهربائية وستائر لاجل المشتات [1]

وهناك مادة شعرية جديدة تسمى باسم ڤينيون Vinyon وهذه لما تنتج انتاجاً تجاريًّا لصنع الجوارب. وخواصها تشبه خواصَّ النايلون. وان كان تركيب النايلون الكيميائي يختلف عن تركيبها

(١) من شن الماء على الشراب فرقه. والغارة عليهم، صبها من كل وجه كأشنها. وفي اللسان شن الماء على شرابه، يشنه شناً. صبه صباً وفرقه. وقيل هو صب شيء بالتفريق. وشن الماء على وجهه أي صبه عليه صباً سهلا. وفي الحديث اذا جامع أحدكم فليشن عليه الماء. للغريمة عليه رشاً متفرقاً. والشن الصب المتقطع. والسن الصب المتصل. وقد اشتق من الفعل شن اسم آلة على زنة مفعل ليستعمل فيما يستعمل فيه العامة بالمرش. وهي المشن؛ عن تذكرة فقه اللغة للاستاذ محمد عبد الجواد

الصورة القاتمة

لحالة مصر الصحية

للدكتور عبد الواحد الوكيل بك
استاذ علم الصحة بكلية الطب (١)

نحن الاطباء وخاصة نحن الرجال الصحيون نهتدي في كثير من أبحاثنا ، كما يهتدي التجار ، بالطرق الحسابية والمقارنات الاحصائية ، ولكن مع اختلافنا عن التجار الحقيقيين في ان بضاعتنا هي الأرواح والأبدان ، وان مبدأنا هو الشراء ، والشراء دائماً وبأي ثمن لرفع مستوى تلك البضاعة . فاننا نشبههم كثيراً في ان لنا دفاتر ونشرات احصائية رسمية ولكنها للمواليد والوفيات والامراض . نرصد فيها الدخل والخرج من النفوس . ونرجع اليها عاماً بعد عام لنقارن نتائج عملياتنا المختلفة من حيث المكسب والخسارة في تلك السوق التي نشتغل فيها . وهي السوق الانسانية المعرضة دائماً وبصفة طبيعية أزلية لعوامل النزول والتدهور . أي عوامل البوار من مرض وموت . فاذا دلتنا المقارنة على ان اعمالنا رابحة او بمعنى آخر انهُ قد نتج من مجهوداتنا تقليل أو تأجيل لتلك الخسارة المحتومة في حياة بني آدم : اي تقليل المرض وتأجيل الموت ، حمدنا الله وشكرناه ، وظلنا نسير في السبيل الذي رسمناه او رسمهُ السابقون لنا في خدمة الانسانية والوطن

اما اذا دلت المقارنة على اننا نخسر ، او ان مكسبنا معدوم او ضئيل فان ذلك لاشك يدفعنا مخلصين الى البحث عن السبب او الاسباب . وهذه قد تكون راجعة الى عدم صلاحية الخطط الطبية والصحية التي نسير عليها . او عدم كفاية الجهد الذي نبذلهُ في تنفيذ تلك الخطط . او عدم كفاءة في انفسنا . او هذه الاسباب مجتمعة ويكون اذ ذاك واجبنا هو الاسراع في اصلاح تلك الحال

والآن هل كانت تجارتنا الى اليوم نحن الأطباء الصحيين عملية رابحة للامة والبلاد او عملية خاسرة او راكدة . هذا سؤال نجيب عنهُ بأفصح لسان ، وأجلى بيان ، ارقام الاحصاءات الصحية . ولاسيما ما تسميه (نسبة الوفيات العامة) ، وهي نسبة الموتى الى كل الف من السكان

(١) القى الدكتور الوكيل بك محاضرة في المؤتمر الحادي عشر للمجمع العمري للثقافة الطبية فاخترنا منها الحقائق الثانية التي تصف حالة مصر الصحية على حقيقتها المؤلمة وستتبعها في الجزء القادم بما يراه من خطط لاصلاح الحال

واذا راجعنا متوسط نسبة الوفيات العامة في مصر كل خمس سنوات من سنة ١٩٠١ الى ١٩٣٥ وضربنا صفحاً عن الزيادة الفاحشة في الوفيات التي حدثت في الفترة من ١٩١٦–١٩٢٠ بسبب أوبئة الحرب العظمى وخاصة وباء الأنفلونزا القتال الذي تلافاها رأينا ان نسبة الوفيات لم تتحسن شيئاً بل انها قد زادت قليلاً في غضون هذه المدة الطويلة حتى في السنين الاخيرة ذاتها التي امتازت بنشاط نهضتنا الحديثة وكذلك بزيادة الضبط في احصاءاتنا الصحية

أي ان الجيل الحاضر من المصريين ، اذا أخذناه جملة ، لا يزال للأسف يفنى بنفس السرعة التي فني بها آباؤه واجداده أو أكثر منها . وذلك بينما الممالك المتمدنة جمعاء قد سجلت هبوطاً مستمراً في نسب وفياتها بحيث صار الجيل الحديث فيها متمتعاً بما لم تتمتع به الاجيال السابقة من قلة المرض وطول العمر . ونحن اذا راجعنا نسبة الوفيات العامة سنة ١٩٣٧ في مصر وثلاثين دولة أخرى في مختلف القارات متدرجين من الأسوإ الى الأفضل ، اتضح لنا ان مصر تقع في رأس القائمة ومن هذه البلدان الهند واليونان وبلغاريا وفلسطين بل ان نسبة الوفيات في بروج كانت في تلك السنة ٨ر٨ في الألف حالة ان النسبة في مصر كانت ٢ر٢٧ في الألف

وتدل الارقام كذلك على ان متوسط نسبة الوفيات الانكليزية في السنين الاولى من القرن الحاضر كانت ١٦ في الالف وهو ما يوازي الآن نسبة الوفيات اذ ذاك في مصر . ولكنها قد هبطت الآن بمقدار الربع الى ١٢ في الالف أي الى اقل من نصف ما لدينا . بينما ظلتنا ثابتين بل زدنا قليلاً عن المعدل الذي ورثناه عن القرن الماضي . فاذا سرنا بالمقارنة الاحصائية خطوة أخرى واردنا المفاضلة بين وفيات المصريين والانكليز عن طريق توزيع مجموعتي السكان الى طوائف أو فئات بحسب السن وجدنا ان آثار المساوىء الصحية ليست وقفاً على عمر دون آخر في بلادنا بل هي تتغلغل في الأمة بصادفها المصري في مهده كما يصادفها في شبابه وكهولته وهرمه

فالمصريون عمراً يعد عمر الى سن السنين هم أتعس حالاً وأسوأ مآلاً من حلفائهم الانكليز وحتى في سن الشباب القوي المتين يحصد منا الموت ضعف ما يحصد منهم . ناهيك عن الطفولة الاولى والشيخوخة الاخيرة التي يفنى منها لدينا اضعاف من يفنى منها لديهم

هذه هي الصفحة الاولى من الدفاتر الاحصائية المصرية وما تسجله من خسارة أو قلة نجاح في تجارتنا الانسانية . ولكننا قبل ان نبني النتائج على هذه المقدمة السيئة يجدر بنا ان نغوص قليلاً في تلك الدفاتر لنزيد الوقائع بياناً باتجاهنا ناحية أخرى لها شأنها وخطرها . ذلك لان مصر في الحقيقة قد صارت منقسمة في عهدنا الحاضر أكثر من أي وقت آخر الى جزئين . ليس هما الوجه البحري والوجه القبلي كما يقول علم تقويم البلدان ، بل هما الحضر والريف . أو المدن والقرى ، كما يعلم الباحث الصحي والاجتماعي . ففي غضون تلك المدة أي منذ اوائل القرن

الحاضر هبط متوسط نسبة الوفيات في مدننا الثلاث الكبرى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد كما يلي : في القاهرة هبط من ٣٨ في الالف في اوائل القرن الى ٢٩٫٧ وهو هبوط يوازي ٣٢ ٪ أو الثلث . والاسكندرية هبطت نسبتها في تلك المدة من ٣٣٫٧ الى ٢٥٫٨ أي بما يوازي ٢٣ ٪ أو نحو الربع . وهبطت نسبة بورسعيد بمقدار ١٩ ٪ اي نحو الخمس . بينما الوفيات في القطر المصري عامة وكان متوسطها ٢٥٫٣ في اول القرن بلغت في النهاية ٢٦٫٢ في الالف

بل اننا اذا اخذنا الحضر جملةً (اي المحافظات وعواصم المديريات وبنادر المراكز) ولم نقتصر على القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والريف جملة وجدنا نسبة الوفيات في الخمس عشرة سنة الاولى من نهضتنا الحاضرة قد نقصت في الحضر من ٣٢٫٤ في الألف الى ٢٩٫٦ في الألف حالة انها زادت في الريف من ٢٤٫٠ في الألف الى ٢٥٫١ في الألف

يتضح لنا من هذه الارقام ايضاً انهُ بينما سجلت المدن المصرية عامة في تلك الفترة تحسيناً يقدر بنسبة ٩ ٪ اذا بالريف لم يسجل سوى هذا التحسن الطفيف بل زاد سوءاً بمقدار ٥ ٪

وهنا نلمس احد الاسباب الجوهرية لعدم نجاحنا في السوق الانسانية المصرية . وهو اننا أغمضنا أعيننا الى اليوم عن الريف وأهله وهم اكثر السكان . ووجهنا عنايتنا الكبرى الى المدن

ومع ذلك فهل كان ذلك التحسن الذي قد يتفاخر به البعض في حالة مدننا الكبرى هو التحسن الجدير حقًّا بالمفاخرة ؟ كلاَّ . وذلك لسببين (اولاً) — ان درجة التحسن لم تكن ملموسة شيئاً الاَّ في القاهرة والاسكندرية وبور سعيد . حالة ان المدن الاخرى لم تصادف ذلك الحظ ، فطنطا مثلاً كان متوسط نسبة الوفيات فيها في الفترة (١٩٢١—١٩٢٥) يبلغ ٣١٫٠ في الالف ثم هبط في الخمس السنوات التالية الى ٢٩٫٣ ولكنهُ زاد ثانية في الفترة التالية الى ٣٠٫٨ — وأسيوط كان المتوسط فيها بالتوالي اثناء ذلك ٣٣٫٢ — ٣٤٫٩ — ٣٤٫٥

أما السبب (الثاني) فهو ما يراه الانسان اذا قارن نسبة الوفيات في المدن المصرية (بما فيها القاهرة وبورسعيد والاسكندرية) بما يقابلها في الممالك الراقية الاخرى. فنسبة الوفيات في المدن الهولندية مثلاً هي ٩ — ١٠ في الالف . وفي المدن الالمانية ١٠ — ١١ والدنماركية ١٢ والفنلندية ١٢٫٤ والانكليزية ١٢—١٤ والارلندية ١٥ والبلغارية ١٦ واليونانية ١٩ بينما هي في المدن المصرية ٢٩٫٦ في الالف. ثم ان احصائيات وفيات الاطفال تستوقف النظر. فالوفيات في هذه البلاد تتضمن نسبة كبيرة جداً من الاطفال الذين لم يبلغوا السنة الخامسة من العمر . كما يستدل من الارقام الآتية

أ — كان عدد الوفيات في القطر المصري عامة سنة ١٩٣٧ (٢٠٨٫٤٣٤)

ب — وكان منهم أطفال رضع اي لم يبلغوا السنة الاولى من العمر ٨٥٦٫١١٤ أي بنسبة ٤٫٢٦ ٪

ج — وأطفال عمرهم من ١—٥ سنوات ١٢٢٫٨٩٢ أي بنسبة ٢٩٫٤ ٪

د — أي كانت جملة الاطفال الذين في السنة ٢٤٢٫٧٤٨ أي بنسبة ٥٥٫٨ ٪ من مجموع المتوفين . ويتضح من ذلك ان هناك جيشاً جراراً من زهاء ربع مليون من الاطفال يموتون كل عام في مصر ويتكوَّن منهم أكثر من نصف الوفيات العامة في كل سنة حالة انهم في انكلترا مثلاً لا يبلغون أكثر من ربع الوفيات . فما كان أغنى جيش الامهات الذي ولد هذا الجيش عن متاعب الحمل والوضع والنفاس والرضاعة والتمريض اذا كانت هذه نتيجة التعب والنصب

ومع ذلك فان هذه الارقام السيئة لا تدل على كل ما هنالك من خطر . اذ ان وفيات الاطفال هي كذلك في مصر آخذة في الارتفاع . ففي سنة ١٩١٩ كانت نسبة وفيات الرضع اي الذين لم يبلغوا سنة واحدة من العمر في انكلترا ٨٩ في كل الف مولود وفي مصر ١٢٨ فنقصت في سنة ١٩٣٧ في انكلترا الى ٥٨ وزادت في مصر الى ١٦٥

يتضح من ذلك ان وفيات الاطفال الصغار هي ايضاً في صعود متواصل حتى في هذا العهد الذي نحن فيه بينما هي في هبوط سريع متصل في انكلترا وكذلك في سواها من الممالك المتمدنة . ولا أزيدكم في هذه الناحية أرقاماً ولا بياناً ولا أسفاً . اذ الطفولة المريضة الفانية لا يمكن ان ينتج عنها الا شعب مريض سريع الفناء

هذه هي صفحة الموت في مصر مقارنة بمثلها في الشعوب المتمدنة نخلص منها الى الحقائق التالية

اولاً — ان الأحوال الصحية في القطر المصري عامة تعتبر أسوأ الأحوال بالقياس الى كافة الأمم المتمدنة في القارات الخمس حتى تلك التي تشبهها أو دونها في نسبة المتعلمين وهذا يدل على ان هناك عيباً أو نقصاً في الجهود التي بذلناها الى اليوم للعناية الطبية والصحية بالسكان

ثانياً — ان الأحوال الصحية في الريف الذي تسكنهُ أغلبية المصريين ليست سيئة فحسب بل انها تسير من سيء الى أسوأ

ثالثاً — ان التحسن الصحي الذي حدث في المدن هو تحسن طفيف لا يستحق التفاخر به اذ لا تزال بعيدة عن مجاراة المدن الراقية

رابعاً — انهُ بجانب هاتين المشكلتين الأساسيتين من الوجهة الصحية توجد مشكلة أساسية مشتركة هي جديرة بأكبر اهتمام وهي ارتفاع وفيات الأطفال ارتفاعاً كبيراً

والآن وقد استخلصنا من احصائيات الوفيات هذه النتائج الواضحة التي يجب ان تتجه اليها الجهود قبل سواها، فانهُ يجدر ان نكمل الصورة التي فرضنا اليلة بصورة أخرى عن الأمراض المتفشية في البلاد . ذلك لأن الموت ليس في ذاته الا نهاية وله بداية هي المرض والمرض هو الذي يجب اولاً ان تتجه اليه الجهود بالوقاية فان لم تكن فبالعلاج

ومع ان سجلاتنا الاحصائية عن الأمراض هي للاسف بعيدة عن ان تفي بالمرام ولا سيما في الريف المحروم من الأطباء فاننا مع ذلك نستطيع الوصول الى تقدير لمراض المصريين في الوقت الحاضر من مصادر مختلفة يمكن الاعتماد على أغلبها . واليكم خلاصة تلك المعلومات

يمكن تقسيم الأمراض التي تصيب شعباً من الشعوب الى ثلاثة أقسام رئيسية وهي :

أولاً — ﴿ الأمراض المعتادة ﴾ من جراحية وباطنية وهذه لا يكاد يختلف في نوعها شعب عن آخر ويجب ان يكون من السهل تدبير أمرها بتوفير سبل العلاج وخاصة للطبقات الفقيرة ومتوسطة الحال . والخلاصة التي يخرج بها الباحث بالاستقراء[1] أن لا أقل من مليونين من المصريين يصابون في كل عام بالأمراض العادية اصابة تقعدهم عن العمل او الكسب عدة أيام . وهذا بخلاف من يصاب بتلك الأمراض وانما الى درجة لا تقعدهم عن العمل وبخلاف الخسارة الفادحة في النشاط القومي الناشئة عن تفشي الأمراض الاجتماعية والوبائية

ثانياً — ﴿ أمراض اجتماعية ﴾ وهي عادة أمراض مزمنة لا تقتل سريعاً ولكنها توجد منتشرة في السكان ولا يقتصر أثرها السيء على الأفراد بل يتعداهم بصفة مباشرة او غير مباشرة الى المجتمع عامة فيضعف من انتاجه أو تفكيره أو نسله . كما يضعف مقاومته للامراض والموت . وأهم هذه الأمراض في مصر هي الامراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما . وامراض سوء التغذية كالبلاغرا . وأمراض العيون كالرمد الحبيبي والصديدي . والامراض المنوية كالزهري والسيلان . وأمراض أخرى كالدرن الرئوي والامراض العقلية وهذه وما يشبهها هي المحك الحقيقي لصلاحية الخطط الطبية والصحية التي تتبعها الدولة . اذ ان اسباب تلك الامراض توجد عادة متغلغلة في تلافيف الفقر والجهل والعادات السيئة وكذلك في نوع العمل الذي يرتزق به الانسان والوسط الذي يعيش فيه . وتحتاج الى يقظة وجهود متواصلة من جانب الرجال الصحيين والاجتماعيين

ويبلغ عدد المصابين بهذه الامراض كما يلي : بالرمد الحبيبي ٩٠ في المائة من السكان أي ٥٠٠٠٠٠٠ ر ١٤ . والبلهارسيا ٧٥ في المائة من السكان أي ١٢ مليون . والانكلستوما ٥٠ في المائة من السكان أي ٨ ملايين . والديدان المعوية الاخرى ٥٠ في المائة من السكان أي ٨ ويضاف الى هؤلاء المصابون بالملاريا (١٢٠٠٠٠٠ ر ١) والبلاغرا (١٢٠٠٠٠٠ ر ١) والزهري (١٢٠٠٠٠٠ ر ١ والسيلان (٨٢٠٠٠٠٠) — وجملة المصابين بالامراض المنوية ٢٠٠٠٠٠٠٠ . ثم ان المصابين بالدرن الرئوي ٣٠٠٠٠٠٠ وبامراض عقلية مختلفة بين موظفي الحكومة ومستخدميها ٣٢ الفاً وبالجذام خمسة آلاف

ثالثاً — ﴿ الامراض الوبائية ﴾ كالتيفوس والتيفوئيد وسواها . واهلها أسهل الامراض توقياً

(١) وقد أيد الدكتور الوكيل بك هذه الخلاصة باراء احصاءات استشهد بها الدكتور ...

وسخاً . وذلك بفضل ما كشفهُ الطب الحديث من اسبابها وطرق عدواها ومكافحتها . ومع ذلك فالاصابات بها تتفاوت بين ٥٠ الفاً وتسعين الفاً ولا شك ان الحقيقة ثلاثة امثال او اربعة امثال ذلك اي نحو ٢٥٠ الفاً وفي مقدمتها الحصبة والتيفويد والدفتريا والدوسنطاريا والانفلونزا والحمرة

هذه هي امراض المصريين . اذا جمناها بعضها الى بعض مرضاً مرضاً وجدنا جملتها زهاء ٥٠ مليوناً أي انها تكفي لاصابة شعب من ٥٠ مليون نفس بحيث يصيب كلَّ شخص منهم مرض واحد فاذا وزعناها على المصريين أصاب كلَّ شخص في المتوسط ثلاثة امراض في وقت واحد

واذا اتبعنا ما يفعله الاحصائيون الاميركيون وأردنا ان نترجم هذه الارقام بالجنيهات التي تخسرها الامة في المجهود القومي بسبب هذه الامراض واذا قدرنا ان متوسط قيمة المجهود الذي يبذله الشخص السليم في السنة يساوي ١٢ جنيهاً فقط ، وأن المصاب بثلاثة امراض يهبط انتاجه الى النصف وهو تقدير كثير التواضع، رأينا أن ما تخسره البلاد بسبب هذه الامراض هو زهاء (٦٠٠٠٠٠٠٠) من الجنيهات في كل عام بخلاف الآلام البدنية التي لا يمكن تقديرها . وهي خسارة جديرة ان تفتح العيون دهشة وتملأ القلوب اهتماماً . كما انها جديرة بان يتذكرها ولاة الامور حين يضمون ميزانية الخدمات الطبية والصحية التي نعجز بدونها عن تقليل هذه الخسارة المادية الكبيرة في هذه البلاد . ولكي ندرك ما علينا حتى لنستوفي ما يجب نحو الامة المصرية من الناحية الصحية وفقاً للمثل الصحية المقررة أعرض عليكم مايلي

(١) يوجد من المستشفيات الحكومية ذات الاسرَّة في القطر المصري لعلاج الامراض العادية ٧١ مستشفى منها ٢٨ مستشفى عموميًّا بما في ذلك قصر العيني و٤٣ مستشفى مركزيًّا، وتشمل جميعاً نحو ٩٠٠٠ سريراً بينما البلاد محتاجة الى ٣٢٠٠٠ سرير للامراض العادية بمعدل سريرين لكل الف من السكان فالباقي هو ٢٣٠٠٠ سرير (اي ١٥٤ مستشفى في كل منها ١٥٠ سريراً)

(٢) — يوجد من مراكز رعاية الامومة والطفولة في القطر عامة ٥٥ مركزاً منها ٣٧ للحكومة و١٨ لمجالس المديريات . حالة ان البلاد محتاجة الى ٢٢٥ مركزاً في المدن (بمعدل مركز لكل ٨٠٠ مولود من غير الاغنياء) و ٣٣٠ مركزاً في القرى (بواقع مركز لكل ١٢٠٠ مولود) اي الجملة ٥٥٥ مركزاً او عشرة امثال الموجود منها في الوقت الحاضر

(٣) — يوجد من عيادات الامراض السرية في القطر ١٩ عيادة فقط حالة ان المصابين بالامراض السرية يقدرون بمليونين أكثر من نصفهم مصاب بمرض الزهري ذلك السم الاجتماعي الفظيع الذي لا يقتصر اذاه على الشخص فقط بل على النسل اي يشمل الاجيال القادمة بدنيًّا وعقليًّا وفكريًّا والبلاد في حاجة الى ٨٠ عيادة على الاقل (بمعدل عيادة لكل ٢٠٠٠٠٠ من السكان كما هو الحال في انكلترا) فالباقي الذي يجب علينا انشاؤه هو ٦١ عيادة جديدة

(٤) — يوجد من مستوصفات الدرن ١٤ مستوصفاً ومن المصحات اثنتان بهما ٦٩٦ سريراً غير ١٦٠ سريراً في المستوصفات اي ٨٥٦ سريراً للسلوليين المقدر عددهم بـ ٣٠٠٠٠٠ بينما البلاد في حاجة الى ١٥٠ مستوصفاً (بمعدل مستوصف لكل ٢٠٠ متوفى بالسل) والى ٣٢٠٠ سرير في المصحات (بمعدل سرير لكل ٥٠٠٠ نسمة من السكان). فالباقي الذي يجب إنشاؤه ١٣٦ مستوصفاً و٢٣٤٤ سريراً في عدة مصحات

(٥) — يوجد لعلاج البلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية في القطر أجمع ٩٥ عيادة من ٥ ثابته ومتنقلة وملحقات بالمستشفيات والمدارس وهي تعالج في كل عام نحو مليون من المرضى منهم نحو ٥٧٠٠٠٠ بالبلهارسيا بينما المصابون بها في القطر ١٢ مليوناً ونحو ٢٧٠٠٠٠ بالانكلستوما بينما المصابون بها ٨ ملايين ونحو ١٢٠٠٠٠ بالديدان المعوية بينما المصابون بها يقدرون بمائة ملايين أيضاً

فلا عجب اذا كانت قلة عدد هذه العيادات باعثاً على خيبتها في القضاء على هذه الامراض بتاتاً في القطر منذ الشروع في انشائها من حوالي ٢٠ سنة. ومع انها تشفي من تعالجهم وقد قلت مضاعفات تلك الامراض عامة في القطر فانها لقلة عددها تترك الكثرة دون علاج فتعود منهم العدوى الى من عولجوا. فاذا كان الغرض من انشائها هو القضاء على هذه الامراض عن طريق علاج المرضى وتنظيفهم من العدوى فانه يجب زيادة هذه الوحدات حتى تبلغ ٢١ ضعف عددها الحالي

(٦) — يوجد من مستشفيات الرمد وعياداته بالقطر المصري ٨٧ ما بين ثابت ومتنقل. منها ٧٤ للحكومة و١٣ لمجالس المديريات. ويبلغ عدد المرضى الجدد الذين يعالجون بها سنوياً نحو مليون وربع مليون بينما المصابون بالرمد بالقطر يقدرون بـ ٥ر١٤ مليون

ومع ان هذه المستشفيات والعيادات قد أسدت منذ الشروع في انشائها في أوائل القرن الحاضر خدمة طيبة جيدة وخاصة في منع مضاعفات الرمد الصديدي اذ هبطت نسبة العميان بين واحدة أو عينين في مصر الى ٥ر٥٪ من المرضى المفحوصين سنة ١٩٣٦ بعد ان كانت ثلاثة امثال ذلك في سنة ١٩٠٩، فان عددها غير كاف بتاتاً لعلاج المصريين وتنظيفهم من الرمد الحبيبي ويجب زيادتها الى عشرة امثالها على الأقل. وربما كانت الحاجة ماسة كذلك الى عيادات وقائية أخرى خاصة للاطفال مع الدعاية الصحية القوية على نطاق واسع لمقاومة العدوى التي تبدأ في الانسان عادة في اثناء الطفولة

(٧) — يوجد من مكاتب الصحة التي يسمى اطباؤها وموظفوها بالمأمورين الوقائية والصحة العامة في مختلف انحاء المملكة ٢١٥ مكتباً في القطر اجمع يشتغل أغلب اطبائها على نظام «بعض الوقت» اي ان لهم بحكم هذا النظام ومرتباتهم القليلة ان يشتغلوا في عياداتهم الخاصة لتكملة مواردهم

الشخصية . ولا يزيد عدد الحاصلين منهم في تلك المكاتب على دبلوم الاختصاص في الصحة العامة (التي لا يسمح في انهاك الراقبة توظيف سلهم دون الحصول عليها) عن ٣٠ طبيباً . بينما البلاد محتاجة الى ١٦٦ طبيباً من نوع مفتشي الصحة الاخصائيين (بمعدل طبيب صحي لكل ٦٠٠٠٠ في المدن و ٣٠٠٠٠ في الريف) . على ان يكونوا جميعاً حاصلين على دبلوم الصحة العامة ويشتغلوا على نظام «كل الوقت» أي يكونون منقطعين لأعمالهم الرسمية دون سواها

(٨) — أما من وجهة تحسين البيئة او اوسط فليس في مصر سياسة تخطيطية مقررة الا لمدينة الاسكندرية وحدها . ولا توجد عمليات مياه نقية من مياه النيل المرشحة او الآبار الا لنحو اربعة ملايين ولا توجد محار عمومية في ثماني مدن . ولا يزال هناك ٣٧٤٠ بركة مساحتها زهاء ١٠٠٠ فدان . كما اننا أبدينا تكون عن مشروعات ازالة الاحياء غير الصحية وانشاء المساكن الرخيصة للطبقات العاملة بينا انهُ في الاقطار المتمدنة قد صار تصحيح هذه امرٌ واقعاً في عشرات السنين

(٩) — من وجهة عدد الاطباء اللازمين للبلاد فاننا اذا أخذنا بالمعدل الادنى في الممالك المتمدنة وهو طبيب لكل ٢٠٠٠ نسمة وجدنا ان هذه الامة المكونة من ١٦ مليوناً تحتاج الآن الى ٨٠٠٠ طبيب للعناية بها طبًّا وصحيًّا . وليس عندنا منهم غير ٤٠٠٠ طبيب على الاكثر بين مصري وأجنبي وموظف وغير موظف

وهذا العدد يزداد الآن بحسب التقارير الرسمية بمعدل ١٤٥ طبيباً في العام منهم ٩٢ أي نحو الثلثين من كلية الطب بمصر والثلث الباقي من خريجي المعاهد الاجنبية في الخارج . فاذا أردنا سد النقص على عشر سنوات مع ملاحظة نمو عدد السكان في تلك المدة الى ١٨ مليوناً وجدنا ان الحالة تتطلب تموين البلاد بما لا يقل عن ٥٠٠ من الاطباء الجدد كل عام في تلك السنوات العشر. فيكون من الواجب اذن مضاعفة عدد الخريجين من أطباء كلية الطب ليكونوا ٢٠٠ في العام . وفي الوقت نفسه الاسراع في انشاء مدرسة أخرى بالاسكندرية تخرج ايضاً ٢٠٠ في العام في العشر السنوات الأولى ، وبعد ذلك يمكن تخفيض العدد الى النصف في المدرستين

أما المولدات وكذلك المرضات والزائرات الصحيات والمعاونون الصحيون وهم اليد اليمنى أو على الاقل اليد اليسرى للاطباء فالبلاد فقيرة فيهم فقراً أشد كثيراً من فقرها في الاطباء مع ضرورتهم القصوى لعناية الطبية والصحية بالامة وتحتاج البلاد الى زيادة عدد الخريجين والخريجات منهم اضعافاً مضاعفة في مدارس متعددة طبقاً لما هو دارسٌ في الممالك الراقية التي تعتبر فيها كليات التمريض والتوليد والزائرات الصحيات من اكبر المعاهد شأناً لتعليم الفتيات صناعة يتعيشن منها وكذلك معاهد المعاونين الصحيين للشباب

ندوة الارواح ....

« يا صبيتي
أصبتك بقدر ما يجب الاعمى ان تصبح عيناه مبصرتين، فكرة
ندية ترف في خاطري الفقر الكئيب ... فهل ظفرت من تلك
النوراني بخفقة اشفاق ملائكية تسطع في دجى الشعور بلطف ؟ ... »

وشّح الليلُ مفرقيهما وماجتْ فوق نهديها قصةُ النوبارِ
أنةُ الورد في يديها عطورٌ هي بثٌّ مُطيّبُ الأسرار
وانثلاق الأحلام في مقلتيها يبصرُ الروحَ باختلاج الثار
ورفيفُ الضفائر السود يُوحي شَقَيقيٌّ الطيوف والأشعار
تهرقُ السحرَ في الحديث فتسري خمرةُ الحبّ في مدى أغواري
واختلاجُ الأنغام في شفتيها يُذهلُ النفسَ عن جوى الأوتار
. . . . . .
وافترقنا وفي فؤادي لهيبٌ مستحبٌّ ، مُذهّبُ الثمار
وخفوقٌ ، ولهفةٌ ، وحنينٌ ، ورمادٌ مكلّلٌ باستار

***

ما دنا الفيء منكِ إلاّ ليحظى بكِ في ذاتهِ غداةَ النهار
زفراتُ الصباح نحوكِ نورٌ هو وجدُ الشروق والأسحار
نغمةٌ أنتِ من فم الله ، سكرى وأنا السمعُ ، مُنصتُ الأغوار
جدولٌ أنتِ ، رائقٌ ، ذهبيٌّ وضميري الشطآنُ للتحدار
أنتِ عشقٌ ، مستعذبٌ كوكبيٌّ وأنا الصدرُ مفعمٌ بالأوار

أنتِ ظلٌّ ، معطرٌ ، سرمديٌّ وأنا الرملُ في انفلاتِ الصحاري
أنتِ كلُّ الحياةِ ، أنتِ ربيعٌ مورقُ التبتِ ، ساحرُ الأزهار

***

أظلمَ الليلُ فاسترقتُ كياني جائشَ الروحِ ، ثائرَ القيثار
وتنبيتُ باسمكِ العذبِ حتى غصَّ حلقي برنةِ التكرار
أنا يا ربةَ الجمالِ غريبٌ ضلَّ في القفرِ منتهى التواري
فارَ في داخلي اشتياقٌ رهيبٌ لبقاعٍ وهيبةِ الآثار
شادَ لي الوهمُ يا (بريجة) كوخاً ألقيا على رُبى الأنهار
قد غذاه الخيالُ حتى تراءى ندوةَ الأرواحِ الظماءِ الحرار
مقمرَ العشبِ ، لبسَ فيهِ خريفٌ لونَه الماسُ من نميرٍ جاري
سَتَسَقَ الزرزورُ السُّلوكيُّ فيهِ بين وُرْقٍ ، مُرَقَّشاتِ صِنارِ
كنتِ فيهِ إلهةً من فُنُونٍ وحواليكِ سجدةُ الأبصارِ
وانا من عبدائكِ الخُرْسِ لكنْ مطلقُ القلبِ في هناءِ الجوار
. . . .
لُجَّةُ الحُلْمِ استفزتني ومدت فيَّ أنقاسَها اللطافَ السواري
واذا بي صَحوتُ من سكراتي ومراثيكِ في دموعي النِزار
وسوادُ الهزيعِ يزحمُ عُنُقي وارتماشُ الأشباحِ في أفكاري

***

شرعةُ الحُبِّ يا حبيبةُ سُنَّتْ لبني الطينِ ، لا بني الأنوار
فدعيهم على الأباطيلِ وأصغي لأغاريدي في الظلامِ الساري
وتعالي .. تطيرُ إلى النجمِ ، إنّا قد ملَلْنا أرضَ الأوكار

عبد الرحمن المجيسي

صناعة مطران

المبحث الثالث عشر

الفنية

للدكتور اسماعيل احمد ادهم

﴿توطئة﴾ : قلنا — فيما سبق — ان اساس الشاعرية ادماج الحياة في الطبيعة الفنية ، وقد تناولنا بالبحث في الفقرة الاولى من المبحث الحادي عشر وجه هذا الادماج عند مطران كما تناولنا في الفقرتين الثانية والثالثة من المبحث المذكور، الصورة التي تأخذها الحياة في وجدانه. ومن المهم ان نقول ان هذه الصورة حية ، لانها من فيض الوجدان ، تنبع من النفس . وهي بذلك ليست نتيجة لتفاعل الالفاظ وليست وليدة تداعي العبارات والجمل . ومن هنا نعتقد انهُ من المهم في دراسة شعر مطران، النظر في كيفية افاضة مطران للحياة من صفحة وجدانه. وهو الشيء ، الذي يفضي بنا الى بحث موضوع كيفية مجيء شكل التعبير من الروح الشعرية المستولية عليه. وأول ما يستوقف النظر في هذا المبحث ، ظاهرة التناسب او ما يسميه البعض الاتزان (او التعادل equipoise) بين شكل التعبير والمادة التي يحتويها التعبير . وهذا التناسب يرجع الى ان الحياة تفيض من وجدان مطران ، متخذة كساءها التعبيري الذي تظهر رافلة فيهِ تماماً على حدّ قدها . وهذا يرجع الى ما في شعر مطران من صناعة فنية تلين اللغة وتمايزها لما يجيش في نفسهِ من خواطر ويجتاح قلبه من خلجات ويستولي على مخيلتهِ من صور

ومن هنا يمكن القول بأن شعر الخليل يتزن فيهِ وتتناسب الشاعرية الصافية poesia مع الصناعة الفنية . والواقع ان كبار الشعراء والفنانين والادباء تتناسب عندهم الصناعة الفنية مع الروح الفنية ، ولما كانت الشاعرية في الشعر هي الروح التي تحل في التعبير الشعري ، أو بتعبير أدق ، لما كانت هي الحالة النفسية القائمة وراء الجسم المادي للقصيدة، فان الكمال perfection في الشعر يقوم على اساس الاتزان بين الروح الشعرية والتعبير الشعري من جهة من جهاته. ومن هذه الوجهة في وسعنا ان نتكلم عن ان مطران أسمى مقاماً من احمد شوقي، الذي تغلبت في شعره الصناعة على الشاعرية . هذا ومن جهة اخرى نجد مطران الشاعر العربي في العصر الحديث ، الذي نجد في شعره اكبر عدد من القصائد المحققة لهذه الوجهة من الكمال الشعري

والواقع كما قلنا في المبحث الاول من هذه الدراسة ، انه من الصعوبة بمكان وضع حد فاصل بين الروح

الشعرية والتعبير الشعري ، على وجه قاطع ، وقلنا انه من الممكن عن طريق النظر في العناصر المتميزة في الشعر الأدلاء برأي في هذا الموضوع ، فيحكم الناقد بفنه الشاعرية على الصناعة الشعرية عند شعراء مثل فرلين ورامبو والفريد دي موسيه وبقية الصناعة الشعرية عن الشاعرية عند شعراء مثل سوفي ده بروفوم وكونت دليل وبقائيها عند كوربل ولامارتين وراسين وشانيه مثلا ، وفي الادب العربي يمكن القول بأن أبي تمام تغلبت عنده الصناعة على الشاعرية بينما ابن الرومي والمتنبي تغلبت عندهما الشاعرية على الصناعة والمثال عند البحتري والشريف الرضي اتزان وتناسب بين الشاعرية والصناعة . وهذا التوضيح أظنه كاف لبيان الفرق بين الشاعرية والصناعة الشعرية حين أتكلم عنهما . ولما كانت الشاعرية متصلة بأحوال الحياة التي في وجدان الشاعر ، فان كيفية اتصلة الحياة من صفحة الوجدان ، لاتعني اكثر من وجه لباس الشاعرية المجردة كما هما المادي من الالفاظ ، وربطها في تعابير وصوغها في أبحر وأوزان شعرية ، وبتعبير آخر هي وجه صب المادة الشعرية في الشكل المنظور الذي تظهر فيه . وقد يرى البعض متابعة لبعض آراء النقاد الفيلسوف بندتو كروتشي الايطالي الذي يترجم عن الرأي القديم في هذا الموضوع لا بناء هذا الجيل ، ان المادة الشعرية لا توجد في وجدان الشاعر الا ويوجد معها تعبيرها وشكلها المنظور (١) . وهذا صحيح من جهة انه لا يمكن تصور مادة بلا شكل . ولكن أليس في الامكان عن سبيل المفارقة تصور المادة بلا صورة ، لا من ناحية الواقع ولكن أخذاً على جانب التصور ؟ اعتقد ان هذا ممكن خصوصاً واننا نرى في تاريخ الآداب والفنون ، كيف ان مادة معينة تلبس صوراً مختلفة ، وكيف ان الفكرة الواحدة والاحساس الواحد والصورة الخيالية الواحدة ، تتخذ قوالب مختلفة تتباين وتتفاضل في دلالتها على الفكرة وقدرتها على حمل أجوائها وهذا هو سر التغيير والتبديل في شكل التعبير دائماً عند البلغاء أمثال برسويه وأناتول فرانس ، وهي في الآن نفسه سر المراجعة والتبديل في التعبير عند الرافعي امام البلغاء في الادب العربي الحديث

ولا شك ان هذه المراجعة للعبارة ، ومحاولة تنقيحها بإجراء يد التبديل عليها او التغيير على بعض أجزائها في حقيقة الامر لا تخرج عن تدقيق يراد به الانتهاء الى ان تكون العبارة انعكاس صحيح عن الحالة الداخلية المتولية على نفس الشاعر او الكاتب او المنشيء او الاديب . ومن هنا كان التنقيح وسيلة يعمد اليها البلغاء دائماً للانتهاء الى الصورة التعبيرية التي تعكس تماماً ما في نفوسهم ، يستدعم في هذا ذوق أدبي ممتاز خلص بالارتياض الى كلام البلغاء بسليقة صناعية وقفت على الصلات الخفية التي تربط الالفاظ عندهم بما وراءها من المعاني والاساليب والاخيلة ، وعلى أوجه الموافقة بين الالفاظ فلا يقع بين أفرادها من التنافر او عدم التآلف الخ . وفي هذا وحده سر التغيير الذي لمسنا طروءه على شعر الطلل بين النسخ الاولى التي نشرت ، والنسخ الاخيرة التي اثبتت في الديوان (٢)

---

(١) Estetica في Benedetto Croce ، طبع ١٩١٢ — فصل ١٢ وحدة اللغة والجمال (البديع) ص ١٦٥ — ١٧٨ ، وتجد صدى هذه النظرية عند مارون عبود في نقده لمنهج دراستنا أنظر ذلك في المكشوف العدد ١٩١ (١٣ أذار ١٩٣٩) ص ٩ والعدد ٢٣٩ (٤ أذار ١٩٤٠) ص ٤ وما بعده ، وهو في هذا متأثر بفكرة التلازم بين المادة والصورة ، بين الشاعرية والتعبير الشعري . وتجد رأياً في هذا الموضوع في كتاب أصول النقد الادبي لاحمد الشايب ١٩٤٠ ص ٢٢٥ — ٢٢٨ وله أيضاً الاسلوب ١٩٣٩ ص ١٥٥ — ١٦٦ (٢) انظر الدراسة ص ٨١ ص ٢١ وما بعده و ص ١٢٣ ص ٦ وما بعده و ص ١٢٤ — ١٢٦ وانظر تعليق النقاد اللبناني مارون عبود على ذلك في مجلة المكشوف البيروتية العدد ٢٣٩ (٤ آذار ١٩٤٠) ص ٤ وفيما يلي تشيركاف يرد رأيه

والحقيقة ان مطران من شعراء الصناعة الفنية في الأدب العربي . فتراه ينظم القصيدة ، ثم يعيد النظر في أبياتها يطلب فصاحة الكلم وجزالة اللفظ وبسط المعنى وابراز الفكرة واتقان البنية واحكام القافية وتلاحم الكلام بعضه ببعض . ومن هنا جاء الجهد المبذول في صياغة شعره ، والصناعة تظهر في تهذيبه تعابيره الشعرية وصقل الفاظه بحذف غريبها أو متنافرها وحرصه على انسجام موسيقاه الشعرية وتعريبه مساواتها وجريه وراء التناسب بين الفقرات والجمل . ومن هنا جاءت جزالة شعره وحسن سبكه وخلوه من الفضول اللفظي

ومطران في هذا يحذو حذو مدرسة خاصة ، هي مدرسة شعراء الصنعة الفنية التي امامها زهير بن ابي سلمى ومن أنجب تلاميذها الحطيئة وابي تمام ومسلم بن الوليد وعبدالله بن المعتز[1] — ومن هنا جاءت الصلة القوية التي تربط مطران في صناعته الفنية بأبي تمام في صنعته الفنية في شعره ، وآثار هذه الصلة واضحة في عبارتهما غير ان مطران يفترق عن صاحبه في ان صناعته فنية قائمة على أساس التناسب بين الفكرة والعبارة ، ومن هنا كانت صناعته خاضعة لعاطفته المفكرة وأخيلته وأحاسيسه ، يقابل ذلك ان صاحبه أفسدت عليه قوة صناعته شاعريته في كثير من المواضع ، وجرى وراء الصنعة وكأنها مقصودة لذاتها ، ومن هنا كانت تعلقه بالبديع وتكلفه الطباق والجناس والاستعارة والتقسيم حتى ذهب ذلك بالكثير من روعة شعره وجلاله[2] — وهنا موضع الافتراق بين مطران وابي تمام ، فمطران مع عنايته بالصناعة ، الا ان الصنعة عنده غير مطلوبة لذاتها ، وانما لتكون وسيلة لبسط المعنى وابراز الفكرة في صورة تتفق مع جلال المعنى وروعة الفكرة ، اما ابو تمام فعنايته بالصناعة انقلبت الى أن طلب الصنعة لذاتها ، ولي أنها وسيلة كانت عنده لما تحمل وراءها من معنى وفكرة . وهكذا تفاوت الصناعة على الشاعرية عند أبي تمام . بينما هما تناسبا وتوازنا عند مطران

هذا التناسب بين الشاعرية والصنعة هو الاساس الذي يفهم منه أن الخليل مطران ترى ان الاصل الشعري هو الذي يملك على صناعته مداخلها . وهذا واضح في الامثلة التالية :

يقول الخليل في قصيدة « فاجعة في منزل » (مجلة أنيس الجليس ، م ١ ج ١٠ ص ٣٢٧—٣٢٨) :

١٢ : كالشمس في اليوم المطير اذا انجلت كان الضياء مضاعف اللألاء

غير ان هذا البيت يثبت في الديوان في صيغة أخرى اليك نصها (الديوان ١٦—١٧) :

١٣ : كشموس أيام الشتاء اذا انجلت عاد الضياء مضاعف اللألاء

فالصيغة الاولى اقصر في الدلالة على الصورة الشعرية التي في ذهن الخليل من حيث أنها جزئية بينما هي في ذهنه كلية . وأنت تراه عمم الصورة الاولى على كل أيام الشتاء . وشموسها فخرجت فجيعة لذلك الحقيقة التي تحجبها الصورة في مدى أوسع وأرحب من المدى الاول . كذلك تغيير لفظة « كان » بلفظة « عاد »

(١) احمد الشايب في الاسلوب ، الاسكندرية ١٩٣٩ ص ١٥٩ (٢) المرجع ذاته ص ١٦٩—١٧٠ والجرجاني في الوساطة ص ٢٤

يرك مثلا في دقة الصنعة بيت لبن الناظم « فاد » تنتر في نقض صورة الشمس على أساس عودتها أكثر انتراناً ؛ وهي بذلك ادق على المعنى من لفظة « كان » التي تعتبر معنى التكوين . كذلك قول الخليل في قصيدة « الزجة » (انيس الجليس م ٣ ج ٨ ص ١٠١ — ٣٠٢)

٢ : غلبت حبه هواه لعرسه فتأى أسيفاً مستهاماً موجعا
٥ : كانت تقبلها وتسقيها معاً كالام وهي تضم طفلا مرضعا
٦ : حتى اذا جاء هاشمي الحبيب فاوشكت عما تجاها البين ان تتصدعا
٧ : وكأن ذاك الحطب مما راعها ما كان قبل وقوعه متوقعا
٤ : سالت ما تيها وجف فؤادها أسفاً وأذكى انين منها الاضلعا
٩ : وتفقدت في اليأس زهرتها التي كانت لها أملا وكانت مفزعا

فانها تغيرت كلية في الصيغة المثبتة في ديوان الخليل ص ٤٤ واليك نصها كاملا :

١ : داع دعاه الى الجهاد فأزعما سفراً وجاد بنفسه متطوعا
٢ : غلبت حبه هواه لعرسه فتأى ورودع قلبه اذ ودعا
٣ : وقضت « امينة » بعده ايامها في الحزن غير آمنة ان تفجعا
٤ : غرست بصحن الدار زهرة نرجس لتكون سلوتها الى ان يرجعا
٥ : كانت تبالغ في رعايتها كما ترعى عيون الام طفلا مرضعا
٦ : حتى اذا ما جاءها عن بعلها نبأ أصم المسمعين وروعا
٧ : شقت مرارتها عليه وأوشكت من هول ذاك الحطب ان تتصدعا
٨ : وكأن ذاك الرزء قبل وقوعه مما تجاها لم يكن متوقعا
٩ : تفقدت يوماً أليفتها التي كانت سلتها حسرة وتوجعا
١٠ : فاذا بها ذبلت كزهرة سيها كتماها نمتا وعوجلتا معا
١١ : ذبلت وعلاها الذي فكأنها عين أسال الحزن منها مدمعا

وأنت لا يخطئك الدليل في ذوق طلب التناسب والمطابقة بين صورة التعبير والمعنى هو الذي ساق الشاعر في اجراء هذا التبديل . وربما كانت الصيغة الاولى تبدو كاملة من حيث تدل على المعنى . ولكن تصورها يبدو للنظر بالمقارنة بالصيغة التالية . والرغبة في الاستكمال هي التي دعت الناظم الى اجراء هذا التبديل وبعض التغيير على بنائها . فمثلا تبديل عجز البيت الثاني من « تأى أسيفاً مستهاماً موجعا » الى « تأى وودع قلبه اذ ودعا » خلع على القصيدة جواً لم تكن فيه من قبل وتوى الحالة النفسية التي يتضمنها عجز البيت وذلك على أساس تعبيره عن الاحساس في صورة ايحائية بدلا من الصورة الباشرة التي وسمها في الصيغة الاولى . كذلك التبديل الذي أحدثه الناظم في البيت الخامس اضطر اليه لاحكام الفكرة ، والمعنى ان الفكرة متلقة في عبارتها الاولى لان الزهرة التي غرستها « أمينة » بعد سفر بعلها لتكون سلوة لها حتى يرجع لا تجعل وجهاً لتصور قبيلها ، وان كان وجه الرعاية هو الطبيعي والغالب . وهكذا نجد الرغبة في احكام الفكرة هي التي تمسك على هذا التبديل أسبابه . على ان هنالك حالات كان التبديل فيها سببه الرغبة في تصحيح خطأ وقع فيه الخليل ، كتلك الابيات التي سبقت اليها الاشارة من قصيدة « وفاء » في مبحث آثار مطران (ص ١٢٣ — ١٢٤) . فمطران يروي لنا ان السبب في هذا التغيير هو تحاشي الوقوع في صيغة نحوية شنعها النحويون (انظر عن ذلك ما يذكره في المجلة المصرية م ١ ج ١٠ ص ٦١٥ — ٦١٦) ، او ابدال كلة بأخرى أوقع واكثر مواءمة للمكان التي كانت فيه الاولى في جو البيت ؛ من ذلك ابدال لفظة « نهضت » بلفظة « فبرزت » في البيت العاشر من قصيدة « ذعيمة في هزل » (الديوان ١٦) ولفظة « نبأ » بلفظة « منبي » في البيت الاول من قصيدة « ان من البيان لسحرا » (الديوان ٣٧ — ٤١) . وفي هذه القصيدة تغييرات من هذا الباب من ذلك تغيير « الاسود » بلفظة « الليوث » في البيت التاسع عشر ،

وعبارة « غماً كباقر » بعبارة « واترأ فوارز » يعني تارة لطالبه في البيت الحادي والعشرين منه ، ولفظه « حاضر » بلفظة « غابر » في عجز البيت الرابع والاربعين . وهذه التغييرات جميعها خاضعة لصناعة فنية ، رأت في اللفظة التي اثبتتها على الاولى ما تؤثر من أجله في الموقع الذي كان لها من الكلام ، وفي الجو الذي تعيش فيه العبارة (١) . وانواك سر هذا التفاضل بين الالفاظ متآخذة ، راجع الى ما استودعه الخليل من لغة العرب وأسرار تأليف التراكيب في العربية مع الزمن

وقد تكون جميع هذه الامثلة وافت دات على الغرض المقصود منها ، لانها تدل على الصناعة الداخلية التي تدور مع تأليف العبارات والتراكيب من نظم القصيدة ، وهذا صحيح ، ولكن هذا مقدمة لذلك ، وقد يكون من المفيد هنا اثبات هذا المخمس من قصيدة « الجنين الشريد » (الديوان ٢١٣)

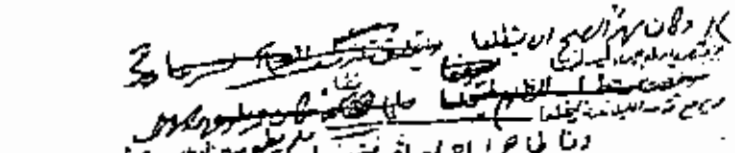

فيها الشاعر قال: «ويغلق أزرار السماء لتسطا» في عجز البيت الاول . وفي صدر البيت الثاني قال: «ويفتض بلباب الظلام ليخلعا » ، وعاد وغير لفظة «ليخلعا» بلفظة « ليرعا » . على انه لم يثبت تعديها بين الصورتين لعاد وغيرها وقال : —

وكان يهم الصبح ان يتطلما ويفتض أزرار السماء ليسطا
ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعا فلم يطو منه الذيل الا وقد وعى
دماً طاهراً أجراه أنم فتى نذل

فهنا الفكرة المتسلطة على ذهن الناظم ، ان بطلة القصة ذهبت مع عشيقها قبيل الصبح الى خلوة حيث استسلمت له تحت تأثير اغراء تشديد تعرضت له . والشاعر مدفوعاً بصناعته لاحظ امكان استحداث الطباق بين هذه الفكرة وصورة الصبح وهي تفتض ازرار السماء ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعه ، فلم يكد يطوي الليل ذيله الا وأدرك دما طاهراً يسيل من فتاة غرر بها فاستسلمت لرفيقها . والتدقيق في اجراء هذا الطباق وملاحظة اجزاء الصورتين ، وأن تكون الصورة التعبيرية مبرزة الفكرة وواسطة الاسى هي المحركة في هذا المقطع لما جرى من تغيير وتبديل . وفي هذا المثال يتضح كيف ان الفكرة والصنعة معاً امكنتا على الخليل صياغة تعبيره

(١) انظر عن ذلك: عبد القادر الجرجاني في دلائل الاعجاز ص ٣٨ ٣٩ والشايب في أصول النقد الادبي ص ٢٣٣ / ٢٣٤ .

— ١ —

« لما كان التعبير يترجم عمّا تحتهُ ويكشف ما وراءه ، فهو يجيء عادة من الروح التي في نفس المنشيء او الكاتب او الأديب أو الشاعر . وهذه الروح تبحث عن جسدها التعبيري لتحل فيه وتظهر به في أسلوب تتخذه من طبيعة الشاعر ، وما في خزانة ذاكرته من الألفاظ ، ثم هي بعد ذلك تريد زينتها عادة من فن الشاعر[1] — وبحث الروح اولاً عن جسدها ، ثم عن زينتها ثانياً ، يريك ان التعبير من حيث هو أسلوب يخضع للروح الشعرية في الشعر ، ومن حيث الزينة الداخلة عليه يرجع الى صنعة الشاعر . واذن فيجب ان نفرق في دراسة التعبير بين هذين الوجهين . اما الوجه الاول فهو مقصدنا في هذه النظرة . ولما كانت الروح الشعرية تبدو خصائصها في طبيعة الشاعر الفنية . فان تلخيص القول في طبيعة مطران الفنية هو صفة تعدد الجوانب وتركب الذاتية . ومن هذه الصفة تجيء بقية خصائصه على ما بيّنا في بحثنا لطبيعته الفنية في المبحث الحادي عشر . وهذا التعدد في الجوانب والتركب في الطبيعة يضفيان عنصر التعدد والتركيب على افكاره وأخيلته ومعانيه وأحاسيسه ، وقد لمسنا هذا كله في دراستنا لشاعريته في المبحث الثاني عشر . وهذا التعدد والتركيب في عناصر الشاعرية يظهران تركيباً في عبارته وفي موسيقاها . وهذا التركيب في العبارة واضحة في كل شعره ، وقصيدته « المساء » (الديوان ١١٩/١٢١) و « الأسد الباكي » (الشعراء الثلاثة ٣١٥/٣١٦) و « في ظل تمثال وعسيس » (المقتطف ٦٤ : ١٢٩/١٣٤) ، وجميعها من أروع شعره ، يظهر فيها تركب العبارة ، من جهة تداخلها باحكام التركيب شرطاً وجزاء واستثناء وترتيباً واستنباطاً ، فعبارته مقسمة متئدة ، وهذا واضح في قوله في ختام قصيدة (المساء) : [2] —

٣٤ : ولقد ذكرتك والنهار مودع والقلب بين مهابة ورجاء
٣٥ : وخواطري تبدو تجاه نواظري كالى مكدامية السحاب ازائي
٣٦ : والدمع من جفني يسيل متشحاً بسنى الشعاع الغارب المترائي
٣٧ : والشمس في شفق يسيل نضاره فوق الغيق على ذرى سوداء
٣٨ : مرت خلال غمامتين تحدرا وتقطرت كالدمعة الحمراء
٣٩ : لكأن آخر دمعة للكون قد مزجت بآخر أدمعي لرثائي
٤٠ : وكأنني آنست يومي زائلا فرأيت في المرآة كيف مسائي

(١) المبحث الاول من ١ ص ٣ وما بعده وكذلك محمود محمد شاكر في مبحثه النفيس « الشعر » بالرسالة ، العدد ٣٥٢ ص ٥٨٤ س ٢٦ وما بعده

(٢) الابيات ١ — ٩ من القصيدة ص ١٥١ من الديوان ومن ١٨ — ٢٢ ص ١٥١ منها ومن ١٨ — ٢١ ص ١٤١ منها ومن ٢٢ — ٢١ ص ١٣٢ منها وهكذا يمكن تكوين فكرة عامة عن القصيدة من معالجة معظم اجزائها سماً

وانت ترى التعبير في ختام القصيدة بين الخارج والحالة الداخلية (النفسية) للشاعر ، وهي صورة تركيبية كما هو واضح للنظر

وهذا التركب في التعبير الذي يقابله تركب في الفكرة ، مع ميل مطران نحو التحليل ، وتقصي اجزاء الصورة وربطها والعمل على ضبط النسب بين خطوطها والتدقيق في مزجها ، يظهر في شعره اشاعة للصورة الشعرية في اكثر من بيت ، واستقصاء لاجزائها في عدة ابيات. مثال ذلك انه يقول من قصيدة « بنفسجة في عروة » (ابولو ١ : ٦/٨) في وصف طفل رأى بنفسجة في عروة الشاعر وذلك بعد ان ينتهي من وصف الزهرة :

١١ : راودني الطفل حين أبصرها عنها بما للصغار من حيل
١٢ : مطوقاً بالتماسها عنقي وساعداً ما أشاء من ثقل
١٣ : فاستلها من مكانها وانا أدفعه دامع من برغبه
١٤ : كم من حبيب وانت تبعده قصده صد من يقربه !
١٥ : من ذلك الطفل ؟ صورة بلغت بها المنايات غاية الحسن
١٦ : لظل ما حسن امه ، ولقد أقول بالغ ما شئت بالظن !
١٧ : أعطيت زهرتي فقبلها منبهة محسناً سياسته
١٨ : حتى اذا ما قضى لباته وكاد يبدي لها شراسته
١٩ : تربت أمه وقد لمحت ما كان من ، حقيقة القدم
٢٠ : وارتجتها منه مبالغة لديه بالترضيات في الكلم
٢١ : يروت الين من عاطفتها وانثنت عطرها على مهل
٢٢ : ثم اعادت الى مناشقه موروداً وجهها من الخجل
٢٣ : أأصلحت من وليدها خطأ وليس فعل الوليد بالنكر ؟
٢٤ : أم أدركت ما أكن من شغف بها ، فاحت بأنها تدري ؟

في هذه الابيات التي نقلناها لك تقع على مثل واضح من اشاعة الصورة الشعرية في اكثر من بيت ، واستقصاء لكل جزء منها في بيت . والسبب في ذلك واضح . فاليت المتفرد يضيق عن استيعاب الصورة الشعرية بتفاصيلها ، والفكرة بجزئياتها ومقوماتها . ولما كانت دقة الوصف متسلطة على مطران مع الميل الى تنسيق المعاني وترتيبها ومتابعة الفكرة حتى تتجلى والاسترسال مع المعنى حتى يأتي على آخره [1] ، وذلك على اعتبار انهُ شاعر متميز من جهة الفكر والخيال، لذلك تراها يجيئان عنده في صورة مركبة . وتحليل هذا التركيب ثم بسطه يحتاجان الى قدرة على التنسيق والعرض ، ومن هنا جاء طابع التنسيق المنطقي على عبارته ، وهو مظهر لتداخل الفكرة في تكوينها ، او بالتالي دليل المراجعة وأثر الصنعة ، وهذا اوضح مايكون في قصيدة (الماء) ، التي سبقت الاشارة اليها

(١) صديق شيبوب : خليل مطران في البصير — العدد ٨١٢٤ (١٢ يونيو ١٩٢٥) ص ١ ، التمر الثالث

وطابع التنسيق المنطقي في عبارة مطران ظاهر بوضوح ، مثل ذلك قصيدة « وقفة في ظل تمثال رمسيس » (المقتطف ٦٤ : ١٢٩/١٣٤) ، ففيها تجد أثار العقل والصنعة في احكام العبارة، وفي اتقان الصناعة بتأليف التراكيب بتؤدة يظهر فيها تداخلُ الفكر وعمل العقل،الشيء الذي يجعل عبارته متئدة وموائمة للمعنى الذي تحمله في داخلها.ومن هنا كان شعرهُ بريئاً من التافر والاغراب مع تجنب الفضول وتحري القصد في العبارة وحسن التناسق بين الجمل وبينها وبين المعاني حتى بدا محكماً متقناً ملحوم الجوانب، قد عمل فيه العقل والذوق بجانب العاطفة.ومن هنا كان شعر مطران يخرج مخرج المنثور في سلاسته وسهولته واستوائه وقلة ضروراته ، وهذه الميزة هي التي يتطلبها بعض نقاد الادب القدماء في المنظوم الجيد [1]. غير ان بعضهم قد يراها ، تجعل الشعر أقرب الى النثر ، ولما كان الشعر لغة الانفعال ، فمن هنا يجب ألاّ يحتمل الراجحة ، وعند هؤلاء ان مطران شاعر لطّام غير ان سر القيمة العليا لشعر مطران في هذا الذي ربما أخذ عليه ، فغير الشعر ما جاء أقرب الى لغة النثر ، دون ان يفقد مقومات الشعر الاصلية ، من جهة اللغة الانفعالية ، والروح التوقيعية . والحق ان اللغة الانفعالية واضحة بجلاء في شعر مطران ، ولما كان انفعاله مركباً ، فقد يبدو مفقوداً للوهلة الاولى ، والواقع انهُ موجود ، ولكنهُ خفي ، لأنه ينبع من التناسب بين العبارة والفكرة ، بين الصورة . وهذه هي موسيقى المعاني التي يتطلبها بعض المجددين في الشعر كالدكتور أبي شادي وأضرابه من الرومانسيين ، وهذه الموسيقى نلحظها بقوة في قصيدة « تذكار » (الديوان ١٧١/١٧٣) ، فان في المعنى والفكرة اللذين تحملهما القصيدة من روح الانفعال ، ما استولى على التعبير فظهرت فيه موسيقاها . ولما كان التوقيع (الايقاع) خاضعاً للموسيقى فحكمه هذا حكمها ، فهي لا تظهر في شعر مطران في الصورة التي تفتك وتلمس كمك من مجرد تلاوة القصيدة ، لأنها لا تنبع من الالفاظ ، كما هو الحال في شعر البحتري واحمد شوقي . ولهذا فانك بمعاودة القراءة تكتشف عنصر الايقاع الذي يبدو لك للوهلة الاولى ضائعاً، يبرز لك مقسماً على أبيات القصيدة كلها، ينساب مع أبياتها ويكرر في اتئاد بشكل يتناسب مع المعنى وسير الفكرة.ولهذا تجدان الموسيقى في قصيدة « بنفسجة في عروة » التي سبقت اليها الاشارة خفية تكاد لا تلمس نظراً لأن عنصر العقل يغلبها . وذلك بعكس الحال عند ما تكون الفكرة المسئولة على القصيدة هي عنصر الانفعال ، فان الموسيقى عندئذ تبدو للوهلة الأولى في صورة تستوقف السمع والمشاعر

وتداخل الفكر في تأليف جمل مطران وتركيب عبارته — وهي نتيجة للصنعة التي لا وجود

(١) احمد الشايب في الاسلوب ، الاسكندرية ١٩٣٩ . ص ٦٤ وأبي هلال العسكري في الصناعتين ص ٣٥٢

ولها بدون عنصر الفكر — يجعل عنصر الانفعال يخفت صوته ويتخاذل ، ومن هنا تجزل الفاظ مطران وتوجز جمله وتقوى تعابيره . ومن هنا ليست لغته انفعالية ، وانما هي لغة انفعالية خلخلها الفكر ، وخلخلة الفكر للانفعال هي التي تجعل الالفاظ الجزلة تدور على لسانه في اثناء صوغ عبارته الشعرية . اما اذا عبّر مطران عن انفعاله مباشرةً بدون ان يترك للفكر دوراً كبيراً في خلخلتها ، فان الفاظه ترق وكلامه يحلو وعبارته تكتسي الرونق والبهاء ، مثال ذلك قصيدة « كان » (الديوان ١٩٤/١٩٥) وفيها يقول

١ : سرت في السر مرة وكنت انت السره
٢ : حكاك حياتي روضاً وكنت في الروض نضره
٣ : وكنت غصناً شبابي وكنت في الغصن زهره
٤ : وكان تفكري سماء وكنت حبك فجره
٥ : وكان حسنك يوحي الى براعي سره
٦ : وكان لحظك يهدي الى يراعي سحره
٧ : وكنت فكرك يملي غنى سماءي درره
٨ : وكان طيفك يهدي الى تنائي نضره
٩ : وكنت للروح روحاً وكنت للعين قره
١٠ : فقد « كان » هذا ولكن بقي وأسلف حسره
١١ : ليت لا شيء الا سالين : ذكرى وعبره

فأنت ترى في هذه الأبيات من سهولة النظم ، ورقة الالفاظ ، وحلاوة الكلام وجودة الوصف ، وكثرة الماء ، ما يجعلها باباً لوحدها هي وقصائد اخرى تنتظم معها في عقد ، نذكر منها قصيدة « حكاية نشر هذا الديوان » (الديوان ٢٩٠ / ٢٩٤) و« النشودة » (الديوان ٢٦٨/٢٦٩) و« دمعة » (الديوان ١٩٣/١٩٤) و« لمعة وذكرى » (الديوان ١٨٧/١٨٨ وفي هذه القصائد تجد بساطة الانفعال هي التي اخرجتها في صورة يبدو منها ما لاحظناه عليها من مميزات وخصائص . وبساطة الانفعال ، تعود الى أن عنصر الفكر لم يدخلها ، ولا دار في اطوائها ليدخل عنصر التركيب والتعقيد عليها ، كما وان انفعال الشاعر لم يكن مبعثهُ الخيال وتمثل الحال وانما كان تكفياً تلقائياً للحالة المستولية عليه ، فهي من هنا محض رجع reaction لا دخل للعاطفة pathos [1] في اثارتها [2]

(١) انظر عن الانفعال ولغته ، والانفعال الذي تداخل فيه الفكر ولغته ، بحثاً نفيساً للعلامة رضا نور في مجلة Turcologie ، يعتبر الاول من نوعه . وتجد خطوط هذا الرأي مبعثرة غير مجموعة عند النقاد . انظر عن ذلك مثلا ابن الاثير في المثل السائر طبعة صبيح ص ٦٥ وكذا الشايب في الاسلوب : فصل اختلاف اساليب الشعر

(٢) المقتطف : أنظر بياناً عن هذه السلسلة من الفصول المنشورة في باب الاخبار العلمية في هذا الجزء

حكمتان

— ١ —

قيل ان الحكيم كنفوشيوس كان سائراً ذات يوم في نفر من تلاميذه في سفح جبل ثاي فشاهد عن بعد امرأة تنوح على قبر . فحثَّ اليها المسير وعندما أقبل عليها بعث بتلميذه « تزي لو » يسألها ما مصيبتها فاقترب منها وقال

— انك تنوحين نواح من نكب مرة بعد مرة فقالت.

— والصواب ما قلت . ان وحشاً افترس حميَّ هنا ، ثم نزلت المصيبة نفسها بزوجي . وها هو ذا ابني يستقي الردى من كأس واحدة . فقال الحكيم

— ولماذا لم تبرحي هذا المكان وتلجأي الى آخر . فقالت

— لأنهُ لا توجد حكومة مستبدة هنا . فقال الحكيم

— تذكروا يا أبنائي هذا واحفظوه ، ان الحكومات المستبدة شرٌّ من الوحوش المفترسة

[أوردها برزاند رسل في كتابه « السلطان »]

— ٢ —

روي ان حكيماً كان سائراً ذات يوم الى البحر . فأدركه المساء قبل وصوله الى طيتهِ . وأقبل على نزل قائم على جانب الطريق فنزل وربط جواده الى شجرة امام النزل وبات ليلتهُ فيهِ . وأصبح الصباح وخرج الحكيم يتفقد جوادهُ فلم يجدهُ . وفتش عنهُ في الحيرة فلم يعثر عليهِ . فتألب حولهُ صاحب النزل ونزلاؤه وأوسعوه تعنيفاً

قال احدهم : من يربط جواداً الى شجرة بغير ان يقيم عليهِ حارساً جدير بان يسرق جوادهُ

وقال ثانٍ : من الحمق ان يرحل احد رحلة طويلة على صهوة جواد

وقال ثالث : ما هذا الغباء الذي يحمل رجلاً على ان يرحل الى البحر

فالتفت اليهم الحكيم وقال : أتقولون كلٌّ هذا فيَّ ، ولا يقول أحدكم كلمة في سارق الجواد !

[عن جبران من الذاكرة]

الحـــرب

في شمال أوربا

اسوج ونروج ودنمارك

١ — موقفها الدولي
٢ — احوالها السرابية
٣ — حديد اسوج
٤ — اجتياح دنمارك ونروج

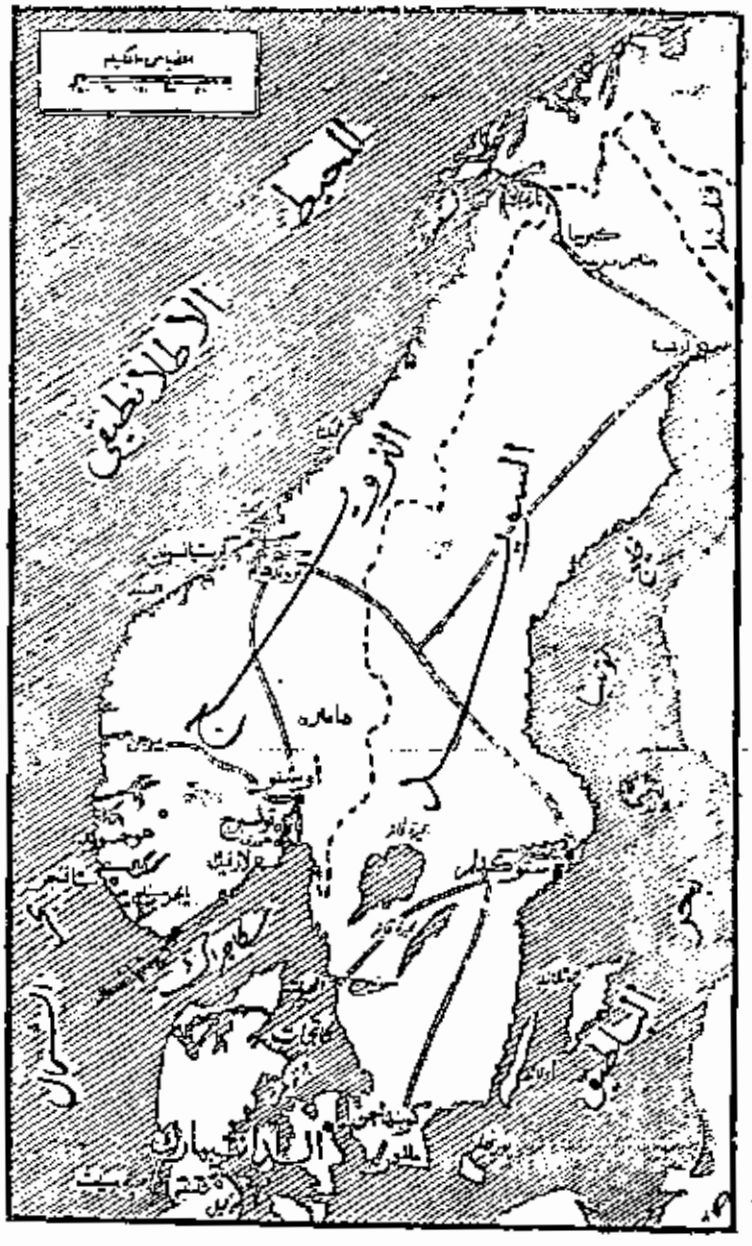
المحيط
الأطلانطيقي
النيجر
السنغال
الداهومي

الحرب في شمال اوربا

— ١ —

بلدان دول اوربا الشمالية واقعة في شمال القارة الاوربية الى الغرب، وهي اسوج ونروج ودنمارك ويضيف بعضهم فنلندا اليها لما بينها وبين الدول الثلاث من صلات المصلحة والوضع الجغرافي وأواصر الثقافة والتقاليد

والدول الثلاث الاولى ليست وحدة جغرافية بل بينها فروق غير يسيرة في طبائع الاقليم والموارد الطبيعية . فدنمارك مثلاً بلد صغير مسطح يعنى أهله بالزراعة في حين ان نروج جبلية وعرة المسالك قليلة السكان بالقياس الى دنمارك ومعظم تربتها لا يصلح للزراعة فيعنى شعبها بالصيد والملاحة على الاكثر

ولكن بين شعوب هذه البلدان وحدة عنصرية عريقة جميعها منحدرة من قبائل « النورس » التي اشتهرت في العصور القديمة بسلك البحار والمغامرة على سطح مياهها . ولعل سكان اسوج أنقى الشعوب الاوربية عنصراً . واذا استثنينا مسألة الاقليات الصغيرة في فنلندة وجنوب دنمارك فلا يكاد يكون لهذه المسألة وجود سياسي في دول الشمال

ومن عجائب التحول التاريخي ان هذه الشعوب تحدرت من قبائل كانت تقتحم البحار فاشتهرت بالشجاعة والاقدام والسطو على السفن والسواحل . ثم انشأت امبراطوريات كبيرة بفتوحات حربية سجلها التاريخ . ولكنها انقلبت الآن الى السلم والثقافة في أسمى معانيهما فهي أدمث الشعوب خلقاً وأخلدها الى السلام وأشدها تعلقاً بالديمقراطية الصحيحة والحرية وارسخها قدماً في الحضارة والثقافة . فقد تخلت عن الفتح بالقوة بعد ما وصلت جيوشها الى بولندا وروسيا من ناحية وانكلترا وهولندا من ناحية في عصر ماض ، وعمدت الى المشكلات الاجتماعية كالتعاون الزراعي ، وكبح انتشار المشروبات الروحية ، ومسائل البغاء وغيرها تعالجها بالتروي فأدركت في حلها شأواً لم يسبقها فيه سابق بل غدا اسلوبها في حلها مثلاً يحتذى . وهي بلاد تحتاج الى الاستيراد لكي تضمن أسباب العيش لأهلها فلا بدّ لها من الاعتماد على التجارة ، والتجارة لا تنمو ولا تزدهر الا في جو السلام والطمأنينة الدولية ولذلك اشتهرت سياستها منذ مائة سنة الى الآن بالتزام خطة الحياد والاقتصار — ولاسيما نروج والدنمارك — على القوة المسلحة اللازمة لحفظ الأمن . اما اسوج فلها أسطول بحري كفء على صغره وسلاح جوي محترم الجانب وفيها صناعة حربية متقنة عمدها مناجم الحديد في الشمال بأجود وكاز الحديد العالمي

وتشمد على قدرة الاسوجيين في الاستنباط والصناعة ولعلَّ أشهر مثل على ذلك ان مدافعهم الخاصة بمقاومة الطائرات من أشهر انواع هذه المدافع في العالم وأشدّها اتقاناً

أما دمارك فإن جيرتها لالمانيا وسهولة اجتياح أراضيها اذا عادتها جارتها، حملتاها على التزام خطة الحياد التام ونزع السلاح التام كذلك . فهي تعتمد في الاحتفاظ بوحدتها واستقلالها على ضمير العالم المتمدن وما ينتظر من ثورته ثورة عنيفة على بلادٍ تجتاحُ جارة صغيرة مسالمة محايدة لا سلاح لها كدنمارك ...!

وقد كان موقف هذه الدول في بحر البلطيق بعد الحرب العظمى — اسوة بموقف الدول الاخرى الصغيرة القائمة على سواحله — موقف سلامة وطمأنينة لأن روسيا كانت مشغولة بتجربتها الاجتماعية الجديدة عن انشاء اسطول كبير تسيطر به على البلطيق، والمانيا كانت ممنوعة بمقتضى معاهدة فرساي من انشاء اسطول بحري يتعدى في قوته حدوداً معينة . فلما تقلد الوطنيون الاشتراكيون زمام الامر في المانيا وشرعوا يهدمون معاهدة فرساي فصلاً فصلاً عمدوا في ما عمدوا اليه الى انشاء اسطول بحري جعل حده الاعلى في معاهدة لندن (١٩٣٥) ثلث الاسطول البريطاني . وبدورت في الجو بوادر الجفاء بين الموارد السوفيتي والموارد النازي فأصبحت دول الشمال امام مشكلتين اولاهما ان ينهار التوازن في بحر البلطيق بنهوض قوة المانيا البحرية من كبوتها فتُفقد حرية التبادل التجاري والتقافي في ذلك البحر وسواحله او تتعرض للخطر ، والثانية أن يصطدم للموردان اصطداماً يكون من شأنه أن تُكرهَ هذه الدول على الخروج عن حيادها أو أن يصاب حيادها بشظايا الحرب المتطايرة

ولذلك انشأت حكومات السويد والنروج والدنمارك هيئات للتوفيق بين سياستها الخارجية وشؤون الدفاع وبدأت تعزيز القوى البرية والبحرية على ساحلي أسوج ودنمارك المشرفة على المضيق الموصل بين بحر البلطيق والبحر الشمالي . واهتمت أسوج بتعزيز حصونها في جزيرة جوتلند . ثم لما طلبت الى جامعة الامم من عهد غير بعيد أن تعفيها من تطبيق العقوبات لظنها أن تطبيق العقوبات قد يخرج بها عن الحياد الدقيق الذي تلزمهُ فتعرض سلامتها للخطر فأعفيت على نحو ما تم لحكومة الاتحاد السوفياتي . ولكن نشوب الحرب واتفاق المانيا وروسيا غيَّرا كل حساب فلما نشبت الحرب ، أعلنت دول الشمال التزامها الحياد وهي تعلم ما يحفُّ بهِ من مخاطر . فلما اعتدت روسيا السوفياتية على فنلندا امتُحن حيادُ الدول الشمالية اشدَّ امتحان . هاهي ذلك دولة صغيرة آمنة، لها باسوج ونروج ودنمارك صلةٌ وآصرة، تتعرض لهجوم جبَّار عنيد يريد اجتياحها، فماذا تفعل وعصبة الامم قد قررت وجوب بذل المعونة لفنلندا ، ومقتضيات خطط الدفاع تقول لها بأفصح لسان : ان فنلندا هي خطُّ الدفاع الاول عن سكندناوة . ولكن اسوج ونروج

الزمنا في هذا النضال قواعد القانون الدولي ، فسمحنا بمونة قليلة غير رسمية على قدر ما يسمح به ذلك القانون ، وامتنعنا عن إمداد المونة الرسمية الفعّالة وعن السماح باجتياز حملة الحلفاء الى نلندا ، مع ان احداً من مستبطني نفوس الكنديناويين لم يكن يشك في ان عطفهم وضلعهم مع جارتهم الباسلة

ولم تكن محنة نلندا كلّ ما تعرضت له دول الشمال . ذلك ان الحلفاء استطاعوا بما يملكونهُ من قوة بحرية متفوقة ان يفرضوا الحصر البحري على المانيا فأخذت سفنهم الحربية تقتاد سفن المحايدين التجارية — ومنها سفنها اسوج ونروج ودنمارك — الى قواعد المراقبة فتفتش شحونها وتصادر منها ما كان من ممنوعات الحرب وتطلق ما لم يكن منها . وهذا عمل فيهِ تأخير ومضايقة لا مفرّ منها ومن تحملها بالصبر . ولكن الحلفاء لم يترقوا سفينة واحدة من سفن المحايدين ولا عرّضوا حياة بحّار واحد من بحارتهم للخطر

أما المانيا فلم يكن في وسعها ان تسلك هذا السبل فعمدت الى التهديد والارهاب حيناً والى التدمير حيناً آخر ، وما لبثت الغواصات والطائرات والالغام الالمانية حتى أصابت سفن المحايدين فأغرقتها بغير انذار متجاوزة بذلك كل قاعدة من قواعد الاتفاقات الدولية . ونلّ مجموع ما خسرته هولندا ونروج واسوج ودنمارك بفعل الغواصات والطائرات والالغام السائبة اكثر مما خسره الحلفاء وهذا علاوة على التهديد باكتساح أراضيها اذا هي رضيت بما فرضه الحلفاء عليها من قواعد الزيارة والتفتيش والمصادرة ، وهي القواعد التي يبيحها القانون الدولي للدول المحاصرة

ومع ذلك ظلت هذه الدول المحايدة تستورد ما تستطيعهُ من الخارج ثم تصدر منهُ ما تستطيع اصداره الى المانيا بل ان نروج أكرهت على اباحة استعمال مياهها الساحلية لسير السفن الالمانية الناقلة لركاز الحديد الاسوجي من نارفيك وهو عمل مناقض للحياد الدقيق . فلما قرر الحلفاء ان يترصدوا هذه السفن خارج المياه الساحلية وانفراتها قررت المانيا انفاذ خطة ما فتئت تعد لها العدة وهي اكتساح دول الشمال وفعلاً وقع هذا الاعتداء في يوم ٩ ابريل الماضي على ما ترى وصفهُ في فصل آخر من هذا المقال

— ٢ —

تشغل مملكة نروج الجانب الغربي من شبه الجزيرة الكنديناوية . حدودها الشرقية تماشي حدود جارتها اسوج ثم تعطف شرقاً في أقصى الشمال حيث تتصل بحدود فنلندا . وهي بلاد جبلية وعرة ولا سيما في المنطقة الشمالية الضيقة . ولكن مياه تيار الخليج تغسل سواحلها فتدفئها

وتبقى ثغورها خالية من الجمد صالحة للملاحة على مدار السنة ، ولا سيما لأن جبالها تردُّ عن ساحلها الغربي البرد الشديد الذي يهبُّ على أسوج من الشرق .

ومتوسط ارتفاع نروج عن سطح البحر يزيد ٦٠ في المائة على متوسط ارتفاع اوربا عامةً . وليس سبب ذلك كثرة الثلوج الشاهقة فيها فأعلى جبالها لا يزيد على ستة آلاف قدم بل كثرة الجبال فيها بالنسبة الى الأرض المسطحة . والجبال تصل الى الساحل فتكثر تعاريجهُ وجزُرهُ والجزائر الصغيرة المنثورة امامهُ . وأنت عند ما تنظر نظرة سريعة الى خارطة نروج تقول أن طول ساحلها كذا أميال ولكنهُ في الواقع يزيد ستة أضعاف على امتداده الجغرافي البادي للنظر اول وهلة ، وذلك لكثرة التعاريج . هذه الحقيقة الجغرافية أثرت تأثيراً عظيماً في تقدُّم نروج الاقتصادي ، فأخذ الشعب يصيد السمك فغدت هذه الصناعة من أكبر مرافق البلاد ، ثم إنهُ عمد الى الملاحة فأصبح أسطول السفن التجارية النروجية من أكبر اساطيل الملاحة في العالم وهو يأتي في المرتبة الرابعة بعد بريطانيا العظمى (٢١ ٠٠٠ ٠٠٠ طن) والولايات المتحدة الاميركية (١١٫٤٧٠٠٠٠ طن) واليابان (٥٫٦٢٩٫٠٠٠ طن) ثم نروج (٤٫٨٣٣٫٨١٣ طن) وتليها المانيا (٤٫٤٨٢٫٦٦٢ طن) فبريطانيا (٣٫٤٢٤٫٨٠٤ طن) ففرنسا (٢٫٩٩٣٫٠٠٠ طن) وهذا بحسب احصاء ١٩٣٩ الصادر في «تقويم العالم» الذي تنشرهُ ادارة «نيويورك ورلد تلغرام»

ويضاف الى ما تقدم ان الانهار المنحدرة من هذه الجبال اتاحت للنروجيين مصادر لتوليد الطاقة الكهربية منها . ويقال ان بمقدار ما يمكن توليدهُ من الطاقة الكهربية من هذه الانهار يبلغ ١٢ مليون حصان لم يولَّد منها حتى الآن الا مليونا حصان أو أكثر قليلاً

ويبلغ عدد سكان نروج نحو ثلاثة ملايين نسمة أو أقل قليلاً فتدلُّ ازدحام السكان فيها ٢٣½ في الميل المربع . وذلك لأن معظم البلاد لا يصلح للعيش وليس فيها الاَّ مدينة واحدة يزيد عدد سكانها على مائة الف نسمة وهي العاصمة اوسلو . وتدلُّ الاحصاءات على ان ٣٫٥ في المائة فقط من مساحة البلاد يصلح للزراعة و٢٤٫٢ من المساحة تغطيه الحراج والغابات والباقي لا يصلح للانتاج الاقتصادي . ومن المحصولات الزراعية مقادير يسيرة من الشعير والزبير . ولكن البطاطس هو الغلة الزراعية الرئيسية . فنروج بلاد تستورد اكثر ما تحتاج اليه من لحم ومنسوجات وسيارات وأكثر صادراتها السمك والخشب وربُّ الورق

كانت نروج في القرون الوسطى دولة قوية ذات سطوة ثم ضعف شأنها وفي سنة ١٣٩٧ خضعت هي وأسوج للتاج الدنماركي . ولما انفصلت أسوج عن التاج الدنماركي بزعامة جوستافوس فازا في القرن السادس عشر ظلت نروج خاضعة لدنمارك الى ما بعد الحروب النابليونية ففصلت عن دنمارك وضمت الى اسوج وظلت هي وأسوج مملكة واحدة الى ان انفصلت عنها في سنة ١٩٠٥

واختير لها الابن الثاني لملك الدنمارك ملكاً عليها فالملك ماكون ملك نروج والملك كرستيان ملك الدنمارك شقيقان. وقد لزمت الحياد في الحرب العالمية الماضية ولكن غزوة المانيا لها الآن زجت بها على رغمها في هذا النضال الاوربي العنيف

وقد انجبت نروج على ما تمايه من شظف العيش طائفة من الكتّاب يعدون في الطبقة الاولى بين ادباء العالم منهم ابسن Ibsen وكنوت هامسن Knut Hamsun وسيجريد أوندست Sigrid Undset

اما اسوج فأوسع البلدان السكندينافية مساحة واكثرها سكاناً اذ يبلغ عدد سكانها ستة ملايين ومتوسط ازدحام السكان في ارضها ٣٥ر٤ في الميل المربع. والعاصمة ستوكهلم تعدّ نصف مليون وفيها ثلاث مدن اخرى يزيد سكان كلّ منها على مائة الف. وجبال اسوج اقلّ من جبال نروج ولكن اقليمها اقرس برداً لان الرياح الباردة تهبّ عليها من الشرق وهي التي تجمد مياه بلطيق الا قسمه الجنوبي في اثناء الشتاء. ونصف الارض الاسوجية تغطيه حراج وغابات فهي مورد مهم للخشب وربّ الورق. ولكن الدلائل تدل على ان هذا المورد كان آخذاً في النفاد من عهد قريب وان الحاجة ماسّة الى وضع سياسة قويمة للتحريج. اما الاراضي المزروعة فتبلغ ٩ر٣ في المائة من المساحة العامة

واسوج لا تستطيع ان تنتج ما تحتاج اليه من مواد الغذاء فعليها ان تستورد جانباً منها. ولكنها غنية الموارد بالمواد الغذائية الحيوانية وهي في الواقع تصدر مقداراً من الزبدة «والبايكون». ومن الحقائق الاجتماعية التي تستوقف النظر ان ثلاثة ارباع الفلاحين الاسوجيين يملكون مزارعهم. وعلاوة على ما تستورده اسوج من مواد الغذاء تحتاج الى استيراد اكثر الفحم الذي تستهلكه. اما صادراتها فأهمها الخشب وما يصنع منه والحديد (وقد خصصنا له فصلاً في هذا المقال لما له من صلة بالحرب القائمة)

ضُمّت اسوج كما ضُمّت نروج الى التاج الدنماركي في سنة ١٣٩٧ ولكنها استردّت حريتها بزعامة جوستافوس فازا ثم بلغت مكانة عالية من السطوة في بحر بلطيق وكان لها شأن كبير في سياسة اوربا وكان ملكها جوستافوس ادولفوس احد كبار الملوك الذين اشتركوا في حرب الثلاثين سنة. وفي اواخر ذلك القرن حاول ملكها شارل الثاني عشر ان يحوّل بحر بلطيق الى بحيرة اسوجية. فأخفق اخفاق جيش الذين سبقوه ولحقوه في غزوة روسيا. ولكن اسوج احتفظت بفنلندا وبومير انيا الى ان نزعتا منها بعد حرب نبوليون وضمّتا الى روسيا وضمت النروج مقابل ذلك

وقد التزمت اسوج الحياد في الحرب العالمية الماضية ولكنها وجدته محفوفاً بالصعاب لأنها كانت احد الطرق التي تعتمد عليها المانيا في استيراد ما تحتاج اليه من الحامات الصناعية التي منعت عنها

بحكم الحصر البحري. وقد نجحت اسوج في ان يأتي اكبر العلماء والادباء بينهم سويد بورغ الفيلسوف واربنيوس الكيميائي الطبيعي ونيفيوس الموالدي وبرزيليوس الكيميائي وسلمى لاجيرلوف الأديبة

أما مملكة دنمارك فتشمل معظم شبه الجزيرة الداخل في البحر من شمال المانيا وما يحف به من الجزائر . وتتمها جزائر فرو في شمال المحيط الاطلنطي وكذلك جزيرة جرينلند المتاوحة لساحل كندا الشمالي الشرقي. ومليكها ملك أسلندا المستقلة. وفي سنة ١٩٢٠ ضم اليها الجزء الشمالي من منطقة شلزويج على اثر استفتاء . أما سكانها فيبلغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة ومساحتها ١٦٥٧٦ ميل مربع وكوبنهاغن العاصمة اكبر مدنها

وأهم ما يستوقف نظرنا في مملكة دنمارك تحولها تحولاً تاماً من دولة غازية فاتحة منذ القرن العاشر عندما غزا سوين Sweyn انكلترا وأنشأ مملكة تمتد من انكلترا غرباً الى بولندا شرقاً . ثم تفككت اوصالها ثم عادت فجمع تاج ملكها في سنة ١٣٩٧ اسوج ونروج ودنمارك ويعرف هذا الحادث التاريخي « باتحاد كالمار » . والتزمت دنمارك الحياد في حروب نبوليون ولكنها كانت في الحقيقة حالفة معه فلما عقد صلح باريس نزعت منها نروج وضمت الى اسوج . ومن ثم أخذت دنمارك تفقد مكانتها كدولة حربية . فلما حاولت ان تقاوم غزوة بروسيا سنة ١٨٦٦ عجزت عن ذلك وأدعنت لاحتلال بروسيا منطقة شلزويج هولشتين

وتدطرأ عليها تحول اجتماعي عظيم الشأن عند ما أنشئت فيها حركة التعاون فشملت جميع الاعمال والصناعات الزراعية واتسع نطاق توزيع الاراضي على سكانها حتى بلغ عدد الذين يملكون مزارعهم فيها ٩٠ في المائة من السكان . وصناعة الالبان فيها بلغت أبعد شأو من الارتقاء وهي تصدر مقادير وافرة من الزبد والجبن والبيض الى انكلترا والمانيا وغيرها ولكنها تحتاج الى استيراد معظم العلف اللازم لتغذية مواشيها

—٣—

ان ألمانيا تفضل الآن الحديد على الذهب لانها اذا ملكت الحديد وملك جارٌ لها الذهب فانها تصنع المدافع وأجهزة القتال الميكانيكية فتستطيع او يتاح لها على الاقل ان تضرب بها جارها ضربة قاضية فتملك الحديد والذهب معاً . اما الذهب وحده بغير حديد فلا يجديها ما زالت شهوة السطوة متمكنة من نفوس اقطابها

وهي لا تملك من مناجم الحديد ما يسد حاجتها ولا سيما حاجتها الى حديد جيد يصلح لصنع الصلب وهو اساس صناعة الاسلحة بشتى انواعها . ولكن جارتها الشمالية اسوج من اغنى دول الارض بمناجم الحديد الجيد وهذا الغنى الطبيعي لسمة لولا مجاورة المانيا لان ضغط المانيا العسكرية غدا كالسيف المصلت فوق عنقها

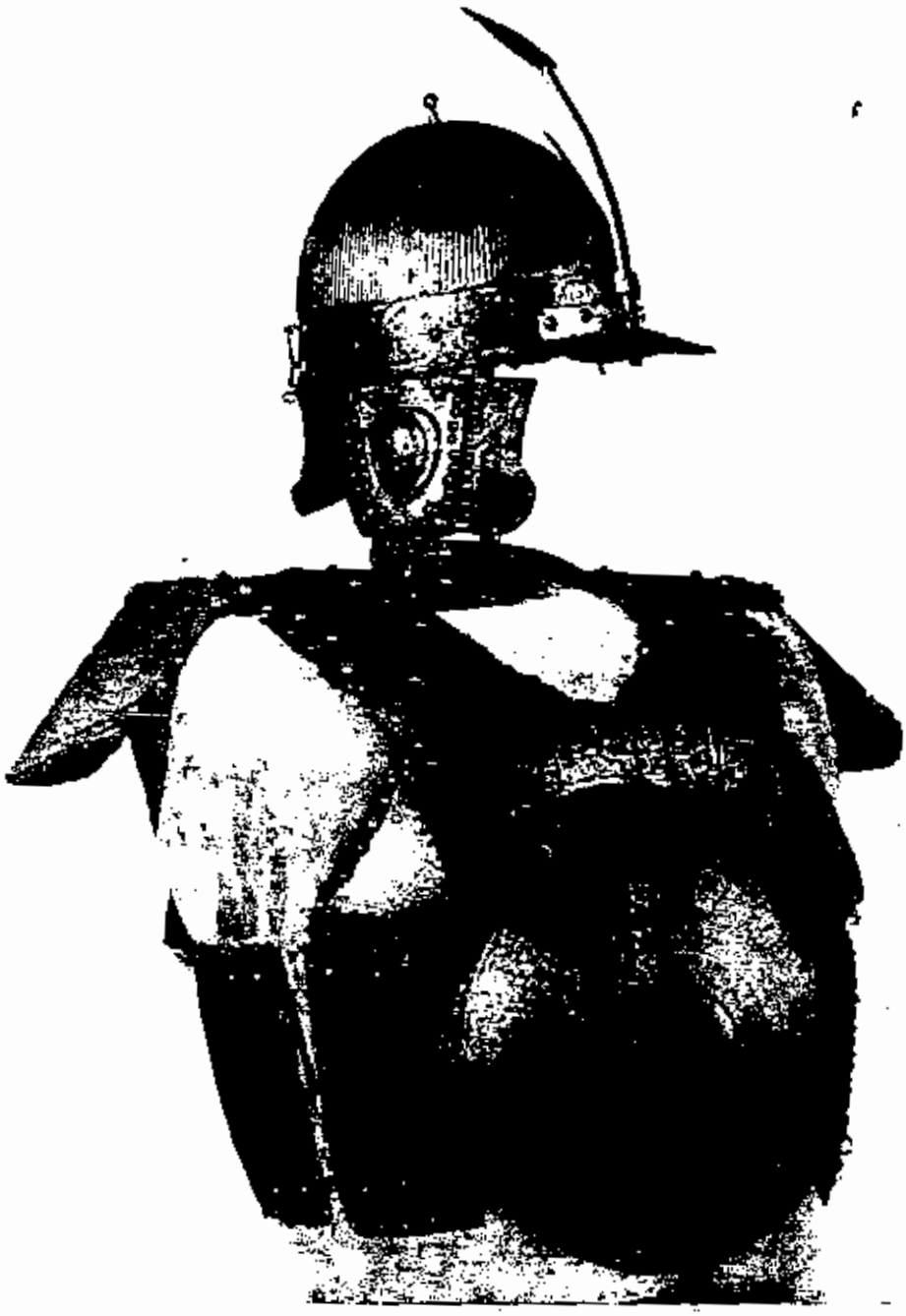

خوذة وبعض اجزاء لدرع مصرية الصناعة نقشت عليها آية الكرسي بتحف ثينا

واسوج اكبر مصدر للحديد في العالم . نعم أن ما يستخرج من ركاز الحديد في فرنسا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية يفوق ما يستخرج منهُ في اسوج ولكن كلاً من هذه البلدان يستهلك من حديده اكثر مما تستهلك اسوج من حديدها . وفرنسا تفوقها في عدد الوف الاطنان التي تصدرها كل سنة من ركاز حديدها . ففي سنة ١٩٣٦ اصدرت فرنسا ١٨ مليون طن منهُ حالة ان صادر اسوج بلغ ٢ر١١ الطن ولكن الحساب المنطق بالطن لا يجدي . ذلك ان ركاز الحديد الاسوجي يحتوي على ٦٦ في المائة من الحديد الصافي حالة أن حديد الاورين الفرنسي يحتوي على ٣٣ في المائة من الحديد الصافي فمقدار الحديد الصافي الذي تصدره اسوج اكبر مما تصدره فرنسا

تقع مناجم الحديد الأسوجية في منطقتين رئيسيتين أولاهما في بلدة الى الشمال من الدائرة القطبية . حيث يقدر ركاز الحديد بأثني مليون طن وهذا المقدار هو قمة أعشار ركاز الحديد الجيد الذي في أوربا كلها . ومن الغريب ان التعدين هناك لا يحتاج الآن الى حفر مناجم تحت الارض بل يكفي ان تقدَّ قدداً من جانب الجبل فاذا بين يديك ركاز جديد من أجود ما يكون . ويقدر الركاز المتاح كذلك بنحو ٧٥٠ الف طن . وكيرونا (التي يتردد ذكرها في هذه الايام) هي مركز هذه الصناعة . ثم هناك منطقة أخرى في أسوج المتوسطة ولكنها لا تجاري المنطقة الشمالية في مساحتها وغناها ويقدر ما فيها من الركاز بمائتي مليون طن . ونسبة الحديد الصافي في ركاز هذه المنطقة تتفاوت من ٥٢ الى ٥٥ في المائة حالة ان النسبة في ركاز المنطقة الشمالية تتفاوت من ٦٠ الى ٧٠ في المائة . ولكن الشوائب في حديد المنطقة المتوسطة — كالفصفور — أقل منها في ركاز المنطقة الشمالية . وخلو الركاز من الشوائب يجعل الصلب الذي يصنع منهُ أجود صنفاً وأمتن . ولذلك حظرت حكومة السويد اصدار حديد المنطقة المتوسطة فتستعمله في صناعة الصلب فيها وصلبها أجود أصنافه في العالم اطلاقاً

كانت المانيا قبل الحرب اكبر مستوردي الحديد الاسوجي . ففي سنة ١٩٣٦ استوردت منهُ ثمانية ملايين طن . ويقال ان ما تستورده تنقص قليلاً ، لأن بريطانيا بدأت تنافسها هناك بعد ما استأثرت المانيا — او كادت — بحديد منطقة بلبو باسبانيا في اثناء الحرب الاهلية الاسبانية . اما الحديد الذي يستخرج من مناجم المانيا نفسها فلا يكفي من حيث مقداره ولا يصلح على كل حال لصنع أجود اصناف الصلب الذي تقتضيها صناعة الاسلحة الحديثة . ولا تزيد نسبة الحديد في الركاز الالماني على ٢٨ الى ٣٠ في المائة وقد تنقص الى ٢٣ في المائة وهذا يجعل تعدين الحديد عملاً غير موافق من الوجهة التجارية الاَّ اذا بذلت الدولة العون المالي للشركات التي تتولاهُ

كان اصدار الحديد الاسوجي الى المانيا يتبع طريقين الاول من ميناء نارفيك النروجي والمسافة بين كيرونا ونارفيك قصيرة تبلغ ثلاثين ميلاً (وتصلهما سكة حديدية) ثم يشحن

بالسفن الى مصب الرين وبه ينقل الى غرب المانيا (منطقة الرور حيث مركز الصناعة الالمانية الثقيلة) . والثاني من مرفأ لوليا الاسوجي على رأس خليج بوثنيا ثم يشحن بالسفن الى سواحل المانيا على بحر بلطيق ثم بسكك الحديد الى منطقة الرور . والطريق الاول مفضل على الثاني لانهُ متاح على مدار السنة (نارفيك ثغر لا يتجمد ماؤه في الشتاء لأن تيار الخليج الدافئ يغسل سواحل نروج الشمالية) والنقل بالسفن رأساً الى منطقة الرور أوفر من النقل بالسفن ثم بالسكك الحديد . ويضاف الى هذا ان خليج بوثنيا يتجمد مدى اربعة اشهر كل سنة فيصبح نقل الحديد من لوليا متعذراً في اثنائها

هذه الحقائق الاقتصادية والجغرافية تبين لك مدى خسارة المانيا منذ ما منعت من استعمال مياه نروج الساحلية لنقل الحديد الاسوجي — وهو من ممنوعات الحرب — نقلاً لا يجيزه القانون الدولي . ثم ان ما اصيب به الاسطول الالماني من الخسارة الفادحة مكن الاسطول البريطاني من لغم غرب بحر بلطيق الى محاذاة ثغر ميمل متحاشياً مياه اسوج الساحلية علاوة على ايصاد الطريق النروجي . فقد خسر الالمانيون في المعارك الاخيرة من بوارجهم وطرادات القتال في اسطولهم والطرادات الخفيفة والثقيلة والمدمرات وسفن النقل ما حوَّل اسطولهم الى قوة بحرية صغيرة ولا سيما اذا اضفنا الى ما خسروه اخيراً خسارة الجراف شبي في معركة البلاتا البحرية والنواصات التي اغرقت في السبعة الاشهر الاولى من هذه الحرب

وهذه الحقيقة لها تأثير كبير في مسألة نقل الحديد الاسوجي . فمنطقة الالغام التي بثتها سفن الحلفاء في البلطيق تحول دون حرية الملاحة في الجانب الغربي المتاح للسواحل الالمانية وهذه الحرية لازمة ولا غنى عنها لنقل الحديد الاسوجي من ثغر لوليا الى المانيا بعد ان سد الطريق الاول من ثغر نارفيك في وجوههم . وفي اواخر ابريل يصبح خليج بوثنيا صالحاً للملاحة بعد ذوبان الجمد الذي يغطيه فتبدأ السفن الالمانية تشحن ما تستطيع شحنه من حديد أسوج في لوليا (كان ثلث ما تستورده المانيا من حديد اسوج يشحن من ثغر لوليا والثلثان من ثغر نارفيك) فاذا دخلت منطقة الالغام وجدت أمامها ما يعرقل سيرها . وخسارة الاسطول الالماني الفادحة تسهل على سفن الحلفاء مراقبة هذه المنطقة وعرقلة عمل لاقطات الالغام الالمانية وبذر ألغام جديدة حيث تجمع اللاقطات الالمانية في لقطها

فاذا اضفنا الى ما تقدم ان ما كانت تستورده المانيا من حديد فرنسا واسبانيا والمغرب الاسباني وغيرها — وهو يبلغ نحو تسعة الى عشرة ملايين طن في السنة — قد قطع عنها ادركنا مدى ضعف المانيا في هذه المادة الصناعية الحربية الاساسية وعلمنا ان كل ما يجمع من الحديد القديم المستعمل في المانيا لتقديمه هدية الى الدولة لا يجدي الاَّ قليلاً في سد النقص

— ٤ —

عندما أذيعت أنباء اجتياح الدانمرك واحتلال ثغور متعددة على ساحل نروج الغربي ثم احتلال العاصمة أوسلو في صباح ٩ ابريل صحبها بيان المانى بأن الحكومة الالمانية انما فعلت ذلك ردًّا على ما فعله الحلفاء في اليوم السابق إذ بذروا الألغام في ثلاث مناطق من مياه نروج الساحلية . فلم يخدع هذا البيان أحداً منْ الناس لان تلفيقه كان واضحاً لكل من عني بالأمر فبسط أمامه خارطة لشمال أوربا وأخذ يبدد قلماً ومقياساً فعلم أن المسافات التي كان لا بدَّ من اجتيازها لاحتلال ثغر كثغر نارفيك في الشمال وغيره كان يقتضي ان تقوم سفن النقل والسفن الحربية التي تصحبها قبل وصولها الى هناك بيومين او ثلاثة أيام على الأقل اي ان هذه السفن تحركت الى طريقها يومين او ثلاثة ايام او اكثر قبل ما بذر الحلفاء الالغام في مياه نروج الساحلية. وهذا بصرف النظر عن اعداد الحملة وتدبير المؤامرات لأخذ نروج بغير قتال

ويؤيد هذا ان أحداً من الذين تتبعوا اتجاه التفكير النازي لم يؤخذ دهشة بما تمَّ ويقول الدكتور روزنبرج — الحاضر سابقاً في أكاديمية كيل البحرية — ان أقوال المفكرين الألمانيين الذين من وراء النظام النازي الالماني ، كانت كثيرة صريحة ، فوضع دهشته ودهشة غيره من المطلعين عليها ان هذه القزوة لم تتم قبل الآن اي بعد نشوب الحرب . ولعلَّ أشهر من كاتب وحاضر في هذا الموضوع الكولونيل الاستاذ الدكتور أوسكار ريتر فون نيدرماير منظم تدريب الالمانيين في الجيش الأحمر بين سنة ١٩٢٤ و١٩٣١ ورئيس معهد العلوم العسكرية والجغرافيا الحربية في جامعة برلين وأحد اقطاب الداعين الى تغلغل النظام النازي في الريخسفير وصلة الوصل الرئيسية بين الريخسفير والاتحاد السوفيتي

فقد ألقى الكولونيل نيدرماير محاضرة في برلين في مارس سنة ١٩٣٧ عنوانها « الجغرافيا الستراتيجية في بحر بلطيق والبحر الشمالي » قال فيها أن المانيا لا يسعها ان تقف بمعزل عن تحوُّل الحال في بلدان الشمال ، فلالمانيا مصلحة حيوية في الاحتفاظ بحياد هذه الدول التام واستعمال مياهها الساحلية بغير قيد او شرط . ففي هذه البلدان مواقع حربية من الطبقة الأولى قد تحتاج اليها دولة (اي المانيا) تودُّ ان تدفع عن نفسها هجوماً محتملاً ، وفي مقدمتها ساحل نروج الجنوبي الغربي والمضايق بين دنمارك من جهة وأسوج ونروج من جهة أخرى ، وجزيرة جوتلند Gotland الأسوجية وجزائر آلاند القلقدية

وكتب الاميرال فيجنر Wegener كتاباً عنوانه « الخطة البحرية في الحرب العالمية الماضية » كان اكبر عامل في تحديد الخطة البحرية الالمانية في عهد النازي . والرأي المنطوي في تضاعيف هذا الكتاب ان المانيا القيصرية اخطأت في محاولتها منع الحلفاء فقط في الحرب الماضية من

استعمال مضايق الكاجيراك والكاتيجات ، بل كان يجب عليها ان تستعملها هي وان تنشىء في شمال شبه جزيرة جتلند Jutland (وهو الجزء الاكبر من مملكة دمارك) قاعدة بحرية تستند اليها في انشاء قواعد على ساحل نروج الغربي الجنوبي يستطيع الاسطول الالماني ان يعتمد عليها في تكسير قيود الحصر البحري البريطاني . ولذلك عمد قواد المانيا وضباطها البحريون في العهد الأخير الى دراسة المياه في هذه الجهات دراسة علمية وعملية في آنٍ واحد وتدريب الضباط والبحارة على سلكها تأهباً لما كان منتظراً

***

في الساعة الخامسة[1] من فجر يوم الثلاثاء (٩ ابريل) ذهب وزير المانيا المفوض في اوسلو الى الاستاذ كوهت وزير خارجية نروج وقدم اليه طلبات الحكومة الالمانية . ولكن القوات الالمانية كانت قد احتلت مواقع شتى على سواحل نروج بين منتصف الليل والساعة الثالثة صباحاً — اي قبل زيارة الوزير المفوض لوزير الخارجية بساعات — ولذلك كانت طلبات الالمانيين « مشروطاً لتسليم والاذعان » لا مقترحات تصلح اساساً للمفاوضة

فقد علم في اوسلو ان السفن الحربية الالمانية اجتازت موقع فيردار في جون اوسلو عند منتصف ليل ٨ ابريل — اي خمس ساعات قبل زيارة الوزير المفوض لوزير الخارجية النروجية — ولم تنقض ثلاثة ارباع الساعة حتى ورد نبأ بان السفن الحربية الالمانية تبادلت اطلاق النار مع حصن او حصنين نروجيين على جانبي الجون وفي الساعة الثانية صباحاً ورد نبأ بان السفن الحربية الالمانية اجتازت الحصون القائمة على جانبي جون برجن الى المرفأ . وفي الساعة الثالثة والنصف ورد نبأ احتلال ترونديم وآجدين . وبعد قليل بدأت السفن الحربية الالمانية تطلق قنابلها على الحصون القائمة على ساحل أوسكارسبورج . فالقتال كان قائماً على قدم وساق واحتلال غير ثغر واحد كان قد تم قبل وصول الهر بوروزير المانيا المفوض ليضع ساعات لتقديم الطلبات الالمانية الى وزير الخارجية

كانت الطلبات اثني عشر بنداً في مقدمتها « ان امتناع نروج من تأييد الاعمال الالمانية » واصدار الامر الى الجنود النروجية بأن « تتصل اتصال صداقة بالجنود الالمانيين » وان تبيح للالمانيين « جميع الوسائل التي تضمن سلامة نروج » وان تسلمهم جميع اسباب المواصلات والمخابرات ونتائج الارصاد الجوية اللازمة لحرب الطائرات وخارطات المناجم واصدار الامر الى مرشدي الموانىء من النروجيين بمساعدة الاسطول الالماني

ولم يكتف الوزير الالماني بذلك بل قدم الى وزير الخارجية النروجية « مذكرة مؤداها

(١) تلخيص قصة النزوة الالمانية لنروج من الكتاب الابيض النروجي

ان الحكومة الالمانية تعتقد ان الحكومة النروجية لن تقاوم احتلال بريطانيا وفرنسا لنروج وانها اذا قررت الحكومة النروجية مقاومة احتلال الحلفاء فانها ليست على جانب من القوة يمكنها من ذلك . ولذلك قررت الحكومة الالمانية ان تبدأ الاعمال الحربية لاحتلال المواقع الحربية ذات الشأن في نروج وان تأخذ على عاتقها الدفاع عن نروج ضد بريطانيا وفرنسا . . . وان الرغبة الوحيدة التي حدتها الى ذلك انما هي رغبتها في ان تمنع تحوّل نروج الى معترك بين الدول الكبرى ولذلك فهي تتوقع من حكومة نروج ان تفهم قصدها ولا تقاوم رغبتها . فاذا قاومت فان الجنود الالمانيين يسحقون كل مقاومة . ولكنها اذا امتنعت عن المقاومة فالجيوش الالمانية لا تمس وحدة مملكة نروج او استقلالها السياسي

فلما قال الاستاذ كوهت ان هذه طلبات يجب أن تبحثها الحكومة النروجية وتمثل الشعب النروجي قال الوزير الالماني ان الحالة تستدعي العجلة لان « الاعمال الالمانية كانت قد قطعت شوطاً بعيداً لا يمكن وقفها » . فلما أنبأه الوزير الالماني بأن الحكومة النروجية لا يسعها أن تسلم بهذه الطلبات احتلّ الالمانيون العاصمة أوسلو في صباح الثلاثاء

وطلب الوزير الالماني كذلك ان تعترف نروج بحكومة كويزلنج فردّ عليه الاستاذ كوهت بالتفون أن الملك هاكون لن يعترف بها وان نروج « ستقاوم ما استطاعت الى ذلك سبيلاً »

ومما يدلك على ان النصل الالماني كان مدبراً ومبيتاً وان بذر الالغام في مياه نروج الساحلية لا علاقة لهُ به ، ان مؤامرة اساسها الخيانة كانت قد اعدت في شتى المواقع واتنظم فيها فريق يسير من المخدوعين النروجيين على رأسهم كويزلنج . ومن حوادثها ان رجال اقوى سفينة بحرية نروجية في جون اوسلو تلقوا قبل وصول الالمانيين امراً من ضابطهم بالنزول الى الشاطىء فلم يبق في السفينة الا خمسة عشر منهم . وفي حصن ساحلي آخر اصدر ضابط الحصن امره الى الجنود برفع راية التسليم متوسلاً الى ذلك بقوله انه لا يملك ذخيرة كافية للمقاومة فلما بين لهُ رجال الحامية انهم تلقوا ذخيرة في اليوم السابق او قبله بأيام وتوسلوا اليه ان يسمح لهم ويصدر اليهم امره بالمقاومة ابى عليهم ذلك ورفع راية التسليم

اما في جون تروندهايم فان السفن الحربية الالمانية سيرت امامها وعلى جانبيها سفن صيد نروجية فلم يكن في وسع حماة الحصون الساحلية ان يطلقوا القنابل على السفن الالمانية لئلا يقتلوا بقنابلهم اخوانهم في الدم والوطن وكانت الاوامر قد اذيعت باسم كويزلنج بأن لا يقاوموا فأفضى استعمال الخدعتين الى اضطراب حاميات الحصون فلم يفق رجالها من اضطرابهم وتبلبلهم الا بعد ان غدت المقاومة لا تجدي لان السفن الالمانية الحربية كانت اجتازت الحصون وأصبحت البلدة في قبضتها

باب المراسلة والمناظرة

تعليق على مقال « من أسرار العربية »

تعليل بناء الكلمات الفصيحة بالنحت والزيادة . لاسماعيل مظهر

بمقتطف شهر مارس ١٩٤٠

مختصر المقال هو ان الاستاذ اسماعيل مظهر يؤمن بان اللغة العربية قابلة للنحت ويستشهد بوضع كلمات رباعية مثل صلخد وجلمد والحيتمور فانهُ يرى في هذه الكلمات نحتاً من لفظين مختلفين. صلخد من صلد وصخد، وجلمد من جلد وجمد ، والحيتمور من ختر وختع . اني أخالفهُ في هذا الرأي واما إنما اتجرأ على هذه المخالفة ليقيني ان الاستاذ يرحّب بالمخالفة

كلنا نتفق والاستاذ مظهر ان لا لغة تضاهي العربية في سعة الاشتقاق وقلائل جداً هم الذين يعرفون ان من الجذر الثلاثي يمكن اشتقاق عشرات عديدة من الاوزان بزيادة حرف او بتضعيف . وكاتب هذا المقال حاول في عهد الطلب ان يدرس اوزان الفعل الرباعي في اللغة السامية البنائية وقد فاز الى حدّ ما بارجاع جميع اوزان الرباعي الى الجذر الثلاثي وأبان أن اوزان الرباعي إن هي الا أوزان جديدة لفعل الثلاثي وقد كتبت عن هذا شيئاً في مجلة المقتطف (اغسطس ١٩٣٨ ص ٢٩٢) فليراجع في موضعه

لنعد الى البحث فنقول ان العربية لا تقبل النحت والالفاظ المنحوتة قليلة جداً وطائفة كبيرة منها لا يصحّ ان يقال انها نحت بل هي من نوع الاختصار والجمع كما في بَسْمَل وحوقل . وأما ميزة النحت كما نعرفها في اللغات الاوربية فغير معروفة في العربية . بقيت الاوزان الرباعية او الخماسية التي يظن الاستاذ مظهر انها نتيجة نحت . هل هي نحت ام اشتقاق من جذر ثلاثي ؟ أما أنا فاقول أن أصولها جميعاً (اي الاوزان الرباعية والخماسية) تعود الى الثلاثي والحرف الرابع او الرابع والخامس من احرف الزيادة التي لا تعجمها كلمة سألتموني بل يجب ان يضاف اليها أحرف أخرى

فكلمة صلخد هي وزن فَلْعَلَ من صخد وهذا الوزن شائع جداً وجلمد ايضاً فَلْعَل من جمد والحيتمور قد تكون من ختع ثم ختر على وزن فَعْلَوَلَ ومنها الحيتمور

بكلام آخر يجب ان لانخلط بين اشتقاق أوزان الزباعي والخماسي وبين النحت الذي معناه ضم كلتين لمعنىً واحد

بقي معرفة سر معاني أحرف الزيادة وهل هذه الحروف بقايا كلمات كانت تدمج في الوزن ثم أُسبيت على مدى الايام الكلمة ولم يبق منها الأحرف أو هل للحروف معان قائمة بذاتها ؟ هذه ناحية جديرة بالاعتبار ولكن ننتظر قليلاً لعلَّ الاستاذ محمود محمد شاكر يلقي على هذه الناحية بعض النور فاني شديد الشوق الى تتبع دراسته وربما كان لي في هذا الموضوع كلمة ولكني أحتفظ بها الى ان اقرأ مقالته الثانية . فاذا قدر الاستاذ شاكر ان يبرهن لنا ان احرف الزيادة كانت كلمات مستقلة ذات معنىً مستقل فانهُ بذلك يستطيع ان يقول ان العربية قابلة النحت ويمكن استغلال هذه الميزة في توليد كلمات جديدة

النجف الاشرف أنيس فريحه . د . ف

كلمة وجيزة

حول « حومة في سماء الادب »

سيدي الأستاذ محرر « المقتطف » الأغر

لك أطيب التحايا . وبعد ، فقد قرأت في العدد الرابع من المجلد السادس والتسعين الصادر في أول ابريل ١٩٤٠ ، كلمة طيبة للاستاذ راجي الراعي تحت عنوان « حومة في سماء الأدب » وفيها يهيب بشبيبة الأدب أن تشعر نفسها الحياة والروح والعاطفة ، إذا ما أخذت في الانتاج الادبي ، حتى يخرج ما تكتبهُ من أدب وفيهِ « طنين الاجراس ، واضطرام الاحساس ، وضوء الماس ، وتجلي الاقداس ، وزمزمة الاعراس .. الخ ! »

وقد حدت للأستاذ الراعي هذه النزعة الكريمة النبيلة التي تدعو أدباءنا الى أن يطعموا من المائدة الالهية ، ويشربوا من الخمرة الانسانية العتيقة ، حتى يخرج الأديب منهم الى البشرية فيقول لها عن حق : « هأنذا .. هأنذا قد أتيتك بالخمر فاشربي ! »

ولكني وجدت الاستاذ الراعي يصف الاديب الذي يبحث عنهُ بقولهِ : « يأمر اللغة فتأتيه صاغرة ، ويستبيح حماها على الرغم مما أقيم حولها من الاسلاك الشائكة .. يفكر الزمخشري والجاحظ إذا ما وقفا بأساليبها في طريق روحه ، ويخلق للفكرة التي يختارها الكلمة الموسيقية التي تناسبها ، وان لم تأته بها المعاجم ، أو أتت بغيرها مما لا ترتاح اليها أذنه ! »

وصدور هذا القول من أديب عربي ، غريب كل الغرابة ، عجيب كل العجب ، فالمثلة العربية

الجيدة والحمد لله ، غنية بآلاف الالفاظ الموسيقية ، محشودة بالمترادفات والالفاظ التي وضعت للمعنى الواحد ، مما لا يعجز الاديب أمامه عن ان يختار ما يحلو لهُ ، وما يوافق الموضوع الذي يتكلم فيهِ ، أو الفكرة التي يحاول ترجمتها

ويصفني أحد الخادمين لهذه اللغة الكريمة ، وأحد شباب اكبر المساهد القائمة على إذاعتها وحفظها : « كلية اللغة العربية » ، فاني اقول ان دعوة الاستاذ الراعي لو وجد سميعاً — وذلك ما لا ارجوه ولا يرجوه عربي مخلص — فانها ستكون حرباً عواناً على تراث عزيز نقدسه ونجله ، بل سنسير بنا الى فوضى لغوية أدبية لا تعرف بالضبط مدى آثارها الوخيمة ، والشيء يبدو صغيراً منحل الأمر ، ثم يكبر خطره ، ويعظم أمره ، حتى تعجز عن صدّ طغيانه ، أو الحد من زواته « وسعظم النار من مستصغر الشرر » !

يريد الاستاذ الراعي ان يستبيح الاديب لنفسهِ الاتيان بما يشاء من الكلمات والتعابير التي يحتاج اليها ، وان لم تسعفهُ اللغة بها ، أو توافقهُ عليها ، ولا يدري الاستاذ أن ذلك سيؤدي بنا الى اضاعة لغتنا الكريمة ، وكتابنا الاقدس « القرآن الكريم » بعد أن يصبح الامر خليطاً ، ونقع في حيص بيص ، وتغدو اللغة كما قال حافظ رحمهُ الله :

فجاءت كثوب ضمَّ سبعين رقعة مشكلة الالوان مختلفات ! ..

لا ينكر أحد ما للادباء جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وايليا أبو ماضي واحمد زكي أبو شادي واسماعيل احمد أدهم من الخدمات العظيمة التي أسدوها الى اللغة العربية بأبحاثهم وأفكارهم وخواطرهم . ولكننا لا ننسى ولن ننسى أن نؤاخذهم على عدم اهتمامهم بأسلوبهم وقواعد لغتهم في كثير من المواقف والاحايين . ولو أن هؤلاء الادباء والشعراء زادوا على عمق تفكيرهم وسلامة منطقهم وعلو تفكيرهم سلامة أسلوبهم ، وصحة عبارتهم ، لأوجدوا لنا في أشخاصهم المثل الكاملة للادباء والكتّاب والشعراء !

فليدع الاستاذ الراعي الى توقد العاطفة وقوة الروح ، وسمو الشعور ، وطغيان الفكرة ، وثورة الذهن ، ولكن يجب عليهِ بجوار ذلك ان يحفظ للغة حقها ، وللاسلوب واجبه ، فان اهمالنا لهما وان بدا قليل الخطر اليوم ، سيجرنا الى أخطار بليغة قاسية !

كذلك لم أفهم قول الاستاذ : « وكم من عبقري أديب عاش ومات دون أن تمثل عبقريته دورها العظيم لانهُ جهل نفسه أو لان الناس جهلوه ! »

فاني اذا وافقتهُ على ان العبقري قد يحال بينهُ وبين تمثيل دوره لجهل الناس بهِ ، فاني لا أوافقهُ على ان العبقري يجهل نفسه ، فأي عبقري ذلك الذي لا يعرف عبقريته ؟ !

« كلية اللغة » احمد حمة الشرباصي

مكتبة المقتطف

ليالي الملاح التائه

١٤٩ صفحة من القطع المتوسط — مطبعة شركة فن الطباعة بمصر

الاستاذ علي محمود طه من شعراء الطبيعة القلائل الذين وُهبوا ريشةً سحرية الألوان ، ووهبوا الى جانبها قيثارة ذهبية الرنين ... ولهذا تخرج قصائده صوراً حية حياتة يتلاقى بين إطارها فنان : فنٌّ من الرسام ، وفنٌّ من إحساس الشاعر ، كما تتلاقى اصداء النغم عاتن الليل في أحضان الطبيعة الشاعرة

ولقد كان في ديوانه الاول ربابناً يتجه بسفينته صوب قطب مجهول فهو لا يبرح قمرته يرقب منها النجم الهادي والشاطئ المهجور الا أنهُ في «لياليه» هذا ربان اترع من كأس الخيام «سلسل النور المذاب خمرة ليس لها من عاصر» ... فمضى بسفينته وليس لهُ وجهة فلقد حطّمت له كأسه الدنيا فكلها شطآن ، يخرج من عالم ليدخل الى عالم ... عوالم كلها رؤى وخيالات رأى فيها الشاعر شباب قلبه فأفاض عليها من سحر ريشته ورنين قيثارته إبداع فنه

ولقد ظفرت الطبيعة من شاعرها في هذا الديوان بأكبر نصيب ، ولم تزل به تجذبه اليها من أية ناحية حاول ان يفلت منها الى عالم الناس فتردّه لينقل عنا الى الناس أجمل روائعها لا فرق بين شرقية منها أو غربية

لهذا أرى ان هذا الملاح في لياليه اكثر تيهاً منهُ يوم قاد سفينته الى شاطئه المهجور ، وهو الى عالم القلب في هذه الرحلة اقرب مما كان ، وأي قلب لا يسبح وراء جندوله ليسمعه وهو يهتف :

آه لو كنت معي تختال عبره
بشراع تسبح الانجم إثره
حيث يروي الموج في أرحم نبره
حلم لليل من ليالي كيلوبتره

وأي قلب لا تخدره همساته وهو يناجي ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة في ليالي الصيف المقمرة وقد تحدّر اليها من وراء النجم ضوء القمر الماضي فدبت الغيرة الى نفسه فهمس :

أغار ، أغار إن قبّـــل هذا الثغر أو ثنى
ولفّ النهد في لين وضمّ الجسد الدنا
فان لضوئه قلباً وإن لسحره جفنا
يعدّ الموجة العذرا ء من أغوارها وعنا

وأي قلب لا يثور مع ثورته في قصيدته «هي» وهو يصرخ بالتي علمته كيف يحب وكيف يكره:

لقد دنس الجسدُ الآدمي حياة حرصت على طهرها

وأي قلب لا يتفجر دموعاً وهو يسمعهُ يوامي الموسيقية السماء:

اذا ما ذابت الانداء فوق الورق النضر
وصبّ العطرَ في الاكمام ابريقٌ من التبر
دعوت عرائس الاحلام من عالمها السحري
تذيب اللحن في جفنيك، والاشجان في صدري !

وأي قلب لا تسكره «كأس الخيام» او «خمرة الرين» حين يرى العشّاق

... قد عبّـوا الى الوادي خفافا
اقبلوا كالضوء اطياقاً واحلاماً لطافا
ملأوا الشاطىء همساً والبساتين هتافا

او ضد ما يقف به على ضفتي النيل

... وضوء القمر الوضاح كالطفل
جرى في الضفة الخضراء خلف الماء والظل

وأي قلب لا يخفق بأسمى معاني البطولة عند ما يسمع قصيدته في تمجيد ربان حاملة الطائرات كوارجيوس، وفي هذه القصيدة يبلغ الشاعر أسمى مرتبة الفن — فان حب الشاعر للبحر وخياناته وأحاسيسه عند عودته وقد ملىء البحر والبر رعباً من جنون الحرب كان لها كلها أثر قوي في خلق هذه القصيدة الخلق الكامل

واي قلب لا يهتز للشاعر التي يمكها الشاعر في صفحات ديوانه كلها من اقراح الوادي الى أحزانه

لهذا أرى ان صديقي الاستاذ علي طه كان في لياليه أقرب الى القلب منهُ الى الفكر ... وأني لأتمنى لو ان تظل مفاتن الدنيا أمامه بِرُاقة الالوان راقصة النغم دائمة الترحال ليظل وراءها طارداً خفّاق الشراع فتسمع الى مفاتن أشعاره ومجالي أسفاره في أروع آياته وأعذب أشعاره

الصيرفي

رسالة في العقل

للفارابي — بتحرير الاب بويج — ٤٨ ص القطع الكبير ومقدمة بالفرنسية بيروت ١٩٣٨

Alfarabi-Risalat fi'l-'Aql texte etabli par le R. P. Rouyges. Beyrouth 1938

سبق لنا أن حدثنا القراء عن مجموعة المؤلفات الفلسفية العربية التي يقوم بنشرها الأب بويج في بيروت . فقد وصفها صديقنا الدكتور بشر فارس ونوّه بنفاستها وعلوّ شأنها إذ نقدها واحدةً واحدةً أيام صدورها وهي : « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، و« تهافت التهافت » لابن رشد ، و« تلخيص كتاب المقولات » له ، و« تفسير ما بعد الطبيعة » له

وقد وصلنا اليوم المجلد الخامس من تلك المجموعة الجليلة ، وموضوعه رسالة العقل للفارابي. وهذا المجلد على غرار ما سبقه من حيث دقة التحرير وضبط الرواية وإثبات النصوص وإحكام التعليق

ومن قرأ رسالة الفارابي في الطبعات المختلفة التي ظهرت في مصر يتبين الفرق الذي بين النشر المرتجل والنشر المحكَم : هنا التحري والتقصي وهناك خلاف ذلك ، فضلاً عن ان طبعات مصر نسخت الطبعة الاولى التي قام بها المستشرق الالماني F. Dieterici سنة ١٨٩٠ ونسختها احياناً

وتحرير نص هذه الطبعة قائم على عرض واقع لجميع ما يتصل بالرسالة بعضه ببعض : اولاً المخطوطات العربية وعددها تسع وهي موزعة بين دور الكتب في لندن وبرلين واستانبول وبيروت وطهران . ثانياً الترجمة اللاتينية للرسالة والترجمات المختلفة لها باللغة العبرية . فجاء البعض أوفى من قبل وأضبط

وقد عمل الاب بويج في آخر الرسالة موارد شاملة وافية أثبت فيها اسماء الاعلام ثم عنوانات الكتب الواردة في الرسالة ثم الاحكام المنطقية ثم الاصطلاحات الفلسفية ثم اللطائف النحوية . وذلك على النحو الذي نحاه في ما طبعهُ من قبل من تلك المجموعة

واما الرسالة نفسها ففي تحديد معنى العقل عند الجمهور والمتكلمين ثم ارسطو . وهنا ينظر الفارابي في معاني العقل عند المعلم الاول من عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل فعّال وعقل مستفاد الى آخر ما يلحق بذلك من التبيين والتعليق . وبهما يدلّ الفارابي على أنهُ غير مقلد وعلى انهُ صاحب ذهن مولّد

وأهم من هذا أن نبين للقارئ العربي شأن رسالة العقل في القرون الوسطى . فقد شغل بها فلاسفة النصارى واليهود ونقلوها الى اللاتينية والعبرية غير مرة واقتبسوا منها طريقة التوليد للمعاني المخفية ورجعوا اليها للوقوف على سرّ مذهب ارسطو فيما يتصل بالعقل على اختلافه . فراجت الرسالة وعلا تأثيرها . ولا يسعنا الآن سوى الأب بويج وثرتب منهُ ما تبقى من المجموعة

رسائل فلسفية للرازي

جمها وصححها بول كراوس . الجزء الاول — ٢١٦ ص من قطع المقتطف القاهرة ١٩٣٩

لابي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ. صيت عريض في الطب الاسلامي وحسبه انهُ صاحب كتاب «الحاوي» و «المنصوري» . وله فوق ذلك قدم في ميدان الفلسفة فرأت كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول أن تنشر لهُ جانباً من رسائله الفلسفية ، وقام بالنشر الاستاذ المستشرق بول كراوس وهو من المنتدبين للتعليم في تلك الكلية . وهذه الرسائل مما عثر عليه الناشر في مختلف دور الكتب وقد رأى ان يضيف اليها ما انتخبه المتأخرون من تآليف الرازي المفقودة . ومن هذه المنتخبات ما لم يصل الينا في العربية بل وقع الى أيدينا مترجماً الى الفارسية ، من ذلك ما أورده ناصر خسرو في كتابه « زاد المسافرين » . إلاّ ان الناشر لم يثبت هذه المنتخبات في اللغة المترجم اليها بل أعاد نقلها الى العربية

وهذه الرسائل عشر : الطب الروحاني ، السيرة الفلسفية ، مقالة فيما بعد الطبيعة ، مقالة في أمارات الاقبال والدولة ، من كتاب اللذة ، من كتاب العلم الالهي ، القول في القدماء الخمسة ، القول في الهيولى ، القول في الزمان والمكان ، القول في النفس والعالم — ويلي هذه الرسائل مناظرات لطيفة مفيدة بين ابي بكر الرازي وحميد أبي حاتم الرازي وهي مقتبسة من كتاب أعلام النبوة لأبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٢ هـ وكان من كبار دعاة الاسماعيلية

والرسائل منشورة على الطريقة العلمية الحديثة في تحرير النص ومعارضة الروايات واثبات الهوامش اللازمة لبيان النص او تبيين مذهب المؤلف في باب من الابواب

وهذا الجزء الاول جزء ثان تتم به الرسائل وتسهل فيه الموارد للمصطلحات الفلسفية والطبية . وبهذا الجزء الثاني تكون الفائدة العملية ، إذ ان مثل هذه المؤلفات ان لم تكن من الطبقة الاولى في الفلسفة الاسلامية كرسالة العقل للفارابي، فان الذي يجنى منها هو ما يتيسر لنا من الالفاظ الخاصة التي تجري فيها

سيف الدولة وعصر الحمدانيين

تأليف سامي الكيالي — ٢٣٠ ص من قطع المقتطف — حلب ١٩٣٩

من مظاهر الاعتزاز بالقومية والاعتصام بحياة الأمة المتصلة حلقاتها ان يكتب أبناؤها سير عظمائها الذين ساهموا في إقامة سلطانها وبسط عزها . وسيف الدولة الحمداني من عيون أولئك العظماء في التاريخ العربي الاسلامي . فانهُ لعمل جليل حسن ذلك الذي أقدم عليهِ زميلنا الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » . وعسى أن يستنّ بسنّته كل من آنس من نفسه ميلاً الى كتابة السير التاريخية

إن سيف الدولة برز في عهد كانت الامبراطورية الاسلامية تتفكك فيه والخلافة تتضعضع والمروءة تذل وتحور من جراء الدسائس والفتن وقعود الهمم وخساسة أنفس الوزراء والعمال وتعالي حظ الأعاجم من فرس وترك وكرد ، فضلاً عن مكايد ملوك الروم ونصبهم العداء الذي لا يكلّ . وبروز سيف الدولة ذلك الامير الشهم الأديب الشجاع الرفيق وطّد أركان المروءة وركز أوتاد الاسلام . فما أجل سيرة زينها البطولة ورفقها الشعر

وقد تبسط الاستاذ الكيالي في كتابه . فعقد فصلاً تمهيديًّا حكى فيه قصة الحمدانيين من نشأتهم حتى حظوتهم عند الخليفة لما كانوا عليه من علو الهمة واتساع الشكيمة فآل بهم الأمر أن استقلوا في أرض حلب . وهنا وصف المؤلف حلب وذكر صناعاتها وثرواتها وتنوعها في ذلك العهد . ثم انتقل الى الكلام على سيف الدولة وبين كيف دخل الى حلب ونازع الاخشيديين فيها وفي دمشق وحارب الروم من أجلها فكانت حرباً سجالاً سلاحفة . وختم المؤلف كتابه بفصل عن المتنبي وآخر عن ابي فراس . وفي رأي المؤلف ان سيف الدولة أذاع صيت المتنبي على عكس ما يقول الناس ، وهذا الرأي غير مستبعد على ان لا يكون في حكم الاطلاق

والسيرة مكتوبة بحسٍّ مرهف وقلم نابض مع ميل الى تعظيم سيف الدولة . وأسلوبها لطيف الحواشي فياض الجرى لا تمثّل فيه . وقد تجيئنا من قول مقدم الكتاب الدكتور (اسماعيل احمد ادهم) ان الاسلوب ينقصهُ الدقة التعبيرية . لان التعبير يختلف باختلاف الطبائع ، وطبيعة الاستاذ الكيالي ترجع توًّا الى السليقة العربية . وكل ما نأخذه على هذا الكتاب الحسن ان الفصول ربما أعوزها شيء من الحبك

مجموعة مفتاح القراءة

عمل الآنستين حنيفة حفني ناصف وزكية عزيز يوسف

أخرجت مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر مجموعة للقراءة من عمل الآنستين حنيفة حفني ناصف وزكية عزيز يوسف باسم « مفتاح القراءة » وليست هذه المجموعة كتاباً يضمهُ غلاف وانما هي مجموعة من الورق المقوى تكون سلسلة متصلة لدروس القراءة العربية للاطفال

وهذه المجموعة النفيسة تسير على قواعد التربية الحديثة فتعرض الحرف الابجدي مصوراً ومضبوطاً بالشكل وأمامه رسم الكلمة التي يبدأ بها الحرف ليسهل على الطفل حفظها وادراكها وقد لاحظنا ان الحركات « الشكل » موضوعة بلون مغاير للحرف حتى يدرك الطفل انها ليست منه . والمجموعة مقسمة ستة اقسام يليها بعض التمرينات التي قوامها جمل قصيرة سهلة كثيرة التداول فنثني على عمل الآنستين واشتراكهما في امداد الطفل العربي بمجموعة طريفة للمطالعة العربية

ابو العلاء المعري

للمرحوم احمد تيمور باشا — ١٦٠ ص من قطع المقتطف — القاهرة ١٩٤٠

من مخلفات العالم الجليل الثقة احمد تيمور باشا هذه الرسالة اللطيفة ، عثر عليها ابنه الاستاذ محمود تيمور فدفعها الى لجنة التأليف والترجمة والنشر فطبعتها طبعاً حسناً . والرسالة كما هو بيّن من المقدمة وتضاعيفها مستوفاة النظر مشبعة الفصول لولا إشارات وعلائم كان في نية المؤلف رحمهُ الله أن يعود اليها ويتم مجراها ، من ذلك أن الرسالة لا تعرض لشعر أبي العلاء بل وقفت عند شعره مع أن قسماً من اقسامها عنوانه « شعر أبي العلاء ونثره »

ومهما يكن من أمر الرسالة فانها انموذج حسن قويم للبحث العلمي الذي عرف قبل اليوم فيها استقصاء وتبيين والتزام للنص وتحر وتبصر . وفيها فوق هذا تواضع العالم مع ثبات قدمه إذ لا يهول ولا يتسف وإذ يذكر المصدر ويشير الى ما اطلع عليه أو ما سمع به

هذا وفي الرسالة فصول لا بدَّ من مراجعتها إذا أنت أردت الاعتماد عليها . وسبب ذلك أن كتباً لابي العلاء ككتاب « الفصول والغايات » وأن مباحث فيه كباحث غير من المستشرقين ولاسيما نيكلسون وكراتشكوفسكي وفئة من الشرقيين ولاسيما الدكتور طه حسين بك قد ظهرت بعد تأليف تلك الرسالة

ومن الفصول المستفاد على الغائب من التآليف القديمة المعتبرة ما هو جدير بالعناية ، من تلك الفصول : « المكرر من معاني أبي العلاء » ، « سرقاته » ، « مآخذ الشعراء من شعره » . وفي الفصل الاخير : « معتقد ابي العلاء في الله وفي النبوات والرسل » يأتي المؤلف بآراء خاصة به اذ يعتد تُهَم الذين زعموا ان أبا العلاء كان ملحداً منكراً لوجود الله . وهذا الفصل خير الفصول مبحثاً ومنطقاً

العلوم عند الترك العثمانيين

بقلم عبد الحق عدنان — ١٦١ ص من القطع الصغير — باريس ١٩٣٩

La Science chez les Turcs Ottamans, par Abdulhak Adnan
Editions P. Geuthner, Paris 1939

هذا كتاب يعرض بايجاز حالة العلوم وتطورها عند الترك ، وذلك من أول نشأتها (أي حوالي سنة ١٣٣٠ عند ما شيّد ارهان باي ثاني سلاطين العثمانيين مدرسة « نيقية ») حتى نهاية القرون الوسطى ، ثم من بداية العصور الحديثة حتى مفتتح القرن السابع عشر أيام بايزيد الثاني ثم من ذلك العهد حتى منتصف القرن الثامن عشر أي مدة جمود العلم في تركيا ثم من ذلك العهد

حتى فاتحة القرن التاسع عشر : كل ذلك خمسة قرون حتى دخول العلوم الاوربية الحديثة واتخاذها في دور التعليم العامة

ويؤخذ من هذا الكتاب أن المدنية العلمية بطيئة السير والتحول في بلاد متصلة بالبلدان الاوربية اتصالاً مباشراً . وقد بدأ العلم بنشأة «المدارس» حيث كانت العلوم الرياضية والطبيعية سائدة فيخرج منها علماء جمّاعون مستوعبون ، ثم انحرف التدريس عن التثقيف العام وقنع بعلم الأصول والجدل والمناظرة ودقائق الفقه . حتى هذه العلوم لم تكن تُثقَّف على الشكل الوافي والمنهج القويم ، فكان الذين ينالون الاجازات من المدارس يحصلون على المناصب الرفيعة في الدولة وفي التعليم ولم يظفروا الاّ بالقليل القليل من تلك العلوم (راجع ص ٩٢). ومما يؤثر هنا أن حاجي خليفة المشهور شكا من المدارس لانها طردت من جدرانها العلوم العقلية والفلسفة . الاّ أن مقتضيات الحروب والفزوات دفعت أصحاب الشأن في الدولة الى العناية بالعلوم الرياضية وما يتصل بفنون الحرب وذلك ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر

والعلوم في تركيا طوال تلك القرون الخمسة هي من تراث العلوم العربية أو مقتبسة منها . والكتاب — كما اعترف المؤلف في مقدمته — لا يدّعي الاستيفاء والاحكام وانما هو معرض للمحات وبيانات كثيرة . غير أن المؤلف حقيق بالتقدير لالتزامه الحق ونبذه التشيّع وهوى النفس

العدد الصم

وتأثيرها في شخصياتنا

ان قراء المقتطف يذكرون بالاعجاب ذلك الفصل المسهب النفيس في «العدد» الذي كتبه الاستاذ حسن السلمان مدير منطقة معارف البصرة ونشر في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٧، ولذلك يسرنا ان نقول ان الاستاذ الفاضل عني بمراجعة ذلك الفصل وأضاف اليه حقائق شتى من مطولات في الموضوع اطلع عليها ثم طبعهُ في كتاب على حدة جاء في ٨٨ صفحة من القطع الصغير . وقال في مقدمته «الاندروكرينولوجيا . او العلم الباحث عن العدد الصم . علم جديد يرتبط بعلم الطب من ناحية وبعلم النفس من ناحية اخرى . فهو بمقامه هذا حلقة وصل بين العلمين . . . وعلماء الطب بالاشتراك مع علماء السيكلوجيا مهتمون بالكشف عن جميع اسرار هذا العلم الجديد ، وهم بعملهم هذا سيقضون على الشذوذ النفسي والخلقي عند الناس ....»

وقد تفضل حضرته فأشار الى ان مقال المقتطف الذي عنوانه « العدد والحياة » حفزه الى التوسع في دراسة الموضوع وبالغ في الفضل فأهدى الكتاب الى محرر المقتطف . فلا يسعنا الاّ ان نوجه اليه الشكر الخاطر وان نتمنى لطلاب العلم وقراء المقتطف ان يتاح لهم الاستزادة من علمه وفضله

باب الأخبار العلمية

مصر الصناعية

ممثلة في المعرض الصناعي النوعي

[تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فافتتح المعرض الصناعي النوعي في أرض الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة في مساء الخميس ٢٥ ابريل . فأعرب عن اعجابه بما عرض فيه ووجه عبارات التشجيع السامي الى منظميه والقائمين بأمره والعارضين فيه مصنوعات أيديهم ومبتكرات قرائحهم] (١)

« لقد وجدت مصر نفسها » كما يقول اخذوا يقدمون بشجاعة ونشاط ودراية على الانكباب في بعض تميراتهم اي انها درت بما فيها المشروعات الصناعية ويباشرون صناعات جديدة من قوى كامنة فأخذت تخرجها في الحين الذي شرعت فيه في استنباط القوى والفلزات الغارقة في جوف تربتها ولاسيما تربة صحاريها وقفارها

فقد زالت العقيدة القديمة وهي ان مصر لا يمكن أن تكون بلاداً صناعية بغير تعيين المعنى المراد بهذا اللفظ وهي العقيدة التي اقعدت ذوي القرائح عن معالجة ما كان في طاقتهم ومباشرة ما فيه نفع انفسهم وامتهم

فالمعرض القائم اليوم دليل على أن هذه العقيدة الفاسدة محيت من الاذهان وان الناس اخذوا يقدمون بشجاعة ونشاط ودراية على المشروعات الصناعية ويباشرون صناعات جديدة ليس لمصر عهد بها

وما يرتاح اليه الباحث اشد ارتياح شهود هذه الظاهرة في المدارس الصناعية والمدارس الزراعية ولاسيما ان الأمل معقود بالجيل الذي يتاح له أن يقرن العلم بالعمل

فالذي يزور القسم الخاص بمعروضات هذه المدارس ويرى ما بلغه طلبتها من اتقان في العمل الصناعي والعمل الزراعي لا يسعه الا الاعجاب بالجهود التي كللت بهذه النتيجة والاغتباط بما سيكون للنتيجة نفسها من تأثير في اقتصاد البلاد وتدبير العمل للايدي

أوشك الدكتور اسماعيل احمد ادهم ان ينتهي من بحثه النفيس في « خليل مطران وشعره » وهو بحث صبه الكاتب على قواعد طريفة من النقد الادبي مستمدة من معين فلسفة النقد في الادب الاوربي مطبقة على حياة مطران وشعره وشعره . وله كانت النية متجهة الى اخراج عدد محدود من النسخ التي تضم هذه الفصول رأينا ان نكتفي منها بما نشر في المقتطف حتى الآن ليكون للمجموعة المنتظرة مزية انطوائها على فصلين او ثلاثة فصول لم تنشر قبلا علاوة على المقدمة . وليست الصفحات التي نشرناها في هذا الجزء الا جانباً من المبحث الثالث عشر في « صنعة مطران » وبقية مباحثه آخران . ونحن اذ نختم هذه السلسلة مع المجلد السادس والمئتين من المقتطف نوجه شكرنا الى المؤلف وتحيتنا الى الشاعر ونتمنى لكليهما أطيب ما يتمناه أخ لأخيه

(١) ملخص الخطبة التي نشرت في ٢٢ ابريل ١٩٢٥

الماهلة وما له من دلالة على المقدرة وحسن الاستعداد

في القسم الصناعي يرى الزائر مصنوعات جديدة من صنع مدرسة الهندسة التطبيقية ومدرسة الفنون والصنائع في بولاق فلا يكاد يصدق ان هذه الاشياء والآلات والادوات صنعت في مصر وأن مصر قد تستطيع الاعتماد على هذه المدارس أو خريجيها في المستقبل لتجهيزها ببعض ما يلزم من هذه المصنوعات

فقد سمعنا الكافياري فيشا صاحب مصنع الحجر الاعيل (الترانيت) يقول لمعالي الشرقاوي باشا وزير المعارف ان المطارق الفولاذية التي صنعتها مدرسة الهندسة التطبيقية على غرار المطارق المصنوعة في أوربا لنحت الترانيت وقد اختبرها هو ايضا على سبيل المثال — ان ماصنعته المدرسة المصرية أفضل وأجود من المطارق المجلوبة من اوربا

فهذا القسم من العمل الصناعي كبير المقام الذين يعرفون شدة اعتمادنا في الآلات والادوات ولاسيما الدقيق منها على اوربا واميركا وما نستهدف له أحياناً من مصاعب بسبب الحروب أو انقطاع المواصلات أو صعوبتها أو سقوط سعر العملة أو غير ذلك من الاسباب فهذا يصح أن يعد قاعدة كبيرة من قواعد النهضة الصناعية . وأما ما عرض من الادوات الجراحية وآلة الطباعة ومرجل التطهير المتقن والساعات والمصنوعات الفولاذية من عجلات دقيقة الصنع وسواها فقد فتح الباب للمثال على مستقبل متسع من العمل الصناعي

وصناعة الزجاج هذه التي أحييت بها صناعة قديمة امتاز الشرق بها من قديم الزمان بدليل ماهو محفوظ من أواني الزجاج الفينقي البديع والمصابيح العربية النادرة والثمينة في دار الآثار العربية — هذه صناعة أدركنا قيمتها في هذا الاوان أوان نقص الواردات الاجنبية وارتفاع ثمنها فقد حدث هنا مثل الذي حدث في صناعة النسيج فلولا مصانع الغزل والنسيج في المحلة الكبرى والاسكندرية لكانت أسعار المنسوجات القطنية اليوم أربعة اضعاف ماهي الآن ومصر مدينة باحياء صناعة الزجاج لصنع الزجاج النموذجي الحكومي والسيد ياسين بك صاحب المصانع الكبيرة الوطنية وقد اخذت تنجح صناعاً بارعين عرضوا نماذج من انتاجهم جامعة للاتقان وسد جانب من حاجة البلاد

ومما يغتبط به الباحث هذه العناية بكنوز مصر الخفية والكامنة في جوف تربتها وهي عناية يجدها الزائر ممثلة أحسن تمثيل في معروضات ليب لسيم وفيشا وشركة المناجم والمحاجر فيرى في معرض الاول الفلزات الثمينة من حديد ومنجنيز ونيكل وذهب علاوة على الاصباغ واصناف الرخام والرمل وعند الآخرين الرخام المجزع والرخام الابيض والاخضر والبني الممزوج كالرخام الغربي علاوة على مصنوعات الحجر الاعيل والبراعة البادية في صنع المصنوعات الفنية مما يصلح للبيوت والمكاتب

فجهود هؤلاء الافراد أكسبت مصر ثروات جديدة طالما تاق المصريون الى احرازها ولا سيما عند ما يقرأون عنها في بلدان أخرى من مثيلاتها وهذا الذي تم حتى الآن قد يكون فاتحة لما يليه من كشف معادن وفلزات وحجارة ثمينة تدر الخير على البلاد وتكفل العمل لألوف من أبنائها العاملين

ان للحكومة فضلاً عظيماً في هذا الرقي الصناعي بما بذلت مصالحها الفنية من جهود في التعليم والتدريب واقامة المعارض واعداد المصانع النموذجية واسداء النصح والمشورة

ولكن اذا شاءت الحكومة اطراد هذا النشاط واستمرار هذا الرقي تعين عليها أمران أحدهما ان تعيد النظر في السياسة التي تتبعها بعض مصالحها في أمر الرخص الصناعية ومطالبة الصناع والمصانع بأمور قد يفضي الافراط فيها الى تثبيط همة الذين يقدمون على العمل الصناعي. فالصناعة في حاجة شديدة الى شيء من الرفق والعطف وتذليل العقبات الكثيرة التي لا تزال تلقاها في طريقها

والأمر الآخر وجه من وجوه التشجيع ويودنا لو توسلت الحكومة به وهو مكافأة الصناع المجتهدين والمخترعين والمكتشفين والذين يزيدون ثروة البلاد بجهودهم بما يرفع قدرهم بين الناس فيمنحون من الرتب والياشين ما يدل على التنويه بفضلهم من جهة وتقدير نشاطهم واجتهادهم واخلاصهم لخير مصر وحث سواهم على الاقتداء بهم من جهة أخرى

وصف بعض المعروضات

تنافس رجال الصناعة في عرض منتجاتهم بالمعرض النوعي للصناعات المصرية الذي اقامته وزارة التجارة والصناعة في ارض الجمعية الزراعية الملكية وهذا المعرض مع ضيق مكانه صورة حية لما وصلت اليه مصر من تقدم في سبيل العمل الصناعي وبرهان ساطع على كفاءة المصانع المصري

فأول ما يدخل الزائر المعرض ويستقبل ساحته وقد عرضت على جانبيها المعروضات الجميلة التي رى اسم الفاروق العظيم يملأ الارجاء بضيائه الساطع المنبث من أعمدة النور عنواناً للرقي الصناعي الذي بلغته البلاد في عصره المملوء بالخير والبركات ولكي يحيط الجميع الاحاطة الكافية بتقدم مصر وما تشتهر به كل مدينة من مدنها على حدة رئي ان تصنع خارطة لمدن الوجه البحري وقراه وأخرى للوجه القبلي بين على كل منها اسماء مدنه وبنادره وقراه وما تنتجه من اشياء صناعية او صناعية زراعية وقد علقت هاتان الخارطتان على جانبي مدخل المعرض الداخلي ووضع على جانبيها تمثالان احدهما للمغفور له الملك فؤاد والآخر لصاحب الجلالة الملك رمزاً الى ان الصناعة نهضت في عهد فؤاد العظيم واستوت على قواعدها الراسخة في عهد فاروق السعيد

الكنوز المصرية

ويسير الزائر يجذبهُ من هنا جلال الصناعة ويغريه من هناك جمال الفن فيواجه تمثالاً منحوتاً في كتلة من اكسيد الحديد الخام عرضه الاستاذ ليب لسبم مكتشف مناجم الحديد الغنية في اسوان وهو يمثل رجلاً اعرابيًا خارجاً من بطن منجم ارتمى نصفه الأعلى على اكوام الحديد المزاحة وبقى نصفه الآخر في جوف المنجم يطلب العون لخلاص نفسه لينهض على قدميه يفتح مغاليق الحياة بمفتاح تفلذته يداه

وعلت هذا التمثال صورة طبيعية لجبال الحديد الممتدة في اسوان والتي تكفي مصر بحسب الاستهلاك الحالي ١٠٠٠ سنة او يزيد

وفي جانب آخر عرض معدن التيكل الذي اكتشفته كريته الآلية جرترود وهو وافر في صحراء اسوان وقد تم اخيراً صنع طبق من النحاس طلي بهذا المعدن ، وهذا الطبق هو الاول من نوعه في تاريخ مصر القديم والحديث ، وقد تفضل جلالة الملك فقبله هدية من الآلية جرترود

وفي جانب ثالث من هذا القسم عرضت نماذج من الذهب التي استخرجها هذا المكتشف المصري من منجم ذهب احمير بمنطقة اسوان و«الرحاية» وهي التي استعملها قدماء المصريين في طحن حجارة الذهب

وعرضت كذلك نماذج ذهب من منجم آخر هو منجم «ام جارايات» وهذا علاوة على «المیکا» التي اكتشفها في صحراء اسوان وهي موجودة في الاحجار بكثرة فائقة ولهذا المعدن منزلته العظيمة لأن دوران الآلات الكهربائية متوقف عليها

وعلاوة على ذلك فقد عرضت بعض انواع الرخام المكتشفة اخيراً وهي تمتاز باختلاف الوانها وأشكالها وهذا غير الالبستر المصري الذي اكتشفهُ بالقرب من حلوان من شهرين والذي صنعت منهُ قاعدة تمثال ابي الهول

الصناعات الحربية

واذا طاف الزائر بمعروضات المدارس الصناعية استوقفه ما فيها مما يدل على نجابة طلبتها فيرى اجهزة التبخير وابوورات انتاز والغلايات الكهربائية التي تصنع للمرة الاولى في تاريخ الصناعات المصرية ويرى ساعات الجيب والايدي وقد صنع الطلبة كل مسمار فيها

وهناك المحركات الكهربائية والاجهزة اللاسلكية وآلات الجراحة الطبية التي تعرض للمرة الاولى مصنوعة بأيدٍ مصرية وأكثر من ذلك ادوات الكيمياء والطبيعة الخاصة بالمدارس الثانوية والتي اصبحت تورد اليها من مصانع هذه المدارس ثم الاحواض الساخنة التي يطلبها منها اليوم مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية

ولاول مرة في تاريخ الصناعة المصرية يوفق طلبة احدى هذه المدارس الى صنع آلة طباعة اوتوماتيكية تطبع في الساعة ٣٠٠٠

نسخة دارت تجلياتها امام صاحب الجلالة فغبط بها وأرسلت امام جلالته أولى مطبوعاتها بهذه العبارة « يعيش ذوق الاول حامي الصناعات »

المسجونون يربون الطيور

وأغرب من كل ما تقدم ان يعرض المسجونون انتاجهم الفني الذي انتجوه وهم في غياهب السجن ولكن الشر يستحيل الى قوة من الخير اذا وجد من يفض عليه نوعاً من الفن يرتقي بشعور الشرير فيصبح انساناً له قيمته لانهُ يشعر بذاتيته

فهناك في « ابي زعبل » « مدرسة الفن » يدخلها من تتوسم فيه نزعة الخير التي انطمست معالمها تحت لوثة الشر الثائرة فيتعلمون فيها كيف ينحتون التماثيل من الحجر الجيري ، وقد تمخض هذا التعليم عن انتاج تماثيل مصرية لاوزيريس ورمسيس وتماثيل فرعونية لفيكتور هوجو والكاهن بنجري وتماثيل ايطالية لميكل انجلو وكانون المتال وقد كتب على كل قطعة اسم صانعه المسجون ورقمهُ

وقد أعجب صاحب الجلالة الملك بهذه التماثيل فصدر أمره الكريم بوضع تمثال « فينوس » ربة الجمال في احدى ساحات قصر عابدين العامر

مسرح الطيور الملكي

واذا تركنا هذه التماثيل جانباً وخطونا خطوات قصيرة استقبلتنا حظيرة الطائرات وفي وسطها غرفة المراقبة فاذا دلفنا الى جوف الحظيرة رأينا خارطة من الجبس صنعها عامل من العمال المصريين مبيناً عليها مطارات الوجهين البحري والقبلي ونماذج صغيرة للطائرات المستعملة في سلاح الطيران الملكي صنعها العمال بأنفسهم

ومن بين معروضات هذا السلاح ما يدل على نجاح الصانع المصري في عمل اجزاء من الطائرة كانت تستورد من الخارج مما يؤذن بتقدم باهر في تصنيع صناعة الطيران

معروضات فنية رائعة

واشتملت معروضات قسم الزجاج التابع لوزارة التجارة على صور ثلاثة تعرض للمرة الأولى في مصر وهي من صنع الاستاذ احمد يوسف ناظر مدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة كانت قبلاً معروضة في معرض روما وأبت الحكومة الايطالية ارسالها الى مصر بحجة ان الآثار الفنية من الثروات التي لا يمكن تصريها الى الخارج ولكن بفضل المساعي التي بذلتها الحكومة المصرية القائمة حينئذٍ عادت هذه اللوحات الى مصر لتعرض في المعرض النوعي

وهذه الصور أربع تمثل احداها اطاراً من الزجاج داخله كتابة كوفية والثانية تمثل « الأمومة » والثالثة « نموذج من اعمال القرن الثالث » نقلاً عن الأصل الموجود في متحف فيكتوريا والبرت بلندن والرابعة « الى العمل » وهي جميعها مصنوعة من الزجاج من طابع فني جميل

هذا أهم ما احتوى عليه المعرض عدا

المعروضات الأخرى التي تمثل مناحي التقدم الصناعي والزراعي في مختلف البلدان الاقتصادية وأعظم ما اتصف به هو التنسيق حتى ظهرت المعروضات في صورتها البديعة وأصبح من السهل ان يشهد المرء تقدم مصر في مضمار الصناعة

سامي

* * *

سرعة الصوت وصوت السماء

في أحد ايام دسمبر سنة ١٩٣٣ انفجر مقدار كبير من الديناميت في جزيرة «نوفازيملا» الواقعة داخل الدائرة القطبية الشمالية فأثر صوت الانفجار في الاجهزة الدقيقة في برلين على بعد اثني ميل . أما الرعد فقلما يسمع على بعد يفوق عشرين ميلاً من مكان البرق الذي يسبقهُ

واطلاق المدافع اطلاقاً متواصلاً يحدث صوتاً يسمع على بعد مائة ميل وقيل أنهُ سمع على بعد ثلاثمائة ميل ولكن ذلك لم يحقق . ومن أغرب ما يروى في هذا الصدد ان البرك السيبيري الكبير الذي وقع في ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٨ سمع صوت وقوعه على بعد ٤٠٠ ميل وأثر في أجهزة قياس الطقس في أوربا . ولعل صوت الانفجار البركاني الذي حدث في جزيرة كراكتوى سنة ١٨٨٣ كان أعلى صوت عرف على الارض اذ سُمع في تاكوك عاصمة سيام على بعد ١٤٠٠ ميل

ولا يخفى ان سرعة الصوت في الهواء تختلف باختلاف الحرارة فتبلغ في جو الصيف الحار ١٢٩٦ قدماً في الثانية ولا تزيد على ١٠٨٨ الى ١١٥٠ قدماً في الجو الذي درجة حرارته حوالي درجة الجمد . وتبلغ سرعة امواج الصوت في الماء البارد ٤٩٣٨ قدماً في الثانية . وفي الجرانيت ١٢٩٦ قدماً في الثانية وفي الحديد الحامي من ١٥٫٤٨٠ قدماً الى ١٧٣٩٠ قدماً في الثانية وفي الزجاج ١٦٤١٠ اقدام الى ١٩٦٩٠ قدماً في الثانية وفي الذهب ٥٧١٧ قدماً الى ٦٨٩٠ قدماً . وفي الفضة ٨٦٥٨ قدماً في الثانية

* * *

* كان ثلاثة من مديري جامعة باريس في القرون الوسطى من الفلكيين

* ان الحاجة الى المظلات هي اكبر عائق دون تمكن نصف الكرة الغربي من الاكتفاء الذاتي في رأي ولس وزير الزراعة الاميركية

* اخترع جهاز أميركي يمكن رجال صناعة المنسوجات من قياس مقدار الدفء الذي تولّده المنسوجات المختلفة .

* صنع في جامعة اوهايو الاميركية جهاز لتهشيم الذرة زنتهُ ثمين طنًا فأطلق عليه اسم «بزنا الكبير» وهو لقب أكبر مدفع استعمل في الحرب العالمية الماضية

فهرس الجزء الخامس

من المجلد السادس والتسعين

٤٧٣ انتقال الافكار أو الاتصال الذهني عن بُعد

٤٨١ الاصول العلمية الحديثة والزراعة : للدكتور حافظ عفيفي باشا

٤٨٨ السيرة في الفن الاسلامي : للدكتور زكي محمد حسن

٤٩٢ السيادة المصرية وموقف مصر كعضو في أسرة الدول : بحث لمحمود كامل المحامي

٥٠٢ مكانة المصادفة في تاريخ الكشف العلمي : أمثلة لستوقف النظر

٥٠٥ حطام (قصة) : لمحمود سيف الدين الايراني

٥١٧ أين أنت (قصيدة) : لمحمد عبد الغني حسن

٥١٨ الاجرام والاصلاح : لمحمد رياض مفتش الضبط بمحافظة مصر

٥٢٤ غذاء الجماعة — قاعدة لحساب الغذاء : للدكتور حسن كمال

٥٢٨ غاية العلم في الهند : للدكتور السر شاندراكا ونكاتا رامان

٥٣١ منسوجات المستقبل : لعوض جندي

٥٣٧ الصورة القاتمة لحالة مصر الصحية : للدكتور عبد الواحد الوكيل بك

٥٤٥ ندوة الارواح (قصيدة) : لعبد الرحمن الخميس

٥٤٧ صناعة مطران الفنية : للدكتور اسماعيل احمد ادهم

٥٥٦ حكيان : ١ — لبرتراند رسل . ٢ — لجبران

٥٥٧ سير الزمان * الحرب في شمال اوربا — أسوج ونروج ودنمارك ١ — موقفها الدولي ٢ — أحوالها العمرانية ٣ — حديد أسوج ٤ — اجتياح دنمارك ونروج

٥٦٨ باب المراسلة والمناظرة * تعليق على مقال * من أسرار العربية * . كلمة وجيزة حول * سومة في سماء الادب *

٥٧١ مكتبة المقتطف * ليالي الملاح التائه . رسالة في النقل . رسائل للسفية الرازي . سيف الدولة وعصر الحمدانيين . مجموعة مفتاح القراءة . أبو العلاء المعري . العلوم عند الترك . الفقد العلمي

٥٧٨ باب الاختبار العلمية * مصل المناعية ممثلة في المرض الصناعي النوعي . وصف بعض المرروضات الكنوز العمرية . الصناعات الحديثة . المسجونون القتيلون . سلاح الطيران الملكي . مروضات فتية رائعة . سرعة الصوت ومدى سماعه